

سلسلة الدراسات الاسلامية المعاصرة
(٥٩)

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
مركز البحوث والدراسات الاسلامية

علم التصوف
وأثره في العبادات

تأليف
منى ياسين طه الرفاعي

٢٠٠٩م
الطبعة الاولى
١٤٣٠هـ

علم التصوف

وأثره في العبادات

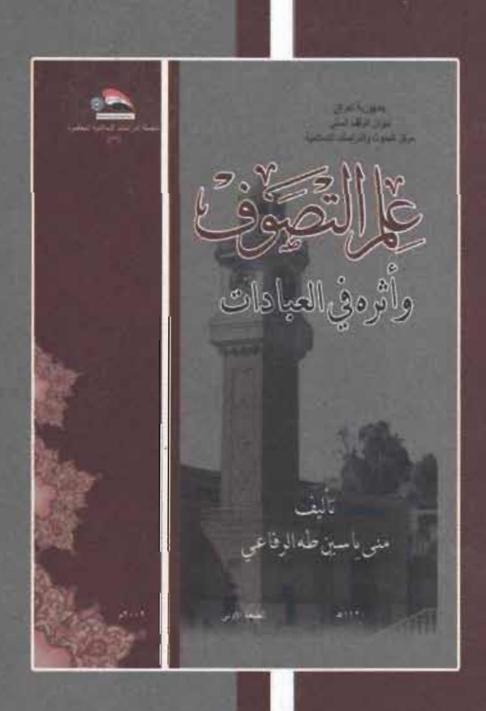
تأليف منى ياسين طه الرفاعي

Repuplic of Iraq
Wakuf Sunni Dewan
Research and Islamic Studies
Center



Al-Tasawif Science

and its influence on worships



By

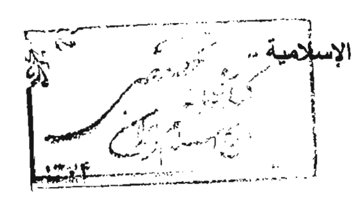
Muna Yassen Taha Al-Rifaai

1430 A.H. First Edition 2009 A.D.

جمهورية العراق

ديوان الوقف السني

مركز البحوث والدراسات الإسلامية



سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة

(٥٩)

علم التصوف وأثره في العبادات

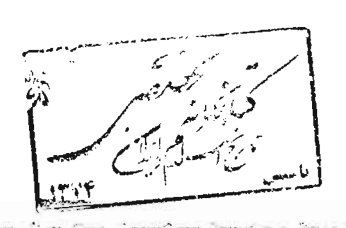
تأليف

منى ياسين طه الرفاعي

١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

الطبعة الاولى

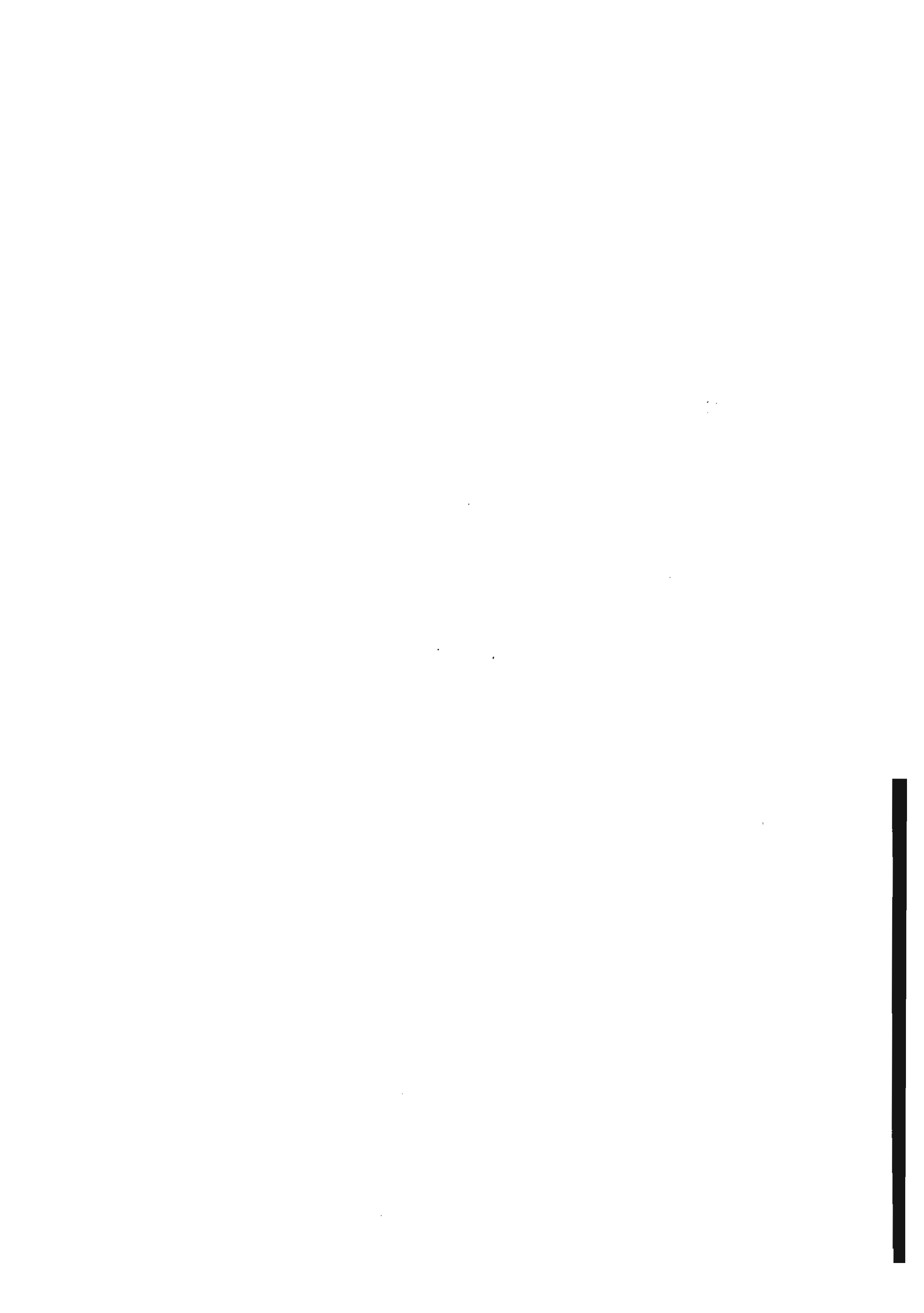

بالعلم نرتقي
MBDAW
مركز البحوث والدراسات الإسلامية
الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية
برقم ٦٦
لسنة ٢٠٠٩
جميع مطبوعات المركز محكمة علمياً
العراق - بغداد - سبع أبكار - ديوان الوقف السني
e-mail: mabdaw@yahoo.com
صندوق البريد ٥٣٠٠٨ بنب المعظم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ
وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ
وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ
وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

(سورة الأحزاب، الآية ٣٥)





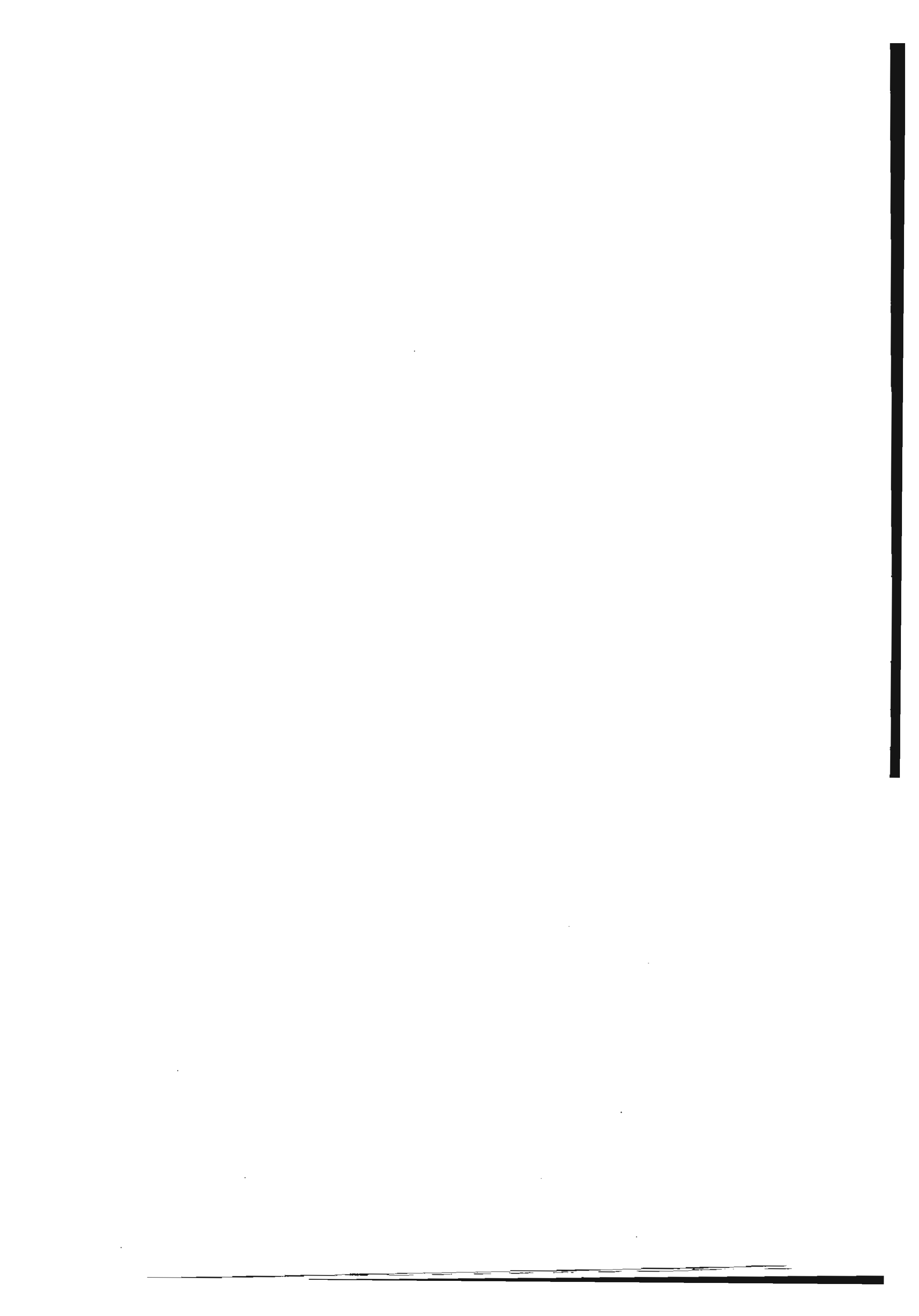
إلى سيد الأصفياء والأتقياء وخاتم الانبياء وحبيب رب السماء أبي القاسم محمد (ﷺ) حامل لواء الدين والناطق بالحق المبين.

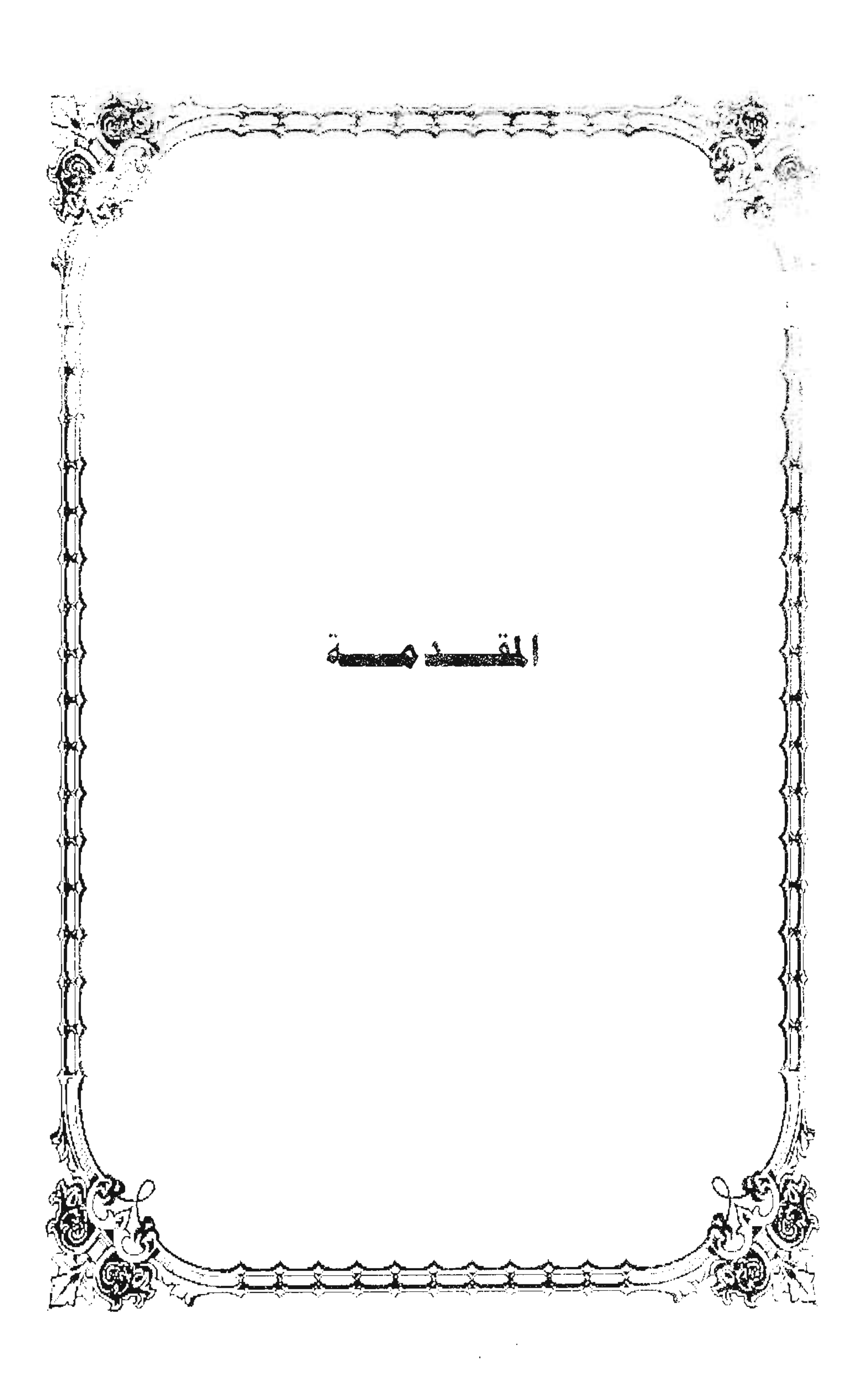
وإلى معلمي ومرشدي ومن لاتزال عبراته بفرحة تفوقي تغمر قلبي وروحي وكثرة دعائه ودعمه لي في حياته تدوي في داخلي ومن أراه اليوم حاضراً بروحه معي أبي وتاج رأسي السيد ياسين الرفاعي رحمه الله وطيب ثراه.

وإلى من ملأت بدفء حنانها حياتي وضحت براحتها لراحتي أمي الحبيبة أعزها الله وأطال في عمرها.

وإلى من هي أنا، أختي وملهمتي شيماء حفظها الله لي ذخراً وفخراً.

وإلى لؤلؤتي البريئة، الغالية بنت الغالية منى الصغيرة حماها الله ورعاها.





المقدمة

المقدمة

نحمدك تعالى حمد الذاكرين، ونشكرك تعالى شكر العابدين أن هديتنا الى سواء السبيل فأنت المنان والحنان ذوالقوة المتين فَعال لما تريد ممسك السموات السبع أن يقعن ورب العرش العظيم مالك الملك وخالق الخلق ومنزل الحق المبين لاإله إلا انت سبحانك وافضل الصلاة وأتم التسليم على الهادي المهدي والمبعوث رحمة للعالمين شفيع الأمة وحبيب رب العزة سيدنا ومولانا محمد (ﷺ) ذو الخلق العظيم وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على منهجه القويم واكرموا برؤية نور وجهه الكريم ونهلوا من فيض علمه العظيم، وفقنا الله لهديهم والحقنابهم يوم الدين.

وبعد..

فإن الحكمة الأولى من خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا هي لعبادته تعالى، فقد قال عز من قائل: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[١].

ولا يمكن للعمل أن يحقق فوائده بلاعلم ، إذ العلم أساس الأعمال وإمامها، وإن العلم الذي يمثل التطبيق العملي للإسلام في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة هو علم التصوف الذي يعد من أشرف علوم الشريعة السمحاء، إذ أن شرف هذا العلم يأتي من شرف متعلقه وهو ذات الله تعالى وأسماؤه وصفاته، وأن المعرفة بالله أفضل من المعرفة بالفروع والأصول جميعاً، والعارفون بالله أفضل الخلق وأتقاهم بعد الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- كما وصفهم رب العزة. بقوله: **﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**[٢].

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

(٢) سورة فاطر: آية ٢٨.

وموضوع بحثنا يتناول علم التصوف من حيث ما يبنى ويفرع عليه من الفروع الفقهية مباشرة فهو بمثابة بيان أثرعلم التصوف في فقه العبادات وبذلك نعلم ثمرة هذا العلم بهذه الحثية.

والأسباب التي دعتني إلى إختيار هذا الموضوع هي:

١- لم أجد من خلال دراستي من يقف على ابراز الصلة الوثيقة بين علم التصوف وفقه العبادات بشكل يظهر الجانب العلمي والتطبيقي من حيث ما يتفرع عن مباحث هذا العلم من مسائل فقهية تعبدية.

٢- لم أجد في الكتب التي قرأتها من يركز على المسائل الفقهية المتعلقة بالعبادات والمتفرعة من مباحث علم التصوف بشكل واضح ومنفرد.

٣- لأثبات أن علم التصوف هو أحد علوم الشريعة الغراء الذي لاغنى لغيره عنه ولا غنى له عنها فهي بمجموعها تكمل بعضها بعضاً.

٤- البحث في هذا الموضوع يبين أن أساس علم التصوف وشرطه الفقه في الدين.

أما أهمية البحث فيمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

١- بيان مكانة وأصالة علم التصوف الأسلامي من حيث شرف مباحثه المتعلقة بذات الله وصفاته وأسمائه ومن حيث قاعدته الأساس وهي العبادة الصحيحة والمستمدة من الكتاب والسنة، فبضبط موضوع هذا العلم الشرعي يمكننا التمييز بينه وبين ما ظهر فيه من البدع والضلال بين المسلمين.

٢- إبراز العلاقة المتينة والصلة الوثيقة بين علم التصوف والعبادات من حيث تفرع بعض مسائل الأخير عن مباحث هذا العلم.

٣- بيان أن الجمع بين علم التصوف والعبادات ينتج كمال العلم فيهما.

٤- بيان أن مباحث علم التصوف مبنية بمجموعها على ما أقره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ومنهج البحث يمكن تلخيصه بالنقاط الآتية:

١- اعتمدت – بعد الله تعالى – في استخراج المسائل الفقهية المتعلقة بالعبادات والمتفرعة من المباحث الصوفية على مطالعة كتب التصوف والفقه والتي كان من أبرزها: كتاب (عوارف المعارف) للشيخ العلامة الكلاباذي، وكتاب (إحياء علوم الدين) للإمام أبي حامد الغزالي، وكتاب (شرح العمدة) للشيخ ابن تيمية، وكتاب (الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف) للعلامة المرداوي، وكتاب (الأشباه والنظائر) للعلامة السيوطي وغيرها من الكتب والمراجع.

٢- ذكرت المسائل الفقهية المتفرعة عن الأصل الصوفي اعتماداً على تنصيص بعض العلماء والأئمة لهذا التخريج في الكثير منها، وفي بعض آخر منها مما استنتجته، وبعد ذكر المسألة الفقهية المستخرجة أذكر ما يؤيد هذا التخريج لهذه المسألة الفقهية إما تنصيصاً لما صرح به العلماء في هذا الأمر أو تلميحاً من كلا مهم، وذلك من خلال نقولاتهم الفقهية في مظانها، وأكثرت من هذه النقولات تأصيلاً لهذا التخريج. وقد تضمنت هذه النقولات ما يوضح المسألة بتعريفها ما احتاجت لذلك وكذا ما يذكر فيها من الأقوال والأدلة مما له علاقة بهذه المسألة كي يستغنى بهذا النقل عن تعريف وبيان أقوال المسائل ما احتاجت لذلك، وكان أعتمادي في هذه النوقلات على كتب المذاهب الأربعة، فأقتصر على بعض منها بما وجدته من نص الأئمة، وفي بعض المسائل أذكر آراء الظاهرية إن وجدت المسائل الذكورة ، وكان السبب من الاقتصار على المذاهب الأربعة لأنها المذاهب الشهورة أولاً، ودفعاً للإطالة في البحث ثانياً.

٣- ذكرت في كل مبحث من مباحث علم التصوف ما يحتاج إليه من تعريف وتوضيح من بيان الأصل الذي أبتني عليه، ثم ما يؤيد هذا الموضوع من أقوال أئمة التصوف، ثم بعد ذلك أذكر المسألة الفقهية المفرعة عن هذا الأصل الصوفي.

٤- ما ذكرته في البحث من الآيات والأحاديث والأعلام قمت بتخريجها من مظانها.

أما خطة البحث:

فقد قسمت الموضوع على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

- فتضمنت المقدمة: تعريفاً بالموضوع،وأهمية البحث ، وأسباب إختياره، ومنهج البحث، وخطة البحث.
- وخصص الفصل الأول للتعريف بعلم التصوف وصلته بالعبادات، ويحتوي مبحثين.
- وخصص الفصل الثاني لأسس التصوف وأثرها في العبادات، ويحتوي خمسة مباحث.
- وخصص الفصل الثالث للعبادة الصوفية وثمراتها ونتائجها على الفرد والمجتمع، ويحتوي ثلاثة مباحث.
- والخاتمة: والتي احتوت أهم ماأسفرعنه البحث من نتائج.

وبعد فإني أرجو من الله السميع العليم أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي ،فما اصبت به فالحمد فيه لله الواحد الأحد، وما اخطأت به فاتوجه الى الله أن يغفره لي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منى الرفاعي



الفصـل الأول

التعريـف بعلـم التصـوف وبيان صلتـه بالعبـادات

ويشتمل على:

- المبحث الأول: علم التصوف تعريفه، نشأته، مشروعيته.

المطلب الأول: تعريفه، وفيه ثمانية فروع، هي:

الفرع الأول: حدّه.

الفرع الثاني: اشتقاقه.

الفرع الثالث: غايته ومنفعته.

الفرع الرابع: مرتبته بين العلوم.

الفرع الخامس: صلته بالفقه.

الفرع السادس: حُكمه.

الفرع السابع: أسماؤه.

الفرع الثامن: تمييزه عن الفلسفة.

المطلب الثاني: نشأته وأهم مدارسه.

الفرع الأول: نشأته.

الفرع الثاني: أهم مدارسه.

المطلب الثالث: مشروعيته.

- المبحث الثاني: العبادة قاعدة التصوف.



الفصل الأول

التعريف بعلم التصوف وبيان صلته بالعبادات

لبيان أثر علم التصوف وتأثيره على العبادات وما ينتج عن ذلك من تراث فقهي صوفي عظيم يمكن للأمة الإسلامية الإنتفاع منه لاستكمال فهمها عن الشريعة الإسلامية بكل جوانبها الظاهرة والباطنة، احتجنا توضيح وتقريب هذا الفن الملقب بعلم التصوف من حيث تعريفه وكيفية نشوئه وتطوره في المحيط الإسلامي وبيان مشروعيته وحاجة الأمة له، كي تكون لها قاعدة روحية متينة تضاف إلى جانب أعمال الجوارح، تبني عليها أحكام الدين بناءً متاصلاً قوياً.

لذا كانت خطة الفصل الأول لهذا البحث محتوية على مبحثين: الأول بمثابة مقدمة توضيحية مجملة، والذي اقتضت الخطة تقسيمه إلى ثلاثة مطالب تشكل أركاناً للمقدمة التوضيحية التعريفية لهذا الفن، وهي:

المطلب الأول: تعريفه، ويدخل تحت هذا المطلب الفروع الثمانية التي تمثل أساس التعريف.

والمطلب الثاني: نشأته وأهم مدارسه، والذي يبين الظروف والأسباب التي أدت إلى نشوء هذا العلم ومدارسه.

والمطلب الثالث: مشروعيته، والذي يبين مستند هذا العلم من الأدلة الشرعية.

ولبيان أثر هذا العلم وصلته بالعبادات، جاء المبحث الثاني تحت عنوان: (العبادة قاعدة التصوف) والذي يبين مدى الإرتباط والتداخل بين هذا العلم بكل تفاصيله، وبين العبادة بكل تدرجاتها.

المبحــث الأول

علم التصوف تعريفه ونشأته ومشروعيته

المطلب الأول: تعريف بعلم التصوف

الفــرع الأول: حــدّه[1].

ذهب العلماء في تعريف التصوف إلى مذاهب شتى بلغت زهاء الألفــين، فلا يوجد علم على وجه الأرض كثرت تعريفاته وتعددت اتجاهاته مثل التــصوف، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة إدراك جوانب التصوف كلها إدراكاً يمكــن بــه جمعها في لفظ قليل دالٍ عليها، فما يدركه أحدهم غير ما يدركه الآخر مــن حيــث العلم والعمل والذوق والحال والمقام، ومما زاد من صعوبة استيعابه أن أصــحاب التصوف يتحدثون بلغة خاصة يسود فيها المعنى المجازي والرمزي[2]، بل نجد أن الكثير منهم قد آثر الصمت فلم يحاول أن يضع لتجربته الروحية تفسيراً أو تعليلاً، وإنما وصف ما أدركه أو شاهده أو كُشف له من الأحوال بأنها أمــور ذوقيــة أو وجدانية لا تفي اللغة بالتعبير عنها أو ترجمتها بالألفاظ[3]، لذا فليس من السهولة أن

---

(١) الحدُّ: قول دال على ما هية الشيء، وهو على قسمين، تام وناقص، فالحد التام هو: ما يتركب من الجنس والفصل القريبين كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق، وأما الناقص فهو: ما يكــون بالفصل القريب وحده أو به وبالجنس البعيد كتعريف الإنسان بالناطق أو بالجــسم النــاطق. ينظر: التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـــ)/ تحقيق: إبــراهيم الأبيــاري/ دار الكتاب العربي/ ط١/ بيروت- ١٤٠٥هــ/ ص١١٢.

(٢) ينظر: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي لعبد القادر أحمد عطــا/ دار الجيل/ ط١/بيروت- ١٩٨٧م/ ص١٨٤، وما هو التصوف للشيخ أمــين عــلاء الــدين النقشبندي/ تقديم الشيخ عبد الكريم المدرس/ ص٤٨.

(٣) ينظر: التصوف الثورة الروحية في الإسلام لأبي العلا عفيفي/ دار الشعب/ القاهرة- مــصر/ ص٣٤.

نجد للتصوف تعريفاً جامعاً مانعاً، فهو يشبه التعريف بطعم ثمرة فاكهة لشخص لم يذقها في حياته، فالتصوف أمر وجداني وإشراق إلهي ومقام معنوي، فكيف يعرف به من لم يذق شيئاً منه ولم يدخل ميدانه؟ قال الجنيد[1]- رحمه الله تعالى.

علـم التصـوف علمٌ ليس يعرفه . إلاَّ أخو فطنةٍ بالحق معـروفُ

وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوءَ الشمسِ مكفوفُ[2]

ولكن رغم ذلك سأحاول أن أذكر بعضاً منها مما أراها أكثـر التعريفـات إلماماً بأكبر قدر ممكن من جوانب التصوف مبينة التعريف المختار من بيـنهم إن شاء الله[3]:

١- تعريف الجنيد (رحمه الله تعالى) للتصوف بأنه: تصفية القلـب عـن موافقـة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخمـاد الـصفات البـشرية، ومجانبـة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بـالعلوم الحقيقيـة،

---

(١) الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الحزاز القواريري، كان أبوه يبيع الزجاج وكـان هـو خزازاً، وأصله من نهاوند ومولده ومنشأه ببغداد، لقي خلقاً من العلماء، وكان في أول أمـره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث مثل أبي ثور فأحكم الأصول، وصـحب خالـه الـسري، والمحاسبي، فسلك مسكلهما في التحقيق بالعلم، وتوفي- رحمه الله تعالى- في شـوال سـنة (٢٩٨هـ) وقيل (٢٩٧هـ). ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (ت ٤٣٠هـ) /دار الكتب العلمية/ ط٢/ بيروت- ١٩٨٨م/ ج١٠/ ص٢٥٥، وصفه الصفوة لجمال الدين عبد الرحمن بن الجـوزي (ت ٥٩٧هـ)/ تحقيـق: محمـود فاخوري/ دار الوعي/ ط١/ حلب- ١٩٦٩م/ ج٢/ ص٢٧٠.

(٢) تاج العرافين الجنيد البغدادي/ دراسة وجمع وتحقيق: د. سعاد الحكـيم/ دار الـشروق/ ط١/ القاهرة- ٢٠٠٤م/ ص١٧٣.

(٣) سأرتب هذه التعريفات بتقديم ما كان مشتملاً منها على الحد ثم الرسم؛ لشرف الحد على مـا سواه لكونه بالذاتيات، ومن دون مراعاة الترتيب الزمني للمؤلفين.

واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، وأتباع الرسول (ﷺ) في الشريعة[1][2].

٢- تعريف رويم[3] (رحمه الله تعالى) له بأنه: استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده[4].

٣- وعرفه معروف الكرخي[5] (رحمه الله تعالى) بقوله: التصوف الأخذ بالحقائق

---

(١) الشريعة: هي أمر للشخص بالتزام العبودية، بحيث لا يُرى حيث نُهي، ولا يُفقد حيث أمر، فالشريعة هي ما شرعه الله تعالى من الأحكام أمراً ونهياً على لسان رسوله (ﷺ)، وتشتمل الأحكام الأصولية (العقيدة)، والتهذيبية (التصوف والأخلاق) والعملية (الفقه). ينظر: السير والسلوك إلى ملك الملوك للشيخ قاسم بن صلاح الدين الخاني (ت ١١٠٩هـ)/ تحقيق: سعيد عبد الفتاح/ مكتبة الثقافة الدينية/ ط١/ القاهرة ٢٠٠٢م/ ص٤٣، وأسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية د. مصطفى الزلمي/ الدار العربية للطباعة/ ص١٥-١٦.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)/ ضبطه وعلق عليه: أحمد شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٩٣م/ ص١٩-٢٠.

(٣) رويم: هو أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي، إمام فقيه، مقرئ، عابد، زاهد، صوفي شهير من كبار مشايخ بغداد، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٠٣هـ). ينظر: حلية الأولياء: (١٠/٢٩٦)، وصفه الصفوة: (٢/٤٤٢).

(٤) اللمع في التصوف لأبي نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ)/ صححه واعتنى به: رينولد الت نيكلسون/ مطبعة بريل/ ليدن- ١٩١٤م/ ص٢٥.

(٥) معروف الكرخي: هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، من جلّة المشايخ وقد مانهم ورعاً وتقوى، صحب داود الطائي، وكان استاذ السري السقطي، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٢٠٠هـ). ينظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ)/ تحقيق: نور الدين شريبة/ مطبعة المدني/ ط٣/ مصر- ١٩٨٦م/ ص٨٣، والطبقات الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) ضبطه وصححه: خليل المنصور/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٩٧م/ ج١/ص٧٢.

واليأس مما في أيدي الخلائق[١].

٤- وعرفه الإمام الغزالي[٢] (رحمه الله تعالى) بأنه: قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب من غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله[٣].

٥- وعرفه أبو الحسن البوسنجي[٤] (رحمه الله تعالى) بقوله: التصوف عندي فقر القلب وخلو اليدين وقلة المبالاة بالأشكال، فأما فقر القلب ففي قول الله (عزوجل): ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾[٥]، وخلو اليدين لقول

(١) الرسالة القشيرية في علم التصوف للإمام أبي القاسم القشيري/ تعليق الأمام زكريا الأنصاري/ دار التربية/ بغداد- العراق/ ص٢١٧- ٢١٨.

(٢) الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الإمام البحر، حجة الإسلام، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، من مؤلفاته (إحياء علوم الدين) و (المستصفى)، و (المنقذ من الضلال) و (تهافت الفلاسفة) وغيرها كثير. توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٥٠٥هـ) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، دار المعرفة، ط٢، بيروت- لبنان، ج٦/ص١٩١، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ج١٩/ص٣٢٢.

(٣) المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) بقلم د. عبد الحليم محمود/ دار الكتب الحديثة/ ط٦/ القاهرة- ١٩٦٨م/ ص١٢٦.

(٤) البوسنجي: هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسين البوسنجي، أحد فتيان خراسان، سكن نيسابور ولقي أبا عثمان وابن عطاء والحريري وأبا عمر والدمشقي، وله مؤلفات منها: (البيان الشافي في المعارف والتوحيد) و (الفتوة والتجريد) توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٤٨هـ). وينظر: حلية الأولياء: (٣٧٩/١٠).

(٥) سورة الحشر: آية (٨).

الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[1]، وقلة المبالاة، في قوله (عزوجل): ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[2][3].

٦- وعرفه ابن القيم[4] (رحمه الله تعالى) بأنه زاوية من زوايا السلوك[5] الحقيقي، وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها[6] إلى صحبة الرفيق الأعلى

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٧٤).

(٢) سورة المائدة: آية (٥٤).

(٣) كتاب الزهد الكبير لأبي بكر احمد بن حسين بن علي بن عبد الله البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/ تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر/ مؤسسة الكتب الثقافية/ ط٣/ بيروت- ١٩٩٦م/ ج٢/ص٢٩٠ رقم ٧٥٨.

(٤) ابن القيم: هو محمد بن أيوب بن سعد بن حريز الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، العلامة الكبير المجتهد، ولد سنة (٦٩١هـ)، وسمع من شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ الفرائض عن أبيه، برع في جميع العلوم، وله عدة تصانيف منها: (الفوائد)، و (مدارج السالكين) وغيرها. توفي- رحمه الله تعالى- في رجب سنة (٧٥١هـ). ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت- لبنان/ ج٢/ ص١٤٣.

(٥) السلوك: هو السير إلى الله تعالى بلا سكون، حتى يكون آخر القدم إليه تعالى كما في قوله- جل وعلا- ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾- سورة النجم: آية (٤٢)، وعلاماته: وجدان أنس الوحدة الذي يحصل به التطهير، ووجد ان أنس الذكر الذي يحصل به التنوير، ووجد أن أنس الحق الذي يحصل به استغراق الوقت في الله، فيصير ذلك حالاً. ينظر: بهجة الطائفة وصوم القلب لضياء الدين أبي ياسر عمار البدليسي (ت٥٩٠هـ)/ تحقيق: إدوارد بدين/ الشركة المتحدة/ ط١/ بيروت- ١٩٩٩م/ ص٨٤- ٨٥.

(٦) السير: هو ترقي القلوب في الوقائع، ثم في المقامات، ثم في الأحوال، ولا يصح الترقي إلاّ بعد التطهير، فإذا تطهر وتنور يكون قد أثرّت فيه حقيقة الإنقطاع إلى الله وهي الخلوة. ينظر: المصدر نفسه: ٨٤.

ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب[1].

٧- وعرفه أبو حنيفة النعمان[2] (رحمه الله تعالى) بأنه: الصبر تحت مجاري الأقدار والأجر من الملك، وقطع الفيافي والقفار خوفاً من صولة النار[3].

ويقاربه في المعنى تعريف ابن نجيد[4] (رحمه الله تعالى): التصوف الصبر تحت الأمر والنهي[5].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لإبن قيم الجوزية/ دار إحياء التراث العربي/ ط١//بيروت/ ج٢/ ص٣١٧.

(٢) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت الفقيه المجتهد المحقق الإمام أحد أئمة المذاهب الأربعة، وأحد علماء مدرسة التصوف في الكوفة، قال الإمام الشافعي في حقه: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، من مؤلفاته: (الفقه الأكبر) و (رسالة العالم والمتعلم) وغيرها، توفي –رحمه الله تعالى- سنة (١٥٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن خلكان (ت٦٨١هـ)/ تحقيق: محمد محي الدين/ مكتبة النهضة المصيرية/ ط١/ القاهرة- ١٩٤٨م/ج٥/ ص٣٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)/ المكتبة السلفية/ المدينة المنورة/ج١٣/ ص٣٢٣.

(٣) من التراث الصوفي لسهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ)/ تحقيق: د. محمد كمال ابراهيم/ ط١/دار المعارف/ مصر- ١٩٧٤م/ ج١/ ص٤١٣.

(٤) ابن نجيد: هو أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد السلمي، من أكبر مشايخ عصره، سمع الحديث ورواه واسنده، وكان ثقة، من أقواله: من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها. توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٦٦هـ). ينظر: طبقات الصوفية للسلمي ٤٥٤- ٤٥٨، والطبقات الكبرى للشعراني:(١/١٢٠).

(٥) طبقات الصوفية للسملي: ٤٥٤، والإستقامة لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)/ تحقيق: د. محمد رشاد سالم/ جامعة الإمام محمد بن سعود/ ط١/ المدينة المنورة- ١٤٠٣هـ/ ج١/ص٩٩.

٨- وعرفه قاسم الخاني[١] (رحمه الله تعالى) بأنه: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً، فيُرى حكمها من الظاهر في الباطن، ومن الباطن في الظاهر، فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال[٢] .

٩- وعرفه أبو عمرو الدمشقي[٣] (رحمه الله تعالى) بقوله: التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص[٤].

١٠- وعرفه محمد الباقر[٥] (رحمه الله تعالى) بقوله: التصوف خلق، فمن زاد

---

(١) الخاني: هو قاسم بن صلاح الدين الخاني الحلبي الحنفي الشيخ الصوفي الفاضل، ولد سنة (١٠٢٨هـ) تنقل بين بغداد والبصرة ومكة والحجاز واسلامبول، وتتلمذ على يد الشيخ أبي الوفا العرضي والشيخ أحمد الخمصي، وعمل بالمدرسة الأشرفية، ثم توجه للإفتاء في المدرسة الحلوية، من مؤلفاته: (السير والسلوك إلى ملك الملوك)، و(سر فتح الملك المجيد) وغيرها. توفي- رحمه الله تعالى سنة (١١٠٩هـ) ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي/ مكتبة المثنى/ بيروت- ١٩٥٥م/ ج١/ ص٨٣٣.

(٢) السير والسلوك للخاني: ٤٣.

(٣) أبو عمرو الدمشقي: من أجل مشايخ الشام، كان عالماً بعلوم الحقائق، صحب أبا عبد الله بن الجلاء وأصحاب ذي النون المصري، له كتاب في الرد على من قال بقدم الأرواح، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٢٠هـ) ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: ٢٧٧، الطبقات الكبرى للشعراني: (١/٨٠).

(٤) معناه: أن يغضّ السالك طرفه عن الكون حتى لا تكون رؤيته للكون حجاباً له عن الحق. ينظر: حلية الأولياء للأصفهاني: (١٠/٣٤٦)، وكشف المحجوب لأبي الحسن علي بن عثمان الهجويري (ت ٤٩٢هـ)/ دراسة وتعليق: د. سعاد عبد الهادي/ دار النهضة العربية/ بيروت- ١٩٨٠م/ ص٢٣٣.

(٥) محمد الباقر: هو أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان عالماً وسيداً كبيراً، ويحب أبا بكر الصديق (ﷺ) ويقول: من لم يقل له الصديق فلا=

عليك في الخلق زاد عليك في التصوف[1].

١١- وعرفه النصر آباذي[2] (رحمه الله تعالى) بقوله: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات[3].

١٢- وقال زكريا الأنصاري[4] (رحمه الله تعالى): التصوف هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية[5].

=صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة. توفي- رحمه الله تعالى- سنة (١١٣هـ) وقيل (١١٧هـ)، ودفن بالبقيع وأوصى بأن يكفنّ في قميصه الذي كان يصلي فيه. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: (١/٤٥٠)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٢٥).

(١) كشف المحجوب للهجويري: ٢٣٤، وورد هذا القول في الرسالة القشيرية منسوباً إلى أبي بكر الكتاني- رحمه الله تعالى. ينظر: ٢١٨.

(٢) النصرآباذي: هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محويه المعروف بالنصر آباذي، نسبة إلى نصر آباذ، نيسابوري الأصل والمولد والمنشأ، كان أوحد المشايخ في وقته علماً وحالاً، كتب الحديث ورواه وكان ثقة. توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٦٧هـ) ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: ٤٨٤-٤٨٩، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/١٢٢).

(٣) مفتاح الجنة في الإحتجاج بالسنة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)/ الجامعة الإسلامية/ ط٣/ المدينة المنورة- ١٣٩٩هـ/ ج١/ص٧٢- ٧٣.

(٤) الانصاري: هو زكريا بن محمد بن أحمد الشافعي شيخ الإسلام، صوفي وقاص ومفسر ومن حفاظ الحديث، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٩٢٦هـ) ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي/ ط٣/ ج٣/ ص٨٠.

(٥) الرسالة القشيرية: ١٢ هامش رقم (٥).

١٣- وقال زروق[١] (رحمه الله تعالى): التصوف علم قُصِدِ لإصلاح القلوب، وإفرادها لله عما سواه[٢].

١٤- وقال ابن عجيبة[٣] (رحمه الله تعالى) في تعريفه: هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوّله علم ووسطه عمل وآخره موهبة[٤].

---

(١) زروق: هو أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي المغربي الشهير بزروق نسبة إلى جده لأنه كان أزرق العينين، ولد في محرم سنة (٨٤٦هـ)، كانت جدته فقيهة صالحة وقد تولت تربيته بعد وفاة والديه، ثم تلقى العلم عن عدة مشايخ بفاس منهم أبو العباس المكناسي وعبد الله القوري وغيرهم، من مؤلفاته: (قواعد التصوف)، و (عدة المريد الصادق)، و (أحكام الحج) وغيرها. توفي- رحمه الله تعالى- في صفر سنة (٨٩٩هـ) وعمره (٥٤) سنة. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الشهير بابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)/ مكتبة القدسي، القاهرة- ١٣٥٠هـ، ج٧/ص٣٦٣، والأعلام للزركلي: (٩١/١).

(٢) قواعد التصوف لأبي العباس أحمد بن رزوق ت (٨٩٩هـ)/ تحقيق: عبد المجيد خيالي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م/ ص٢٦ قاعدة رقم (١٣).

(٣) ابن عجيبة: هو أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري، ولد سنة (١١٦٠هـ) في المغرب، وهو مفسر صوفي، وله كتب عديدة منها: (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، و (أزهار البستان)، و(إيقاظ الهمم في شرح الحكم) وغيرها، توفي-رحمه الله تعالى- سنة (١٢٢٤هـ) ودفن ببلدة أنجرة بين طنجة وتطوان. ينظر: الأعلام للزركلي: (٢٤٥/١).

(٤) معراج التشوف إلى حقائق التصوف لأحمد بن محمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ)/ مطبعة الاعتدال/ سنة ١٣٥٥هـ/ ص٤.

١٥- وقال حاجي خليفة[١] (رحمه الله تعالى) فيه: هو علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال[٢] من النوع الإنساني في مدارج سعاداتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية[٣].

ومن التعريفات الحديثة المعاصرة تعريف الشيخ عبد الكريم المدرس- رحمه الله تعالى- للتصوف بأنه: تصرف الإنسان المسلم في نفسه بتنبيهها عن الغفلات وزجرها عن السيئات وتوجيهها إلى الحسنات بالإتباع الكامل بحسب الإمكان لخاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) الذي كان خُلُقه القرآن[٤].

---

(١) حاجي خليفة: هو الشيخ العارف المجذوب السالك مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة المنتشوي، كان- رحمه الله- من طلبة العلم أولاً ثم ترك طريقة العلم وانتسب إلى رحمة الشيخ محمود جلبي وحصل منه على طريقة التصوف وأكملها حتى وصل إلى مرتبة إرشاد الطالبين وأجاز له ذلك، كان رجلاً منقطعاً عن الناس مشتغلاً بالعبادة متواضعاً متخشعا أديبا لبيباً وقوراً مبارك النفس، سافر إلى الحجاز وحج وزار النبي (ﷺ) وبعد أيام مرض ومات ودفن هناك سنة (١٠٦٧هـ) رحمه الله تعالى. ينظر الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده/ دار الكتاب العربي/ بيروت- ١٣٩٥هـ/ ج١/ ص٣١٦.

(٢) المقصود بالكمال هنا هو الكمال النسبي اللائق بالإنسان، وأما الكمال المطلق فإنه لا يكون إلاّ لله- عزوجل-.

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة/ منشورات مكتبة المثنى/ بغداد/ ج١/ص٤١٣، وعرفه بنفس التعريف الشيخ صديق القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) في كتابة أبجد العلوم/ تحقيق: عبد الجبار زكار/ دار الكتب العلمية/ بيروت- ١٩٧٨م/ ج٢/ ص١٥٢.

(٤) ما هو التصوف للنقشبندي: ٥.

وتعريف الشيخ حسنين محمد مخلوف (رحمه الله تعالى) له بقوله: التصوف الإسلامي تربية علمية وعملية للنفوس، وعلاج لأمراض القلوب، وغرس للفضائل، واقتلاع للرذائل، وقمع للشهوات، وتدريب على الصبر والرضا والطاعات[1].

وهذه التعريفات القليلة المتنوعة تبين في مجموعها أن التصوف هو التخلي عن الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذه ومال وجاه، والإنقطاع لله تعالى والعكوف على عبادته، وتصفية القلوب من كدورها، ومنع النفوس حظوظها، وملازمة الكتاب والسنة والعمل في حدودهما، وهذا هو عين التصوف، وأكثر هذه التعريفات إلماماً بهذه المعاني في رأيي هو تعريف الإمام الجنيد (رحمه الله تعالى) لعلم التصوف بأنه: (تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول (ﷺ) في الشريعة)؛ وذلك لأنه اهتم بتعمير الظاهر والباطن وفق الشريعة الإسلامية، والتخلص من العوالق الحسية للوصول إلى أقصى درجات الكمال الممكنة.

الفرع الثاني: اشتقاق التصوف

تعددت الأقوال في اشتقاق كلمة التصوف قديماً وحديثاً، وفيما يأتي ذكر لأبرز هذه الأقوال وبيان الرأي الراجح فيها:

١- التصوف لفظ مشتق من (الصوف) بوصفه اللبسة الغالبة على أهله؛ لقلة كلفته جزاً وغزلاً ونسجاً وخيطاً يومئذ، فبلبسه تذلل النفوس الشاردة، ويكسر

---

(١) رسالة المسترشدين لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)/ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة/ إشراف ومراجعة: الشيخ حسنين محمد مخلوف/ مكتب المطبوعات الإسلامية/ ط٩/ بيروت- لبنان/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م/ ص٢٤.

تكبرها، فتلتزم المذلة والمهانة وتعتاد القناعة[1]. ولأنه لباس الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) وشعار الأولياء والأصفياء[2] وفي ذلك تكثر الروايات والأخبار[3]، فقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (يوم كلّم الله موسى كانت عليه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف وكمّه صوف ونعلاه من

---

(١) ينظر: اللمع للطوسي: ٢١، والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٠، وحلية الأولياء للأصفهاني: (٢٠/١) والرسالة القشيرية: ٢١٧، وعوارف المعارف للإمام شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ)/ ضبطه: محمد عبد العزيز الخالدي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٩٩م/ ص٤١، وسراج القلوب للشيخ محمد عثمان النقشبندي/ مطبعة النواعير/ ط١/ الرمادي- ١٩٩٠م/ ص٢٣.

(٢) ينظر: اللمع للطوسي: ٢١، وعوارف المعارف للسهروردي: ٤١، وصفوة التصوف لإبن القيسراني المقدسي (ت ٥٠٧هـ)/ تحقيق: غادة المقدم/ دار المنتخب العربي/ ط١/بيروت- ١٩٩٥م/ ص٩٣- ٩٤.

(٣) ومنها رواية أبي موسى الأشعري (ﷺ) (كان رسول الله (ﷺ) يركب الحمار ويلبس الصوف ويعتقل الشاة ويأتي مدعاة الضعيف)، ورواية الحسن البصري (ﷺ) (كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر ويأكل من الشجرة ويبيت حيث أمسى) وقوله أيضاً (والله لقد أدركتُ سبعين بدرياً ما كان لباسهم إلاّ الصوف). ينظر: المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية/ ط١/بيروت- ١٩٩٠م/ ج١/ص٦١ وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٤، وحلية الأولياء للأصفهاني: (١٣٤/٢).

جلد ذكي[1])[2]، وقال (ﷺ): (لقد مرَّ بالصخرة من الروحاء[3] سبعون نبياً منهم نبي الله موسى حفاةً عليهم العباء[4] يؤمون البيت العتيق)[5]، وقال أبو موسى

---

(١) ذكي: من التذكية، وهو الذبح والنحر، يقال: ذَكيتُ الشاة تذكية، والإسم الذكاة، والمذبوح الذكي ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي/ مكتبة العلمية- بيروت/ ج٢/ص١٦٤.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/٤١١ رقم ٣٤٣١) وقال عنه: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه، ورواه أبو يعلى في مسنده بلفظ (ثم كلّم الله موسى وعليه جبة من صوف وكساء من صوف وسراويل من صوف وكمه صوف ونعلاه من جلد ذكي) مسند أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي/ تحقيق: حسين سليم أسد/ دار المأمون للتراث/ ط١/ دمشق- ١٩٨٤م/ ج٨/ ص٣٩٩ رقم ٤٩٨٣.

(٣) الروحاء: هي من عمل الفُرْع على نحو أربعين ميلاً من المدينة، وقيل على نحو ستة وثلاثين ميلاً، وقيل على نحو ثلاثين ميلاً. وقد ورد في صحيح مسلم عن جابر قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: (إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء) فسئل عن الروحاء فقال: هي من المدينة ستة وثلاثون ميلاً. صحيح مسلم أبي الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الحديث/ القاهرة- مصر/ ج١/ ص٢٩٠ رقم ٣٨٨ باب فضل الأذان. ينظر: معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ج٣/ص٨٧.

(٤) العباء: هو ضرب من الأكسية، والواحدة عباءة وعباية، وقد تقع على الواحد لأنه جنس النهاية في غريب الحديث: (٣/١٧٥) مادة عبا، ولسان العرب لجمال الدين محمد بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)/ الدار المصرية للتأليف والترجمة/ ج١/ص١١٨ مادة عبأ.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)/ دار الكتاب العربي/ ط٢/ بيروت- ١٩٦٧م/ من حديث أبي موسى الأشعري وحديث أنس بن مالك (ﷺ) ج٣/ ص٢٢٠ باب التواضع في الحج.

الأشعري[1] (ﷺ) لولده (يا بني لو شهدتنا ونحن مع رسول الله (ﷺ) إذا أصابتنا السماء لحسبت ريحنا ريح الضأن من لباسنا الصوف)[2]. وقد رجح علماء اللغة هذه النسبة؛ لصحتها من حيث اللغة حيث يقال: تصوف الرجل إذا لبس الصوف[3]، كما يقال: تَقمّص إذا لبس القميص[4]، واستحسنها أيضاً كثير من العلماء واهل التصوف أمثال أبي حامد الغزالي، وأبي نصر السراج[5]، وأبي نعيم الأصفهاني[6]، وأبي حفص

(١) الأشعري: هو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، ولاّه الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) البصرة ثم عزله فنزل الكوفة، فاستعمله عليها عثمان بن عفان (ﷺ) أثناء خلافته حتى قُتل. توفي (ﷺ) سنة (٤٢هـ) وقيل (٥٢هـ) ينظر: الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)/ دار صادر/ لبنان- ١٩٥٧م/ ج٢/ص٩٤-٩٥.

(٢) السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا/ دار الباز/ مكة المكرمة- ١٩٩٤م/ من حديث أبي موسى الأشعري لإبنه أبي بردة: (٤١٩/٢ رقم ٣٩٨٧) باب ما يصلى عليه وفيه من صوف أو شعر، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) في مسنده/ بلفظ مقارب: (لو شهدتنا ونحن مع رسول الله (ﷺ) إذا أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن إنما لباسنا الصوف) مسند الإمام الأحمد/ مؤسسة قرطبة/ مصر/ ج٤/ ص٤١٩.

(٣) لسان العرب لإبن منظور: (١٩٩/٩ مادة صوف)، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين أبي الفيض محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ)/ دار ليبيا للنشر- بنغازي/ ج٦/ ص١٧٠ مادة صوف.

(٤) لسان العرب لإبن منظور: (٨٢/٨ مادة قمص).

(٥) السراج: هو الإمام الشيخ الصوفي الزاهد أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، الملقب بطاووس الفقراء، توفي رحمه الله تعالى- سنة (٣٧٨هـ)، له مصنفات أشهرها: (اللمع في التصوف). ينظر: شذرات الذهب لإبن عماد الحنبلي: ٣.

(٦) الأصفهاني: هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أسحق الأصفهاني، عالم جليل، وصوفي مشهور، من أشهر مؤلفاته كتاب (حلية الأولياء) توفي- رحمه الله تعالى- سنة=

السهروردي[1]، وابن تيمية[2] (رحمهم الله تعالى)، والغالبية العظمى من الباحثين المحدثين منهم إبراهيم بسيوني، وعبد الحليم محمود، وزكي مبارك، وأبو الوفا الغنيمي، وعلي عبد الفتاح المغربي[3].

=(٤٣٠هـ) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)/ مكتبة المعارف والنصر/ ط١/بيروت- لبنان/ ج٢/ص٤٥، والطبقات الكبرى للشعراني: (٦٥/١).

(١) السهروردي: هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي الصوفي الحكيم الزاهد شيخ الإسلام وإمام الوقت وفريد العصر، يرجع نسبه إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق (ﷺ). ولد في رجب سنة (٥٩٣هـ) بسهرورد، وصحب عمه الشيخ أبا النجيب عبد القاهر وعنه أخذ التصوف والوعظ، كما صحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وأبي الفتح بن البطيّ وغيرهم. كان فقيهاً شافعي المذهب، أصولياً، أديباً، شاعراً، له مؤلفات منها: (عوارف المعارف)، و (بستان القلوب)، و(البارقات الإلهية)) وغيرها، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٦٣٢هـ). ينظر: شذرات الذهب: (١٨٣/٥).

(٢) ابن تيمية: هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام الإمام المجتهد الفقيه الأصولي المحدث المفسر النحوي الأديب القدوة الزاهد العابد، ولد في حران سنة (٦٦١هـ)، تتلمذ على يد والده، وشمس الدين أبي قدامة، والمجد بن عساكر وغيرهم، من أهم مصنفاته: (فتاوى ابن تيمية)، و (منهاج السنة النبوية)، و (السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية) توفي- رحمه الله تعالى في دمشق سنة (٧٢٨هـ) ينظر: البدر الطالع للشوكاني: (٧٦٣/١).

(٣) ينظر: نشأة التصوف الإسلامي لإبراهيم بسيوني/ دار المعارف/ القاهرة- مصر/ ص١٥، وقضية التصوف المنقذ من الضلال لعبد الحليم محمود/ دار المعارف/ ط٣/ القاهرة- ١٩٨٨م/ ص٣٤، ومدخل إلى التصوف الإسلامي لأبي الوفا الغنيمي التفتازاني/ دار الثقافة للنشر والتوزيع /ط٣/ القاهرة- ١٩٧٩م/ ص٢١، ودراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية د. علي عبد الفتاح المغربي/ مكتبة وهبة/ ط١/ القاهرة- مصر/ ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م/ ص١٨٥.

٢- إن التصوف مشتق من (الصُفَّة)؛ لتقارب أوصاف أهل التصوف من أوصاف أهل الصُفَّة، فالصُفَّة هي مؤخرة مسجد الرسول (ﷺ) التي بناها لفقراء المهاجرين الذين لا ملجأ لهم ولا عمل فكانوا يأوون إليها وينقطعون إلى الله تعالى بالعبادة والتبتل إليه، فكانت حياتهم تعبدية خالصة وكذا هو حال الصوفية في اجتماعهم قديماً وحديثاً في الزوايا والربط من أجل العبادة والذكر(١).

لكن هذا الإشتقاق لا يستقيم مع مقاييس اللغة، فالنسبة إلى الصُفَّة تأتي على نحو صُفِّي وليس صوفياً(٢).

٣- إنه مشتق من (الصَّف)؛ انتساباً إلى أولئك الذين كانوا يحافظون على الصلوات في جميع أوقاتها ويأتون مبكرين إلى المساجد ليكونوا في الصف الأول بين يدي الله (عزوجل) وهممهم مرتفعة إليه، وقلوبهم مقبلة عليه، وسرائرهم مكشوفة بين يديه(٣).

---

(١) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي:١٠، وعوارف المعارف للسهرودي: ٤٢، ونشأة التصوف الإسلامي لإبراهيم بسيوني: ٩، ومعالم الطريق إلى الله الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة على أضواء من نور الإسلام والإيمان والإحسان لمحمود أبي الفيض المنوفي/ دار نهضة مصر/ القاهرة-١٩٦٩م/ ص٢٣٠، وشرح تائبة السلوك إلى ملك الملوك للسيد أحمد عرب الشرنوبي (ت ٩٩٤هـ)/شرحها وحققها الشيخ عبد المجيد الشرنوبي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ٢٠٠٢م/ ص٩-١٠.

(٢) تاج العروس: (١٧٠/٦ مادة صوف).

(٣) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٠، والرسالة القشيرية: ٢١٧، وعوارف المعارف: ٤٢، ونشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية لبعد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ)/ تحقيق: عبد الناصر سعدي/ مكتبة الثقافة الدينية/ ط١/ القاهرة- ٢٠٠٤م/ ج٢/ص٦٩٨، ودراسات عقلية لعلي المغربي: ١٥٦.

لكن هذا الإشتقاق وإن صح من حيث المعنى فلا يصح من حيث اللغة، لأنه لو كان كذلك لقيل: صَفّي وليس صوفياً[١].

٤- إن نسبة هذه الكلمة ترجع إلى (صُوفة)، وهي قبيلة في الجاهلية انقطع قومها إلى الله (عزوجل) وقطنوا الكعبة واشتهروا بخدمته تعالى عند بيته الحرام وخدمة الحجيج، وينسبون إلى رجل هو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ويُعرف باسم صوفة[٢]، فمن تشبه بهم في التنسك والتعبد سُمي صوفياً[٣].

لكن النسبة وإن كانت موافقة من جهة اللفظ، إلاّ أنها ضعيفة أيضاً؛ لأن هؤلاء القوم غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك، وغالب من تكلم باسم- الصوفي- لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام، كما إنه لو نُسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى[٤].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي/ تحقيق: محمود خاطر/ المطابع الأميرية/ ط٩/ القاهرة- ١٩٦٢م/ ج١/ ص١٥٣ مادة صفف، وتاج العروس للزبيدي: (١٦٧/٦ مادة صفٍ).

(٢) صوفة: سمي الغوث بن مر باسم صوفة؛ لأنه ما كان يعيش لأمه ولد، فنذرت لئن عاش لتعلق برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيط الكعبة، ففعلت، فقيل له صوفة، ولولده من بعده. ينظر: تلبيس إبليس لأبي الفرج ابن الجوزي/ دار العلوم الحديثة/بيروت- لبنان/ ص١٦١، وترتيب القاموس المحيط لطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي/ مطبعة الرسالة/ ط١/القاهرة- ١٩٥٩م/ ج٢/ص٨٦٩.

(٣) ينظر: حلية الأولياء للأصفهاني: (٢٠/١)، وتلبيس إبليس لإبن الجوزي: ١٦١، والقاموس المحيط لمجد الدين محمود بن يعقوب الفيروز آباذي (ت ٨١٧هـ)/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ ط٢/ مصر- ١٩٥٢م/ ج٣/ ص١٦٤، وصفوة التصوف للمقدسي: ٨٠.

(٤) ينظر: مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)/ تقديم: د. سيد حسين العفاني/ تحقيق: خيري سعيد/ المكتبة التوفيقية/ القاهرة- مصر/ ج١١/ ص٧.

٥- إنه مشتق من (الصَفَاء)؛ لصفاء قلوب أهل التصوف في معاملتهم مع الله تعالى، ونقاء سرائرهم وطهارة نفوسهم من الرذائل[١]، فالعبد إذا صفا من كدر البشرية يقال إنه قد صُوفيَّ فهو صوفي[٢]. وممن قال بهذا بشر الحافي[٣] (رحمه الله تعالى) الذي عرّف الصوفي بقوله: (الصوفي من صفا قلبه لله)[٤]، وأبو الفتح البستي[٥] (رحمه الله تعالى) الذي أنشد قائلاً:

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا جهلاً وظنوه مشتقاً من الصوفِ

ولستُ أنْحَلُ هذا الإسم غير فتى صافى فَصُوفي حتى سُمي الصُوفي[٦]

غير أن هذا الإشتقاق بعيد في مقتضى اللغة، لأن النسبة إليه هي صَفَي

---

(١) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ٩، وحلية الأولياء للأصفهاني: (١/١٧)، والرسالة القشيرية: ٢١٧، وكشف المحجوب للهجويري: ٢٢٧- ٢٣١، وبهجة الطائفة للبدليسي: ٥٩، وقواعد التصوف لزروق: ٢٤.

(٢) ينظر: اللمع للطوسي: ٢٦.

(٣) بشر الحافي: هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي الصوفي المشهور، ولد في بغداد سنة (١٥٠هـ) ورحل في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة وسمع من خلق كثير، غير أنه لم يتصدَّ للرواية فلم يضبط عنه من الحديث إلاّ اليسير. توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٢٢٧هـ) لعشر بقين من ربيع الأول، وقيل لعشر خلون من محرم، وقد بلغ من العمر (٧٥) سنة وقيل (٧٧) سنة. ينظر: صفة الصفوة لإبن الجوزي: (٢/٢١٤-٢٢١)، وحلية الأولياء لأصفهاني: (٨/٣٣٠- ٣٣٦).

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٠.

(٥) البستي: هو أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي شاعر عصره وكاتبه، ولد في بست قرب سجستان وإليها نسبته، توفي سنة (٤٠٠هـ) في بلدة أوزجند ببخارى. ينظر: وفيات الأعيان لإبن خلكان: (١/٣٥٦).

(٦) قواعد التصوف لزروق: ٢٤.

وليس صوفياً[1].

٦- وهناك من يزعم أن لفظ الصوفي مأخوذ من أصل يوناني هو كلمة (سوفيا) اليونانية والتي تعني الحكمة[2] في محاولة لإرجاع التصوف الإسلامي إلى الفلسفة الأفلاطونية، وأشهر من ذهب إلى هذا الرأي أبو الريحان البيروني[3] والمستشرق جوزيف فون هارمر وغيرهم[4]، حيث يقولون: إن الصوفية قد لقبوا بذلك نسبة إلى الحكمة؛ لأنهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثاً فلسفياً، ولأنهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عُرفوا بهذه الصفة إلاّ بعد ترجمة كتب اليونان إلى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها[5].

ورأيهم هذا مردود من عدة وجوه منها:

أ- إن كلمة التصوف والصوفي كانت موجودة قبل ترجمة الحكمة اليونانية إلى اللغة العربية، فقول البيروني نفسه: (ولمّا ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من

---

(١) لسان العرب لابن منظور: (٤٦٢/١٤ مادة صفا).

(٢) التفكير الفلسفي الإسلامي لسليمان دنيا/ مكتبة الخانجي/ مصر/، ص١٤.

(٣) البيروني: هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، فيلسوف رياضي مؤرخ من أهل خوارزم، ولد سنة (٣٦٠هـ)، وأقام في الهند بضع سنين، له مؤلفات عدة اشهرها: (الأثار الباقية عن القرون الخالية). توفي في خوارزم سنة (٤٤٠هـ) ينظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الحموي/ مطبعة أمين/ ط٢/ سنة ١٣٥٤هـ/ ج٦/ص٣٠٨.

(٤) كالباحثين: جورجي زيدان، وعبد العزيز الإسلامبولي، ومحمد لطفي جمعة. ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان/ ط١٩٣٦م/ ج٢/ ص٣٢٢، والتصوف الإسلامي لزكي مبارك: (٥٤/١)، وقضية التصوف لعبد الحليم محمود: ٢٩-٣٤، ودراسات عقلية وروحية لعلي المغربي: ١٥٨.

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان: (٣٢٢/٢).

رأيهم- يعني الفلاسفة اليونانيين- سموا بإسمهم)[١] لا يستقيم إلاّ على اعتبار أن لفظ (الصوفي) قد نشأ في الإسلام بعد أن عُرفت الكلمة اليونانية (سوفيا)، وعُرف معناها وتداولتها الألسنة، أي حوالي منتصف القرن الثالث الهجري، بينما كلمة (صوفي) قد عرفت قبل ذلك بكثير[٢]- كما سيأتي بيانه في نشأة التصوف- .

ب- إن الحرف سيجما اليوناني يُمَثّل في العصور المتأخرة بحرف السين العربي في جميع ما عُرّب من كلمات يونانية لا بحرف الصاد، فنحن نقول في (فيلوسوفيا)، فلسفة لا فلصفة، فلو كانت صوفي مشتقة من أصل يوناني لكان بقاء الصاد في أولها خروجاً على القياس[٣].

جـ- إن الفلسفة عند اليونان القدماء كانت تهتم بالعلوم الطبيعية، وكان كثير من فلاسفتهم أطباء، ولذلك كان العرب يسمون الطب بالحكمة، والطبيب حكيم،و الفلسفة نفسها سماها العرب (الحكمة)، فهم عرفوا من سوفيا (الفلسفة والطب)، أما الحكمة الروحانية فمن البعيد أن يكونوا لمحوها؛ لأنهم كانوا يرون اليونان من عبدة الأوثان[٤].

٧- وهناك نسبة ضعيفة لم تجد عند الباحثين استحساناً وهي أن كلمة الصوفية أطلقت على مدرسة من مدارس التنسك نشأت في الكوفة سنة (١٩٩هـ)، ثم

---

(١) قضية التصوف لعبد الحليم محمود: ٣٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠، وما هو التصوف للنقشبندي: ٣٨.

(٣) ينظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكلسوم/ ترجمة: د. أبو العلا عفيفي/ سنة ١٩٤٧م/ ص٦٧، ودراسات عقلية وروحية لعلي المغربي: ١٥٨.

(٤) ينظر: قضية التصوف: ٣٣.

أطلق هذا الإسم على متنسكة العراق ليميزهم عن متنسكة خراسان، ثم أطلقت كلمة الصوفية بعد ذلك على جميع النساك من المسلمين بلا استثناء[١].

والسبب الذي يضعف هذه النسبة هو أن الحسن البصري[٢] (ﷺ) المتوفي سنة (١١٠هـ) كان يعرف اسم الصوفية، فقد روى عنه أنه قال: (رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق[٣] فيكفيني ما معي)[٤]، وكذلك سفيان الثوري[٥] (رحمه الله تعالى) المتوفى سنة (١٦١هـ) قد

(١) ينظر: البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ/ تحقيق: حسن السندوبي/ المكتبة التجارية الكبرى/ بيروت- لبنان/ ج١/ص١٩٤، ونشأة التصوف الإسلامي لبسيوني: ١١٤، ودائرة المعارف الإسلامية/ ترجمة أحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي، وعبد الحميد يونس/ مصر/ ج٥/ ص٢٦٦ مادة تصوف، والتصوف الإسلامي لعبد القادر عطا: ١٨٠.

(٢) البصري: هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، الإمام العالم الزاهد العارف بالله من سادات التابعين وكبرائهم، ولد في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ) وحنّكه عمر بيده وكان أبوه مولى لزيد بن ثابت (ﷺ)، وأمه مولاة أم سلمة(رضي الله عنها) زوج النبي (ﷺ)، يقال إنه من سبي ميسان وقع إلى المدينة فاشترته الربيع بنت النضر عمه أنس بن مالك (ﷺ) فاعتقته. توفي(رحمه الله تعالى) سنة (١١٠هـ) ينظر: صفة الصفوة لإبن الجوزي: (١٥٤/٣)، وحلية الأولياء للأصفهاني: (١٣١/٢-١٦١).

(٣) دوانيق: جمع دانق، والدانق بفتح النون وكسرها: سدس الدرهم. ينظر: لسان العرب لإبن منظور: (١٠٥/١٠ مادة دنق).

(٤) اللمع للطوسي: ٢٢، ونشر المحاسن الغالية لليافعي: (٧٠٠/٢).

(٥) سفيان الثوري: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ وسيد العلماء العاملين في زمانه، ولد سنة (٩٧هـ) في خلافة سليمان بن عبد الملك، وأخذ العلم عن شعبة وهو ابن ثلاثين سنة فلقبه بأمير المؤمنين في الحديث، توفي – رحمه الله تعالى- في البصرة سنة (١٦١هـ). وينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (١٥/٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي: (٢٢٩/٧- ٢٨٥).

عرف هذا الإسم أيضاً، فهو القائل: (لولا أبو هاشم الصوفي ماعرفت دقيق الرياء)[1].

٨- أما الإمام القشيري[2] (رحمه الله تعالى) فيرى أن التصوف اسم جامد غير مشتق وأن هذه التسمية قد غلبت على هذه الطائفة- يعني النساك، فيقال رجل صوفي، وللجماعة صوفية، ومن يتوصل[3] إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة، إذ أن هذه الطائفة أشهر من أن يُحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق، فالأظهر فيه أنه كاللقب[4].

ويوافقه في هذا الرأي الإمام الهجويري[5] (رحمه الله تعالى) حيث يقول: (واشتقاق هذا الإسم- يعني التصوف- لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى؛ لأن هذا الإسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه)[6].

---

(١) اللمع للطوسي: ٢٢، وعوارف المعارف للسهروردي: ٤٣، ونشر المحاسن لليافعي: (٢/٧٠٠).

(٢) القشيري: هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلمة النيسابوري، من جِلّة مشايخ الصوفية، له تصانيف في التصوف أشهرها: (الرسالة القشيرية)، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٤٦٥هـ) ينظر: البداية والنهاية لإبن كثير: (١٢/١٠٧).

(٣) التوصل يتم بالإكتساب والتشبه بأهل التصوف. ينظر: الرسالة القشيرية- هامش رقم (٣) للشيخ زكريا الأنصاري: ص٢١٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٦-٢١٧.

(٥) الهجويري: هو أبو الحسن علي بن عثمان الغرنوي، لُقب بالهجويري نسبة إلى هجوير بضم الهاء وسكون الجيم بلدة من مضافات غزنين، له مصنفات منها: (كشف المحجوب)، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٤٩٢هـ). ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١٤٦٤.

(٦) كشف المحجوب: ٢٣٠.

الرأي الراجح:

بعد استعراض أهم الآراء القائلة باشتقاق التصوف، أجد أن أقربها إلى الصواب هو الرأي القائل إن التصوف مشتق من الصوف وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء، فبالإضافة إلى ما ذكرنا من صحة هذه النسبة من حيث اللغة، هناك أسباب أخرى تؤكدها وتقويها ومن أبرزها:

١- إن إسم الصوفية قد أطلق على هؤلاء القوم نسبة إلى ظاهر اللبسة وليس إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي عُرفوا بها، كحال طائفة من خواص أصحاب عيسى (عليه السلام) الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز ونسبهم إلى ظاهر لبسهم، في قوله- عزوجل- ﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**﴾[1] فالحَوَار هو البياض الشديد[2]، وكانوا معروفين بلبس البياض[3]، فنسبهم الله تعالى إليه ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأخلاق التي كانوا متسمين بها[4].

٢- إن حال أهل التصوف هو حال المقربين، ولمّا كانت الإشارة إلى قرب الله (عز وجل) أمر صعب يعزُّ كشفه ويعظم قوله، وقعت الإشارة إلى زيهم؛ ستراً لحالهم، وغَيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الإشارة إليه وتتداوله

(١) سورة المائدة: آية (١١١).

(٢) ينظر: لسان العرب لإبن منظور: (٢١٩/٤ مادة حور).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م/ ج٣/ ص٢٨٧، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)/ أعاد طبعه دار أحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان/ سنة ١٩٦٥م/ ج٤/ ص٩٧.

(٤) ينظر: اللمع للطوسي: ٢١، ومعالم الطريق إلى الله لأبي الفيض المنوفي: ٢٣٠- ٢٣١.

الألسنة، فكان هذا أقرب إلى الأدب، والأدب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أهل التصوف[1].

٣- يعد لباس الصوف تعبيراً رمزياً عن اتجاه أهل التصوف في الزهد واختيار الحياة الخشنة وتركهم الدنيا ونعيمها، حيث وجدوا في الصوف ما يحقق أهدافهم التي تتصل بالتقشف والتقلل، فهو متين رخيص لا يبلى بسرعة فلا يُحتاج إلى تغييره كثيراً، وهذه المميزات ساعدت على اختياره كمظهر خارجي لحقيقة باطنه هي الدخول في طريق خاص[2].

الفرع الثالث: غاية التصوف ومنفعته

علم التصوف هو نظام أخلاقي كامل، يهدف إلى تكوين شخصية إسلامية مثالية تجتمع فيها جميع معاني الصلاح من نقاء النفس وتطهيرها من الأدران، وصفاء القلب من علائق الدنيا وإفراده لله تعالى بكل حال، وإقران العلم بالعمل ثم التحلي بجميع الفضائل والمكارم الأخلاقية؛ لتقريبها من رضوان الله- عز وجل، والوصول إلى السمو والكمال الروحي المفضي إلى معرفته تعالى[3].

---

(١) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤١-٤٢، والمنقذ من الضلال للإمام الغزالي- القسم الثالث (أبحاث في التصوف) لعبد الحليم محمود: ١٦٤- ١٦٧، ونشأة التصوف الإسلامي لبسيوني: ١١، وفلسفة الحياة الروحية منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية د. مقداد يالجن/ دار الشروق/ ط١/ بيروت- ١٩٨٥م/ ص٧١.

(٣) ينظر: المكتوبات الربانية للإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي (ت ١٠٣٤هـ)/ جمع:يار محمد الطالقاني/ تعليق: مصطفى حسنين عبد الهادي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان/ج١/ ص٢١٤، وسراج الطالبين شرح الشيخ احسان محمد دحلان الجمفسي الكديري على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للإمام الغزالي/ ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي/ دار الكتب العلمية/ ط١/بيروت- لبنان/=

وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان يعيش في طمأنينة وسعادة أبديــة ملؤهــا رضا الله تعالى والنجاة في الآخرة.

والتصوف إذ يهدف إلى هذه الغاية، فلإنه قد عرف أصول النفس الإنــسانية وجبلاّتها، وعرف أن لا قدرة له عليها إلاّ بالإستعانة ببارئها وفاطرها، وتبعاً لــذلك فقد وضح أنسب الطرق لمجاهدتها ومعالجتها، فــالنفس هــي محــل الأوصــاف المذمومة من الكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الإحتمال ونحــوه، وإذا بقيت على حالها البدائي منشغلة بما خُلق حولها من مظاهر زائلة لا يغــشاها نور العلم والمعرفة فهي على ظلمتها أمارة بالسوء[1]، لذا يجــب علــى العبــد أن يعالجها وينازلها بالمجاهدة والمحاسبة لتنتفي عنه هذه الأخلاق، وترتفع الحُجُــب[2] التي بينه وبين ربه، وكذا الحال مع القلب فهو أعظم الأعضاء خطراً وأكثرها أثراً وأدقها أمراً وأشقها إصلاحاً؛ كون الشيطان متربصاً به والخواطر[3] كالسهام تقــع

=١٤٢١هـ-٢٠٠٠م/ ج١/ص٥، شرح تائية السلوك للشرنوبي: ٩، ومعالم الطريق إلى الله للمنوفي: ٩١، وأبحاث في التصوف لعبد الحليم محمود: ٢١١.

(١) ينظر: الرسالة القشيرية: ٧٥، وعوارف المعارف للسهروردي: ٢٦٥.

(٢) الحُجُب: جمع حجاب، والحجاب هو الذي يحتجب به الإنسان عن قــرب الله تعــالى، وهــو نوعان: نوراني وهو للروح، وظلماني وهو للجسد. ينظر: معجم المصطلحات والإشــارات الصوفية للقاشاني تحقيق: سعيد عبد الفتاح/ دار الكتب المــصرية/ مــصر- ١٩٩٦م/ ج١/ ص٤٠٥ مادة حجاب، والسير والسلوك للخاني: ١٠٩.

(٣) الخواطر: جمع خاطر، وهو ما يرد على القلب من الخطاب، أو الوارد الذي لا تَعَمُّــل للعبــد فيه، وهو على أربعة أقسام: قسم يحدثه الله تعالى في قلب العبد ابتداءً فيقال له الخاطر فقــط وهذا قد يكون خيراً إكراماً وإلزاماً للحجة، وقد يكون شراً امتحاناً، وقسم يحدثه موافقا لطبــع الإنسان فيقال له: النفس وهذا لا يكون إلا بالشر وقد يكون بالخير لا لذاته، وقسم يحدثه عقب دعوة الشيطان فينسب إليه ويقال له الوسواس، وهذا يكون بشرّ إغواء وربما يكون بــالخير=

عليه لا تنقطع، والآفات سريعة إليه، وأن زلَّ فزلته عظيمة ووقوعه صعب، إذ القلب مَلكِ مطاع ورئيس متبع والأعضاء كلها تبع له، فإن صلح المتبوع صلح التبع واستقام، وبيان ذلك في قوله (ﷺ) ﴿**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب**﴾[1] لذا وجب علاجه واصلاحه وبذل الجهد الطويل والنظر الدقيق والرياضة الكثيرة، فهو محل نظر الله سبحانه إلى عباده، قال (ﷺ)((**إن الله لا ينظر إلى إجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**))[2]، فكما نهتم بنظافة الوجه والملبس واللذين هما محل نظر الخلق، فمن الواجب الإهتمام بتطهير القلب الذي هو محل نظر الخالق (جل وعلا) من جميع الأدناس والآفات والعيوب وذلك بملازمة المراقبة لله (سبحانه وتعالى)

=مكراً منه واستدراجاً، وقسم يحدثه الله تعالى ويقال له الإلهام وهذا لا يكون إلا بالخير إذ هو ناصح مرشد لا يرسل إلا لذلك. ينظر: معجم المصطلحات الصوفية للقاشاني: ١٥٨، وروضة الطالبين وعمدة السالكين للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق: الشيخ مصطفى أبو الغلا/ مكتبة الجندي/ مصر/ ص٧٨.

(١) صحيح البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ،دار الكتب العلمية/ بيروت-لبنان ج١/ص٢٨ رقم ٥٢ باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم في صحيحه: (٣/١٢١٩ رقم ١٥٩٩) باب أخذ الحلال وترك الشهوات.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: (٤/١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤) باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

في جميع الحركات والسكنات، وقصر الأمل والتواضع والخشوع[١]، وبذلك تتحقق للإنسان حريته[٢]، فلا تأمره نفسه بعدئذ إلاّ بالخير، و لا تنهاه إلاّ عن الشر[٣].

الفرع الرابع: مرتبة التصوف بين العلوم

كل علم يستمد شرفه ومرتبته من شرف المعلوم وثمراته، ولمّا كان معلوم علم التصوف هو ذات الله تعالى وأسماؤه وصفاته، كان من أشرف العلوم من جهة أن متعلقهُ من أشرف المعلومات وأكملها، وثماره من أفضل الثمرات، ذلك أن معرفة كل صفة من صفاته (عز وجل) توجب حالاً لعارفها ينشأ عنها ملازمة أخلاق سنية ومجانية أخرى دنية، فمن عرف سعة الرحمة أثمرت فيه الرجاء في الله، ومن عرف شدة النقمة أثمرت فيه شدة الخوف منه، وأثمر خوفه الكف عن الإثم والعصيان والفسوق ثم الورع وحسن الإنقياد للشرع، ومن عرف تفرده تعالى بالنفع والضر لم يعتمد إلاّ عليه ولم يفوض أمره إلاّ إليه، فهذه الثمار وغيرها لا يمكن تذوقها بمجرد المعرفة بأحكام الشرع، بل تستلزم الجمع بينها وبين معرفة ما يجب لله تعالى من أوصاف الجلال ونعوت الكمال وبما يستحيل عليه من العيب والنقصان[٤]، ومن هنا كانت المعرفة بالله أفضل من المعرفة بالفروع والأصول جميعاً، والعلم الذي تتعلق به- وهو علم التصوف- من أشرف العلوم، والعارفون

---

(١) ينظر: سراج الطالبين للكديري: (١/٣٤٥-٣٦١).

(٢) الحرية: هي زوال الخوف من غلبة النفس على العبد، كيلا تسلبه عن الحق، فمن أمن من غلبة النفس فهو حر؛ لأن الله تعالى أدخله في حصن حفظه، وأعتقه عن حفظ نفسه بنفسه لنفسه، فلم يبق لنفسه عليه مطالبة، بل لا نفس له ينظر: بهجة الطائفة للبدليسي: ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٤) ينظر: نشر المحاسن الغالية لليافعي: (١/١٠٤-١٠٥)، ومعالم الطريق إلى الله للمنوفي: ٢٤٦- ٢٤٧ بتصرف.

بالله أفضل الخلق وأتقاهم بعد الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)[1]، كما وصفهم رب العزة بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2][3] ويؤكد هذا قول سيد الطائفة الجنيد (رحمه الله تعالى) عن علم التصوف وأهله: (لو علمت أن علما تحت أديم السماء أشرف من علمنا هذا، لسعيتُ إليه وإلى أهله، حتى أسمع منهم ذلك)[4].

الفرع الخامس: صلة التصوف بالفقه[5]

أساس علم التصوف وشرطه الفقه في الدين، ولا يصح مشروط بدون شرطه، فيلزم الجمع بينهما لحصول كمال العلم فيهما، فلا تصوف إلاّ بفقه؛ لعدم معرفة أحكام الله تعالى الظاهرة إلاّ منه، ولا فقه إلاّ بتصوف؛ لعدم تحقق العمل

---

(١) الرسالة القشيرية: ٣، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/خرج أحاديثه الإمام زين العابدين أبي الفضل العراقي (ت٨٠٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١/بيروت-١٩٨٦م/ ج١/ ص٢٤، ونشر المحاسن الغالية لليافعي: (٢/٧٣٠)، وسراج الطالبين للكديري: (١/٥).

(٢) سورة فاطر: آية (٢٨).

(٣) يقول ابن كثير في تفسيره: (إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل وكانت الخشية له أعظم وأكثر) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)/ دار الفكر/ بيروت- ١٤٠١هـ/ ج٣/ ص٣٣٤.

(٤) تاج العارفين الجنيد البغدادي: ١٧٣.

(٥) الفقه: هو علم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية. التعريفات لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)/ دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والأعلام/ بغداد- العراق/ج١/ ص٢١٦ رقم ١٠٩٨، والحدود الأنيقة لأبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الإنصاري (ت ٩٢٦هـ)/ تحقيق: د. مازن المبارك/ دار الفكر المعاصر/ بيروت-١٤١١هـ/ ج١/ص٦٧.

بدون صدق وتوجه[1]، قال الإمام مالك[2] (رحمه الله تعالى) (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق[3]، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق[4]، ومن جمع بينهما فقد تحقق[5])[6]، فالفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على أحكام الله تعالى

(١) ينظر: قواعد التصوف لزروق: ٢٢ قاعدة (٤).

(٢) مالك: هو الإمام الفقيه المحدث المجتهد مؤسس المذهب المالكي أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني اليمني إمام دار الهجرة، ولد سنة (٩٣هـ) بالمدينة المنورة، وتتلمذ على يد نافع مولى ابن عمر، وسليمان بن يسار، وابن شهاب الزهري، وسعيد بن المسيب (ﷺ)- وغيرهم ممن ذكرهم في كتابه الموطأ، ومن أبرز تلاميذه: عبد الله بن وهب، وعبد الله بن الحكم، وسحنون وغيرهم، له مصنفات عديدة أهمها: (الموطأ)، و (المدونة الكبرى)، و (المناسك)، توفي - رحمه الله تعالى في المدينة المنورة سنة (١٧٩هـ) ودفن فيها ينظر: تهذيب التهذيب لإبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)/ دار صادر/ ط١/ بيروت- لبنان/ج١٠/ ص٥-٩، ووفيات الأعيان لإبن خلكان: (١/٥٥٥- ٥٥٧).

(٣) تزندق: أي صار زنديقاً، والزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، والإسم منه الزندقة. ينظر: المطلع لأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي (ت٧٠٩هـ)/ المكتب الإسلامي/ تحقيق: محمد بشير الأدلبي/ بيروت- ١٩٨١م/ ج١/ ص٣٧٨.

(٤) تفسق: أي صار فاسقاً، والفاسق: هو من فعل كبيرة أو أكثر من الصغائر، وترك أمر الله تعالى وخرج عن طريق الحق. ينظر: المبدع لأبي اسحق ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي (٨٨٤هـ)/ المكتب الإسلامي/ بيروت- ١٤٠٠هـ/ ج١/ ص٣٢٨.

(٥) تحقق: أي بلغ مقام التحقيق، وهو اجتماع الإسلام في القلب والجوارح والعقل، فالإعتقاد للقلب، والعمل للجوارح، والمشاهدة للعقل، وهو اسلام خاصة الخاصة وبه يحصل تمام الإنقياد والإستسلام. ينظر: الفتح الرباني للشيخ الجيلاني: ٢٤ نقلاً عن التصوف الإسلامي لعبد القادر عطا: ٣٣٢.

(٦) حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي/ المطبعة الشرقية/ مصر- ١٢٩٩هـ/ ج٣/ ص١٩٥، وقواعد التصوف لزروق: ٢٢

وحقوقــه[1]، يقول الجنيد (رحمه الله تعالى): (التصوف بيت والــشريعة بابــه)[2]، فالشريعة توجب على الإنسان أن ينفذ تعاليم الإسلام في الصلاة والزكــاة والحــج وسائر التكاليف وفق الحدود المبينة في كتب الفقــه، والتــصوف يهــيء الــنفس الإنسانية لسلوك طريق الفرائض والطاعات بلذة روحية بعيدة عن إغفال ذكــر الله تعالى، بل التصوف أخص من الفقه، فالشرع لا يعاقب الشخص على نية القيام بإثم مالم يرتكبه فعلاً، أما التصوف فإنه يعمل على ترويض النفس لتتجنب التفكير فــي الإثم ويعودها على أنشغال القلب كلياً بما هو خير[3]، فهو لبُّ الشريعة وروحهــا، وزبدة عمل العبد بأحكامها، وهو كما قال الإمام الشعراني[4] (رحمــه الله تعــالى)

---

(١) قواعد التصوف لزروق: ٢٩ قاعدة رقم (٢٠)، وينظر: نــشر المحاســن الغاليــة لليــافعي: (١/١٣٣).

(٢) الرسالة القشيرية: ١٣٩.

(٣) ينظر: ما هو التصوف للنقشبندي:٤١-٤٢.

(٤) الشعراني: هو الإمام العارف بالله عبد الوهاب بن أحمد بــن علــي الــشعراني، ولــد ســنة (٨٩٨هـ) في تلمسان ثم غادرها مع عائلته إلى صعيد مصر، ولمّــا تــوفي والــده ســافر إلىالقاهرة وأقام في مسجد الغمري (١٧) عاماً يتعلم ويتعبد ويتهجد، واتصل بصفوة العلمــاء أمثال السيوطي وزكريا الانصاري والرملي فدرس على أيديهم اللغة العربية والفقه والأصول والتصوف والحديث حتى صار بحراً لا تدرك ابعاده، ثم انصرفت همته إلــى ســلوك أهــل التصوف فاتصل بشيوخهم وأبرزهم الشيخ علي الخواص الذي أصبح على يديه إمام عــصره علماً وذوقاً ثم أسس زاوية يلتقي فيها طلاب علوم الظاهر والباطن، له مؤلفات عــدة منهــا: (المنن الكبرى)، و(لطائف المنن)، و (مشارق الأنوار) تــوفي- رحمــه الله تعــالى- ســنة (٩٧٣هـ). ينظر: الموسوعة الصوفية. عبد المنعم الحفني، مكتبــة مــدبولي، ط القــاهرة ٢٠٠٢م، ص٣٤٠-٣٤٣.

(علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة)[1].

والتصوف هو الفقه في معناه الصحيح، يقول ابن جزي[2] (رحمه الله تعالى): (وينخرط التصوف في سلك الفقه؛ لأنه في الحقيقة فقه الباطن كما أن الفقه أحكام الظاهر)[3]، وليس التفقه في أحكام الأحوال ومعاني المقامات بأقل فائدة من التفقه في أحكام الطلاق والقصاص[4] والقسامة[5] والحدود[6] ونحوها؛ فقد لا تقع

(١) الطبقات الكبرى للشعراني: ٩.

(٢) ابن جزي: هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن أحمد بن الغرماء الغرناطي، من ذوي الأصالة والنباهة، كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم والتدوين، حافظاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقراآت وحديث وأدب حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، صحيح الباطن، درس على يد أبي جعفر بن الزبير، وأبي عبد الله بن الرشيد، وابن الاحوص وغيرهم، له مؤلفات عدة منها: (وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم)، و(القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، و (تقريب الوصول إلى علم الأصول) وغيرها، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٧٤٠هـ) ينظر: الديباج المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ج١/ص٢٩٥-٢٩٦.

(٣) القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الغرناطي (ت ٧٤٠هـ)/ ص٢٧٧.

(٤) القصاص: هو أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل. التعريفات للجرجاني: ٢٢٥ رقم ١١٣٨، وأنيس الفقهاء لقاسم بن عبد ربه بن أمير علي القونوي (ت ٩٧٨هـ)/ تحقيق: د. أحمد بن الرزاق /دار الوفاء/ ط١/ جدة- ١٤٠٦هـ/ج١/ ص٢٩٢.

(٥) القسامة: هي الأيمان المكررة في دعوى القتل، وإن كان المقتول عبدا أو أمرأة أو كافراً، وسواء كان القتل عمداً أو خطأ. ينظر: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد السلام بن عبد ربه الحراني (ت٦٥٢هـ)/ مكتبة المعارف/ ط٢/الرياض- ١٤٠٤هـ/ ج٢/ص١٥٠ باب القسامة، والمبدع لإبن مفلح: (٣١/٩).

(٦) الحدود: جمع حد، وهو عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله- عز وجل- التعريفات: ١١٣ رقم ٥٤٨، وأنيس الفقهاء: (١٧٣/١).

في العمر حادثة تحتاج إلى علم تلك الأحكام، فأن وقعت فسؤال أحد الفقهاء عن حكمها يسقط الفرض، أما الأحوال والمقامات والمجاهدات فليس لها وقت مخصوص دون وقت، بل يجب على العبد أن يعلم في كل لحظة قصده وإرادته، فإن كان حقاً من الحقوق فواجب عليه أن يلزمه، وإن كان حظاً من حظوظ النفس فواجب عليه مجانبته[1].

ثم إن العبد إذا أخلص النية لله تعالى ومضى ساعياً في العبادة ودخل طريق التصوف وتبحر فيه، أعطاه الله تعالى قوة الإستنباط مقابل الأحكام الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في طريق واجبات، ومندوبات، وأداباً، ومحرمات ومكروهات[2]، وليس إيجاب مجتهد- كما يقول الإمام الشعراني- باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه، أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه؛ لأن علوم أهل الله تعالى لا تخرج عن الشريعة فهي وصلتهم إلى الله (عزوجل) في كل لحظة[3]، قال الجنيد (رحمه الله تعالى) (مذهبنا هذا- يعني التصوف- مقيد بالأصول بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ويتفقه، لا يقتدى به)[4]، وقال المحاسبي[5](رحمه الله تعالى): (وكل أمر

---

(١) ينظر: اللمع للطوسي: ١٧-١٨.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: ٩.

(٣) المصدر نفسه: ٩-١٠.

(٤) إغاثه اللهفان من مصايد الشيطان لإبن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد حامد الفقي/ دار المعرفة/ ط٢، بيروت-لبنان/ ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م/ ج١/ص١٢٥.

(٥) المحاسبي: هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري المولد البغدادي المنزل والوفاة، الإمام العارف الناطق بالحكمة، عديم النظير في زمانه ورعاً وعلماً ومعاملة وحالاً، لُقب بالمحاسبي؛ لكثرة محاسبته لنفسه، وله مؤلفات عدة أهمها: (كتاب الرعاية لحقوق الله)، و(رسالة المسترشدين)، و(الرعاية)، و(التوهم) وغيرها. توفي- رحمه الله تعالى- في بغداد=

لاح لك ضوؤه بمنهاج الحق، فاعرضه على الكتاب والسنة والآداب الصالحة، فإن خفي عليك أمره فخذ فيه رأي من ترضى دينه وعقله)[1]، ومما يشهد لهذا الأمر، أمتحان بعض الفقهاء لجماعة من العلماء العارفين في مسائل فقهية دقيقة، فأجابوا عنها بأجوبة فائضة من بحر علوم الحقيقة[2] في قلوب فاضت عليها الأنوار، وصارت معادن الأسرار، فتحير من تلك الأجوبة أصحاب السؤال، واعترفوا لهم بعلو الشأن وعظيم المعرفة[3].

من هذا يتبين لنا أن الجمع بين الشريعة والحقيقة هو عنوان التصوف الصحيح، وكل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة[4]، فالعمل الباطن والتعويل

=سنة (٢٤٣هـ) ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: ٥٥٦، وحلية الأولياء للأصفهاني: (٧٣/١٠).

(١) رسالة المسترشدين للمحاسبي: ١٣٥.

(٢) الحقيقة: هي مشاهدة الربوبية في جميع الكائنات، بحيث إنه يرى الخَلق بالحق، على معنى القيام به، ومن ذلك مراقباته تعالى في عبادته بالتحقق بمقام الإحسان المشار إليه في الحديث (أن تعبد الله كأنك تراه)، وهي الجناح الثاني للشريعة؛ لأن الشريعة ظاهر الحقيقة، والحقيقة باطن الشريعة، وهما متلازمان لا يتم أحدهما إلاّ بالآخر. ينظر: معجم المصطلحات الصوفية للقاشاني: (٤٢٤/١- ٨٢/٢).

(٣) ومن ذلك قضية الجنيد- رحمه الله تعالى- مع عبد الله بن سعيد بن كلاب لمّا سأله عن التوحيد، وقضية أبي بكر الشلبي- رحمه الله تعالى- عند سؤال الفقهاء له عن مسألة الحيض، بقصد اخجاله، وقضية أبي الحسين النوري- رحمه الله- لمّا ألقى عليه القاضي مسألة فقهية، وغير ذلك كثير. ينظر: نشر المحاسن الغالية لليافعي: (١١٧/١).

(٤) الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ عبد القادر الجيلاني(ت ٥٦١هـ) دار المعرفة/ بيروت- ١٩٧٩م/ المجلس (١١)/ص٤٠، ويواصل الشيخ- رحمه الله- الكلام فيقول: (طِرْ=

على القلب دون تأدية التكاليف والتمسك بظاهر الشرع والتفقه فيه، إنما هو انحراف عن جادة الطريق[1]، يقول الإمام الغزالي (رحمه الله تعالى) (من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة والباطن يخالف الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب)[2]، وقال أبو بكر الدقاق[3] (رحمه الله تعالى): (كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة، فهتف بي هاتف[4]: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة

=إلى الحق- عز وجل- بجناحي الكتاب والسنة، أدخل عليه ويدك في يد الرسول (ﷺ) اجعله وزيرك ومعلمك، دع يده تزينك وتمشطك وتعرضك عليه).

(١) ينظر: التصوف السُّني حال الفناء بين الجنيد والغزالي د. مجدي محمد ابراهيم/ تصدير: عاطف العراقي/ مكتبة الثقافة الدينية/ط١/ القاهرة- ٢٠٠٢م/ ص٥٨.

(٢) أحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (٢/٢٥٠)

(٣) الدقاق: هو أبو بكر محمد بن جعفر البغدادي المعروف بالدقاق، كان فقيهاً أصولياً صوفياً، ومن أقران الجنيد، وليَّ القضاء في الكرخ ببغداد، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٩٢هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (١/٢٥٣)، وجامع كرامات الأولياء ليوسف بن أسماعيل النباهي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ط١/ ١٣٨١هـ-١٩٦٢م/ ج١/ص٤٢٣.

(٤) الهاتف: هو الإدراك والقوة المحدثة التي يتكلم بها الضمير وتأتي بها المخاطبة في الخلد، وهي لسان الوارد والإلهام، وبعض أنواع الوحي، وينزل علماً، ويشهد لصحة حال الهاتف ما جاء في سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن اسحق السجستاني (ت ٢٧٥هـ) /اشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز/ دار السلام/ط١/ دمشق- ١٩٩٩م/ ج٣/ ص١٩٦ رقم ٣١٤١ باب ستر الميت عن غسله، عن السيدة عائشة- رضي الله عنها- قولها: (لمّا أرادوا غسل النبي (ﷺ) اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري أنجرّد رسول الله من ثيابه كما نجرّد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ، ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلاّ وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي (ﷺ) وعليه ثيابه) وينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي:١٦٩، وموسوعة الكسنزان=

فهي كفر)[١].

إذاً فالعلاقة بين التصوف والفقه هي علاقة عموم وخصوص فكل صوفي فقيه، وليس كل فقيه صوفياً، ولهذا نجد أن جميع أئمة التصوف فقهاء، فقد كان الجنيد ثورياً[٢]، والشبلي[٣] مالكياً، والجريري[٤] حنفياً، والمحاسبي شافعياً وهؤلاء هم أعمدة التصوف[٥]، ويكفي منقبة لمشايخ الصوفية أن الإمام احمد بن حنبل[٦]

=فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان للشيخ محمد الكسنزان الحسيني/ دار المحبة/ ط١/ دمشق- ٢٠٠٥م/ ج٢١/ص١٣ مادة هتف.

(١) الإعتصام للإمام أبي إسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ) تحقيق: السيد محمد رشيد رضا/ مكتبة التجارية الكبرى/ مصر/ ج١/ ص٩٢.

(٢) أي على مذهب سفيان الثوري- رحمه الله تعالى-.

(٣) الشبلي: هو أبو بكر دُلف بن جحدر، وقيل دُلف بن جعفر، ولد بسامراء، وأصله من خراسان من أهل سروسة، ولُقب بالشبلي نسبة إلى الشبلية قرية وراء سمرقند، صحب الجنيد ومن عاصره من المشايخ، وكان فقيها عارفاً بمذهب الإمام مالك، وكتب الحديث، وله حكم وحال وتمكن، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٣٤هـ) ودفن ببغداد بمقبرة الخيزران ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: ٣٣٧، وحلية الأولياء للأصفهاني: (١٠/٣٦٦).

(٤) الجريري: هو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري من كبار علماء مشايخ القوم، كان حنفي المذهب، وصحب الجنيد، توفي -رحمه الله تعالى- سنة (٣١١هـ) ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: ٢٥٩، وصفه الصفوة لإبن الجوزي: (٢/٢٥٢).

(٥) ينظر: قواعد التصوف لزروق: ٤٢ قاعدة رقم (٤٦).

(٦) ابن حنبل: هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، ومولده في بغداد، نشأ منكبّاً على العلم، وسافر في طلبه أسفاراً كثيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام، وغيرها، وصنف العديد من الكتب منها: (المسند)، و (التاريخ)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(الرد على الزنادقة فيما ادعت به من متشابه القرآن) وغيرها توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٢٤١هـ) ينظر: صفة الصفوة=

(رحمه الله تعالى) مع عظيم علمه كان إذا توقف في مسألة يقول لأبي حمزة البغدادي[١] (رحمه الله تعالى): ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟ فمهما قاله اعتمده[٢]. ومن الجدير بالذكر أن اسم الفقه في العصور الأولى كان مطلقاً علم الآخرة ومعرفة دقائق النفوس والإطلاع على الآخرة وحقارة الدنيا، إلاّ أن الناس تصرفوا فيه منذ القرن الثالث الهجري وما بعده نتيجة التخصص العلمي الدقيق، فخصوه بعلم الفتاوى والوقوف على دلائلها وعللها[٣]، وهذا من شأنه أن يؤكد لنا عمق العلاقة بينة وبين التصوف من جهة، وعلى مدى أهمية مباحث التصوف عن الفقهاء الأوائل من جهة أخرى.

الفرع السادس: حُكم التصوف

يعد علم التصوف من أبرز العلوم الشرعية الداعية إلى الإلتزام بأحكام الدين الإسلامي من خلال العمل بالكتاب والنسة، فكل مفردات هذا العلم تدور حول وجوب العمل بجميع الأوامر الإلهية الظاهرة من الصلاة والزكاة والحج والصوم، والباطنة من الإيمان بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله، وإخلاص النية والخشوع والصدق والتوكل والتقوى، وتنهى عما نهى الله عنه من الكفر والقتل والزنى وشرب الخمر والنفاق والرياء والحسد وسائر امراض القلوب، وتعمل على توثيق

=لإبن الجوزي: (٢/١٩٠)، وحلية الأولياء للأصفهاني: (٩/١٦١)، والأعلام للزركلي: (١/٢٠٣).

(١) البغدادي: أبو حمزة، كان من أقران الجنيد، ومعاصراً للإمام أحمد بن حنبل، ولم أقف له على تاريخ وفاة. ينظر: جامع كرامات الأولياء للنباهي: (١/٤٤٩).

(٢) ينظر: الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للإمام عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)/ تحقيق: لجنة التراث في الدار/ دار صادر/ ط١/ بيروت- ١٩٩٩م/ ص٩١.

(٣) ينظر: أبجد العلوم للقنوجي: ٥٥٩-٥٦٠، ومدخل إلى التصوف الإسلامي للغنيمي: ١٦-١٧.

صلة العبد بالله (عزوجل)، ولمّا كانت تنقية القلب وتهذيب النفس من أهم الفرائض العينية وأوجب الأوامر الإلهية؛ بدليل قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[1]، وقوله (عزوجل): ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[2] كون الباطن أساس الظاهر ومصدره، وفي فساده فساد لجميع الأعمال[3]، قال: (ﷺ) ((ألاّ وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلاّ وهي القلب))[4]، لذا كان حكم العلم الذي اهتم بإصلاح الظاهر والباطن على حد سواء، ومعرفة علوم الدين الإسلامي بكتابه وسنته فرض عين على كل مكلف ذكراً كان أو أنثى، كما نص على ذلك أئمتنا العظام، يقول الإمام السيوطي[5] (رحمه الله تعالى) في كتابه الأشباه والنظائر: (وأما علم القلوب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها، فقال الغزالي: إنها فرض عين)[6].

---

(١) سورة الأعراف: آية (٣٣).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٥١).

(٣) ينظر: نشر المحاسن الغالية لليافع: (١/١٣٣)، وحقائق عند التصوف للشيخ عبد القادر عيسى، مطبعة النواعير، ط٥، الرمادي- ١٩٩٢م، ص١٨.

(٤) مرَّ تخريجه في ص (٢٧)هامش رقم (١).

(٥) السيوطي: هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بالخضيري الشافعي الإمام الفقيه الحافظ المؤرخ الأديب النحوي المفسر الأصولي المجتهد جلال الدين السيوطي، درس على كثير من العلماء منهم شمس الدين المزرباني، والبلقيني، والمناوي وغيرهم، وألفَّ العديد من المصنفات منها: (الإتقان في علوم القرآن)، و(الأشباه والنظائر)، و (شرح شواهد المغني)، و (مختصر الأحكام السلطانية للماوردي) وغيرها، توفي -رحمه الله تعالى- في القاهرة سنة (٩١١هـ) ينظر: شذرات الذهب لإبن عماد الحنبلي: (٨/٥١).

(٦) الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)/ مطبعة البابي الحلبي-١٣٥٦هـ/ص٥٠٤

ويقول الفقيه ابن عابدين[١] (رحمه الله تعالى) في حاشيته: إن علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين ومثلها غيرها من آفات النفوس كالكبر والشح والحقد والغش، وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إلاَّ بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه[٢]. وقال أبو الحسن الشاذلي[٣] (رحمه الله تعالى): (من لم يتغلل في علمنا هذا- يعني التصوف- مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر)[٤] ذلك أن التصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة الأمراض القلبية ومعرفة كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس وصفاتها المذمومة، قال

(١) إبن عابدين: هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الملقب بابن عابدين؛ لاتصال نسبه الشريف بالإمام زين العابدين علي بن الحسين- رضي الله عنهما- ولد في دمشق سنة (١١٩٨هـ) وكان إمام الحنفية في عصره، وفقيه الديار الشامية، حفظ القرآن الكريم واتقن القراءات واشتغل بعلوم اللغة العربية والحديث والتفسير والتصوف والفرائض، ومن أشهر مصنفاته (رد المحتار على الدر المحتار)، و (منحة الخالق)، و(حاشية على تفسير البيضاوي) وغيرها. توفي- رحمه الله تعالى سنة (١٢٥٢هـ) ودفن في دمشق ينظر: الأعلام للزركلي: (٢٦٧/٦).

(٢) حاشية رد المحتار على الدر المحتار لمحمد أمين الشهير بابن عابدين (ت١٢٥٢هـ)/ مطبعة بولاق/ مصر- ١٣٢٣هـ/ ج١/ص٣١.

(٣) الشاذلي: هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز الشاذلي المغربي رأس الطريقة الشاذلية، ولد سنة (٥٩١هـ) في مدينة شاذلة، وفد إلى مصر ومعه جملة من تلاميذه ومريديه وأبرزهم الشيخ أبو العباس المرسي واستوطنوا مدينة الإسكندرية حوالي سنة (٦٤٢هـ) وكونوا مدرسة صوفية مشهورة بها، توفي (رحمه الله تعالى) سنة (٦٥٦هـ) بصحراء عيذاب قاصداً الحج. ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: (٤/٢-١٢)، وهدية العارفين للبغدادي: (٧٠٩/١)، وشذرات الذهب لإبن عماد: (٢٧٨/٥- ٢٨٠).

(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لإبن عجيبة/ المطبعة الجمالية- ١٣٣١هـ- ص٧.

الفضيل بن عياض[١] (رحمه الله تعالى) (عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين. وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين)[٢]، وأهل التصوف هم السالكون الحق لطريق الله (عز وجل)، قال الإمام الغزالي (رحمه الله تعالى) إني علمتُ يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرها وباطنها، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به[٣].

الفرع السابع: أسماء علم التصوف

بعد نشوء علم التصوف ووقوفه إلى جانب العلوم الشرعية الأخرى، وبيان أركانه وما هيته، أخذ يعرف بأسماء علمية أخرى أطلقها عليه علماء هذا الفن (رحمهم الله تعالى) من نبع مفهومه وأهدافه وغاياته ومراميه، ومن أشهر تلك الأسماء:

١- **علم الإشارة:** وهو العلم الذي تفردت به الصوفية، وإنما قيل علم الإشارة؛ لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن التعبير عنها على التحقيق، بل

---

(١) الفضيل: هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة، سمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره، ثم تَعبَد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن توفي فيها أول سنة (١٨٧هـ) في خلافة هارون الرشيد، رحمه الله تعالى ينظر: طبقات ابن سعد: (٤٣/٦)، وحلية الأولياء للأصفهاني: (٨٤/٨-١٣٩)، والطبقات الكبرى للشعراني (٦٨/١).

(٢) لطائف المنن والأخلاق المعروف بالمنن الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعراني/ المطبعة الميمنية/ مصر- ١٣٢١هـ/ ج١/ص٤.

(٣) ينظر: المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ١٣٢.

تُعلَم بالواردات[١] والمواجيد[٢]، ولا يعرفها إلاَّ من نازل تلك الأحوال وعرف تلك المقامات[٣].

٢- **علم الطريقة:** وهو تزكية النفس عن الاخلاق الردية وتصفية القلب عن الأغراض الدنية[٤]، فهو طريق يوصل إلى الله تعالى مثلما أن الشريعة موصلة إليه تعالى، غير أن الطريقة الصوفية أخص من الشريعة؛ لأنها تشتمل على أحكام الشريعة بالإضافة إلى الأعمال القلبية والرياضات والعقائد المختصة بأعضائها[٥]، والعلاقة بين الطريقة والشريعة وثيقة جداً ولا يمكن فصل احدهما عن الآخر، فعلم الشريعة وما يتعلق بإصلاح الظاهر بمنزلة العلم بلوزام الحج، وعلم الطريقة وما يتعلق بإصلاح الباطن بمنزلة العلم بالمنازل والعقبات، فكما أن مجرد علم اللوزام، ومجرد علم المنازل لا يكفيان في الحج الصوري بدون اعداد اللوازم وسلوك

---

(١) الواردات: جمع وارد، وهو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضاً وارد، وقد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم، فالواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه، والواردات تكون وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط، وغيرها من المعاني. الرسالة القشيرية: ٧٤.

(٢) المواجيد: هي نتائج الأوراد وثمراتها، ويجدها السالك بوارداته حتى يبقى الحكم لقلبه وحاله، وأول المواجيد الذوق. ينظر: حلية الأولياء للأصفهاني: (١٠/٣٨٣)، ومدارج السالكين لابن قيم الجوزية: (٣/٦٩، ٢٣٠).

(٣) الموسوعة الصوفية لعبد المنعم الحفني: ٨٧٩- ٨٨٠.

(٤) كشف الظنون لحاجي خليفة: ٤١٣.

(٥) الموسوعة الصوفية للحنفي: ٨٥٣.

المنازل، كذلك مجرد العلم بأحكام الشريعة وآداب الطريقة لا يكفيان في الحج المعنوي بدون العمل بموجبيهما[1].

٣- **علم المكاشفة:** هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله وبحِكَمه في خلق الدنيا والآخرة، وكل ما يتعلق بالنبوة والوحي والملائكة والشياطين، إذ يرتفع بهذا العلم الغطاء فتتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يُشك فيه، وهذا ممكن في جوهر الإنسان، ولا سبيل إليه إلاّ بالرياضة والعلم والتعليم.

وعلم المكاشفة هو غاية العلوم، فقد قال أحد العارفين: من لم يكنْ لَه نصيب من هذا العلم- يعني المكاشفة- أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله. وعلم المكاشفة من العلوم التي لا تدون في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلاّ مع أهله[2].

٤- **العلم القلبي:** وهو علم التقوى وهذا خاص بالمؤمنين بمقدار التقوى[3]، قال تعالى: **﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾**[4].

---

(١) كشف الظنون: ٤١٣.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (١/٣١-٣٢).

(٣) موسوعة الكسنزان: (١٦/١٥٣).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٨٢).

٥- **علم الحقيقـة**: وهو إقامة العبد في محل الوصال إلـى الله تعـالى ووقـوف سره[١] في محل التنزيه[٢]، وقد استند الصوفية في هذه التسمية إلى حـديث رسول الله (ﷺ) حين سأل حارثة[٣] بقوله: ((**كيف أصبحت يا حارثـة؟ قـال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال (ﷺ): لكل حقٍ حقيقة، فما حقيقة إيمانـك؟ فقـال: عزفت نفسي عن الدنيا، فاستوى عندي ذهبها ومدرها**[٤]**، وكأني أنظر إلـى أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وإلى أهل النار في النار يعذبون، وكأني أرى عرش ربي بارزاً، من أجل ذلك أسهرت ليلي وأظمـأت نهـاري فقـال لـه الرسول (ﷺ): يا حارثة عرفت فالزم**))[٥].

وعلم الحقيقة لا يخالف علم الشريعة: فعلم الشريعة بلا علم الحقيقة عاطل، وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل[٦].

---

(١) السر: هو اللطيفة الربانية، وهو باطن الروح، فإن تنزل درجة كان روحاً وإن تنزل درجـة أخرى سمي قلباً، وجمعه السرار. السير والسلوك للخاني: ٥٣.

(٢) الموسوعة الصوفية للحفني: ٧٢١.

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) مدرها: المدر هو الطين المتماسك. ينظر: النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير: (٤/٣٠٩).

(٥) المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)/ تحقيق: حمـدي عبد المجيد/ مكتبة العلوم والحكم/ط٢/ الموصل- ١٩٨٣م/ ج٣/ ص٣٠٢، ومصنف ابن أبي شيبة أبي بكر عبد الله بن محمد/ تحقيق: كمال يوسف الحوت/مكتبة الرشد/ط١/ الريـاض- ١٤٠٩هـ/ج١١/ ص٤٣، وينظر: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن لابن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩هـ)/ ضبط حواشيه: خليل المنصور/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنـان/ ص١١٣، ومـدخل إلـى التـصوف الإسـلامي للتفتازاني: ٩٧.

(٦) ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ٤١٣.

٦- **علم الباطن**: هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه لم يُطلع عليه ملَكاً أو بشراً يكون به جواب المسائل[١]، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[٢]، وهو القسم الآخر من العلم، إذ العلم ظاهر وباطن، ولا يجوز أن يجرّد القول في العلم بأنه ظاهر أو باطن؛ لأن العلم متى ما كان في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجري ويظهر على اللسان، فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر، ومجموعهما يسمى علم الشريعة الذي يدل ويدعو إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة هي أعمال الجوارح من العبادات والأحكام، والباطنة هي أعمال القلوب من المقامات[٣] والاحوال[٤]، ولكل عمل من الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وحقيقة، ويدل على صحة كل منها آيات من القرآن وأخبار عن الرسول (ﷺ)، فالمراد بالباطن هو علم أعمال الباطن وهو القلب، والمراد بعلم الظاهر هو علم أعمال الظاهر وهي الأعضاء، ولا يستغني الظاهر عن الباطن ولا الباطن عن الظاهر[٥].

٧- **علم الوراثة**: ويراد به الفقه في الدين، وليس الفقيه من علم أحكام الإسلام فقط، وإنما الفقيه كما يقول الحسن البصري (ﷺ) الزاهد في الدنيا، الراغب

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (٣/٢٤).

(٢) سورة النساء: آية: (٨٣).

(٣) المقام: هو مقام العبد بيد يدي الله (عزوجل) فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والإنقطاع إلى الله (عزوجل)، وهو ثابت لا يزول. ينظر: اللمع للطوسي:٤١.

(٤) الحال: هو معنى يرد على القلب من غير تعمّد ولا اجتلاب ولا اكتساب وهو لا يدوم، كالحزن والقبض والبسط والشوق والخوف والرجاء. ينظر: الرسالة القشيرية: ٥٤.

(٥) ينظر: اللمع للطوسي: ٢٣-٢٤.

في الآخرة، البصير بدينه، المجتهد في العبادة[١]، وأهل التصوف أخذوا حظاً من علم الدراسة فأفادهم في العمل بالعلم، فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة[٢]، وهذا مستفاد من قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**[٣]، وقوله (ﷺ) **((إن العلماء ورثة الأنبياء))** [٤] والميراث يقتضي أن يصح النسب بصحة السبب، ومن لا سبب له لا نسب له ولا ميراث، ومحل النسب عند اهل الله تعالى من العلماء هو المعرفة، ومحل السبب الطاعة[٥]، ولا يتم ذلك إلاّ بالمجاهدة والإنقياد والخضوع لله تعالى، وأهل الله هم الأقوى بهذين، فوراثتهم مستحقة من جميع الوجوه[٦].

---

(١) الزهد لإبن أبي عاصم أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٨٧هـ)/ تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد/ دار الريان للتراث/ط٢/ القاهرة- ١٤٠٨هـ/ ج١/ ص٢٧٩.

(٢) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ١٣، والتصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس لعبد القادر عطا: ١٩٤.

(٣) سورة فاطر: آية : (٣٢).

(٤) صحيح ابن حبان أبي حاتم محمد بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ موسسة الرسالة/ ط٢/ بيروت- لبنان/١٤١٤هـ- ١٩٩٣م/ ج١/ ص٢٨٩ رقم ٨٨، وسنن الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) دار أحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان/ ج٥/ ص٤٨ رقم ٢٦٨٢، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وسنن ابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص٨١ رقم ٢٢٣، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

(٥) وقيل محل النسب فضله تعالى، ومحل السبب فعلهم، وقيل محل النسب اختيارهم له بدءً، ومحل السبب إحسانه تعالى لهم تالياً. الموسوعة الصوفية للحفني: ١٠٠٠.

(٦) المصدر نفسه: ١٠٠٠.

٨- **العلم اللّدني**: هو ما كان محكماً على الأسرار من غير ظن فيه ولا خلاف واقع، لكنه مكاشفة الأنوار عن مكنون المغيبات، وذاك يقع للعبد إذا زمّ جوارحه عن جميع المخالفات وأفنى حركاته عن كل الإرادات وكان شبحاً بين يدي الحق بلا تمن ولا مراد[١]، فالعلم اللدني هو علم إلهامي موهوب، لا يكتسبه الإنسان بالتعلم من الكتب أو من الناس، بل يستفيده بالذوق والعبادة والرياضة الروحية والجلوس بين يدي الله تعالى كما أخبر بذلك الجنيد (رحمه الله تعالى) عندما سئل: من أين استفدت هذا العلم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأومأ إلى درجة في داره[٢]، ولهذا سُمي لدنياً؛ لحصوله من لدن الله تعالى من غير كسب ولا تعمّل فيه[٣].

ويشترط في حامله الرحمة والعبدية، وفي طالبه المتابعة والتسليم وترك الإعتراض على الصاحب المعلم لا بالقال ولا بالسؤال[٤]، كحال نبي الله موسى مع العبد الصالح (عليهما السلام) الذي أوتي العلم اللدني، قال تعالى: **﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾**[٥].

والعلم اللدني قسمان، قسم لا يباح كشفه وهو العلم بالذات الإلهية التي جلّت عن الإدراك بشبكة الأفكار، وقسم يباح كشفه وإذاعته لأهله وهو علم التصوف[٦].

---

(١) حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي: ٧٧٠.

(٢) تاج العارفين الجنيد: ٣٥، ١٧٤.

(٣) لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام لكمال الدين القاشاني: ٤٢٢.

(٤) تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر/ ج٢/ص٤٥٠.

(٥) سورة الكهف: آية (٦٥).

(٦) موسوعة الكسنزان: (٢١٦/١٦) عن مخطوطه شرح العينية للشيخ علي البندنيجي: ١.

وبعد ذلك نجد أنّ لأهل التصوف أيضاً أسماء أخرى أطلقت عليهم غير اسم الصوفية، تبعاً لحالهم وأوصافهم التي اتصفوا بها نتيجة سيرهم في طريق التصوف وإقبالهم على الباري (عزوجل) قلباً وقالباً وتركهم كل ما سواه، ومن أشهر هذه الأسماء:

١- **الزهّاد:** لأن الزهد هو البداية الأولى للتصوف وأهله، فنجدهم قد زهدوا فيما عند الناس وآثروا في مالهم ولو كان بهم خصاصة[١].

٢- **الفقراء:** لأن الفقر أساس التصوف وكائن في ماهيته وبه قوامه، فالصوفية هم في حاجة دائمة إلى الله سبحانه وتعالى[٢]، وهذا هو حال جميع العباد، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[٣].

٣- **الجوعية:** لأنهم ينالون من الطعام قدر ما يُقيم الصُلب للضرورة، فلا يأكلون إلاّ بقدر ما يسد رمقهم ويعينهم على الطاعة[٤] كما قال رسول الله (ﷺ) ((**بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صُلبه**))[٥]، وقد وصفهم السري السقطي[٦]

(١) ما هو التصوف للنقشبندي: ٢٨.

(٢) ينظر: نشأة التصوف الإسلامي لإبراهيم بسيوني: ١١٢، وما هو التصوف: ٢٨.

(٣) سورة فاطر: آية (١٥).

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١١-١٢، وماهو التصوف للنقشبندي: ٢٨.

(٥) رواه الترمذي في سننه: (٥٩٠/٤ رقم ٢٣٨٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، وتمامه: (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه،فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لَنفَسه).

(٦) السري: هو أبو الحسن السري بن مغلس السقطي، خال الجنيد وأستاذه، وتلميذ معروف الكرخي، كان وحيد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، توفي- رحمه الله تعالى- يوم الثلاثاء لستٍ خلون من رمضان سنة (٢٥٣هـ) وقيل (٢٥١هـ). ينظر: صفة الصفوة لإبن=

(رحمه الله تعالى) بقوله: (أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى)[1].

٤- **البكاؤون:** لشدة بكائهم من خشية الله تعالى، وهذا هو وصف عباد الله المؤمنين كما أخبرنا بذلك سبحانه: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾**[3] وما من دمعة أحب الله (عزوجل) من دمعة خشية كما يقول نبينا المصطفى (ﷺ): **((ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم اهريقت[4] في سبيل الله))**[5] لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم ينصحون الناس بالبكاء ومن ذلك ما قاله أبو موسى الأشعري (ﷺ) لأهل البصرة في خطبته (يا أيها الناس أبكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون بالدموع حتى تنقطع، ثم يبكون بالدماء حتى لو أجرى فيها السفن لسارت)[6].

=الجوزي: (٢/٢٤٢- ٥١٢)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٧٤- ٧٥) ، وحلية الأولياء للأصفهاني: (١٠/١١٦-١٢٧).

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٢.

(٢) سورة المائدة: آية (٨٣).

(٣) سورة مريم: آية (٨٥).

(٤) أهريقت: أي جرت وأريقت، والهاء فيها بدل من همزة (أريقت)، يقال: أراق الماء يريقه وهراقهُ يهرقه هراقة فيجمع بين البدل والمُبْدَل. ينظر: النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير: (٥/٢٥٩) مادة هرق.

(٥) مسند الشهاب لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤هـ)/ تحقيق حمدي عبد المجيد/ دار النشر- ١٩٨٦م/ ج٢/ ص٢٥٦ رقم ١٣٠٨.

(٦) الطبقات الكبرى لإبن سعد: (٣/٨).

٥- **الشكفتية:** وهو الإسم الذي أطلقه عليهم أهل خراسان، لإيوائهم إلى الكهف والمغارات واعتزالهم فيها عند الضرورات، والشكفت بلغة خراسان هو الغار والكهف[١].

٦- **السياحون:** وسُموا بذلك؛ لكثرة سياحتهم في البراري، وتعدد أسفارهم؛ لطلب العلم واللقاء بالمشايخ والإخوان الصادقين، واستكشاف دقائق النفوس[٢].

٧- **الغرباء:** وذلك لخروجهم عن الأوطان، وتجوالهم في الإرض لعبادة الله سبحانه[٣].

٨- **النوريّة:** وسُموا بذلك؛ لأن الله تعالى نوّر قلوبهم وصفّى أسرارهم وبواطنهم؛ لتركهم الدنيا وزهدهم فيها واعراضهم عنها، وتوجههم بالكلية صوب الآخرة وقيامهم بكل ما يقربهم منها[٤]، قال رسول الله (ﷺ): **((إن النور إذا دخل الصدر انفسح، فقيل يا رسول الله هل لذلك من علم يعرف؟ قال نعم، التجافي عند دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإستعداد للموت قبل نزوله))**[٥].

الفرع الثامن: تمييز التصوف عن الفلسفة

بالرغم من محاولة العديد من المستشرقين والباحثين إرجاع أصل التصوف ومنبعه إلى الفلسفة اليونانية، والإعتقاد بأن أهل التصوف قد تأثروا بالفلسفة

---

(١) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١١، وعوارف المعارف للسهروردي: ٤٣، ونشر المحاسن الغالية لليافعي: (٢/٧٠٠).

(٢) ينظر: معجم مصطلحات الصوفية للحفني: ١٥٣.

(٣) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف: ١١، وما هو التصوف للنقشبندي: ٢٨.

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف: ١٤-١٥.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك: (٤/٣٤٦ رقم ٧٨٦٣).

ورجالها وجاءوا بعدها بعلم التصوف، يدفعهم إلى ذلك- متوهمين- وجود بعض التشابه في منطلقات بعض من رجال التصوف ورجال الفلسفة، إلاّ أن الإختلاف بين العلمين واضح ولا يمكن غضُ الطرف عنه، ويظهر هذا الإختلاف بصورة جلية في المحاور التالية:

أولاً: **من ناحية الموضوع**: إذ نجد أن موضوع علم التصوف هو النفس والقلب، فالنفس من حيث ما يعرض لها من الأحوال والصفات[1]، والقلب من حيث ما يعرض له من اللمحات والخواطر والهواجس والوساوس والعلوم والنيات والقصود والعزائم والإعتقادات[2]، أما الفلسفة فموضوعها هو الموجودات مطلقاً من الطبيعيات التي يبحث فيها عن الكيفيات، والإلهيات التي يبحث فيها عن الماهيات[3]، وهذا أعمّ من موضوع التصوف، فيلزم التمييز بينهما.

ثانياً: **من ناحية المنهج**: ويظهر ذلك في وسيلة البحث في هذا الفن ومادته، فمن حيث الوسيلة نجد ان الفلاسفة يستندون إلى العقل في استنباط الأحكام[4]، بحيث يأخذ العقل حريته في الإثبات والنفي، غير متاثر إلاّ بمقاييسه هو التي يفرضها، فنجده يجول في المسألة مستنبطاً ومستنتجاً، فيؤلف فيها ويركّب

(١) سراج الطالبين للكديري: (١/٥).

(٢) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب لعماد الدين الاموي بهامش قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي/ دار الفكر/ ج١/ ص٢٦٠- ٢٦١.

(٣) ينظر: مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد/ دار الرائد العربي/ بيروت-لبنان/ ص٤٧٣، والملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)/ تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور/ دار المعرفة/ ط٢/ بيروت- ١٩٩٢م/ ج٢/ ص٣٧٠/ وعلم أصول الدين وأثره في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه تقدم بها عبد الرحمن كمال محمد إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد- قسم اصول الدين/ سنة ٢٠٠٥/ص١٧-١٨.

(٤) ينظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة لأندريه كريسون/ تعليق: عبد الحليم محمود/ مكتبة الأسرة/ مصر- ٢٠٠٤م/ ص١٤.

ويستخرج قوانينه وقواعده[1]، أما أهل التصوف فإنهم يستخدمون العقل في بدايات المعرفة حتى يستنفذ قدراته على العمل ويصبح عاجزاً، فحينئذٍ يبحثون عن مواهب أخرى لمواصلة العمل على طريق المعرفة، فالعقل كفيل بأن يصل بالإنسان إلى الإيمان بالله تعالى، ولكنه عاجز عن إدراكه- جل شأنه-[2] فهو يعتمد أدوات ووسائل مادية يوظفها لمعرفة الأشياء وهي الحواس الخمس: البصر والسمع والذوق واللمس والشم، وهذه الحواس لا تدرك ما يقع خارج قوتها الحسية؛ لمحدودية وظائفها[3]. وإخفاق عقل أرسطو[4]- الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر عقلية فلسفية ظهرت على وجه التاريخ- في معرفة الغيب من أوضح الأدلة على أن عالم الغيب أسمى من أن يتناوله العقل البشري الخطّاء، وقد أدرك الصوفية هذه الحقيقة فلجاؤا إلى محاولة الكشف عن مدارك أشمل من العقل تحقق لهم طموحهم في إدراك ما وراء العقل، ووجدوا أن أفضل ما يحقق لهم ذلك هو تجريد النفس من عوارضها الشهوانية وتنقية القلب من علله الخفية بالمجاهدة والتقوى وعندئذٍ يشرق النور الإلهي في قلب السالك فتحصل المعرفة بالله تعالى وهي ما يطلق عليها

---

(١) ينظر: المنقذ من الضلال للغزالي: ٥٧، والمشكلة الأخلاقية لكريسون: ٢٣.

(٢) ينظر: التصوف الإسلامي بين الأصالة والإقتباس لعبد القادر عطا: ٣٠٤، ٣١٢.

(٣) ينظر: ما هو التصوف للنقشبندي: ٣٣.

(٤) أرسطو: هو من أشهر الفلاسفة اليونانيين الذي جمع فروع المعرفة الإنسانية، وقد امتاز على أستاذه أفلاطون بدقة المنهج واستقامة البراهين والإستناد إلى التجربة الواقعية، وهو واضع علم المنطق كله تقريباً ولذلك لقب بالمعلم الأول وصاحب المنطق له مؤلفات عديدة تصل إلى (٨٠٢) مؤلفاً إلاّ أن قسماً كبيراً منها قد ضاع، توفي سنة (٣٢٢) ق. م ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة د. عبد المنعم الحفني/ مكتبة مدبولي/ ط٢/ سنة ١٩٩٩م/ ج١/ ص٩٩.

الصوفية اسم المشاهدة، ولهذا يُشترط في المعرفة التزام الصوفي بالتقوى، بينما لا يكون هذا الشرط ملزماً للفيلسوف[1].

أما ما يتعلق بمادة المنهج، فمادة الفلاسفة في معظمها مستمدة من الفلسفة اليونانية، أما مادة الصوفية فمصدرها الأول هو القرآن الكريم ثم السنة النبوية المطهرة.

ثالثاً: من ناحية المسائل: فبالنسبة للفلسفة هي ذات الباري (عز وجل) وصفاته وصلته بالعالم خلقاً وتصريفاً، وصلته بالإنسان قرباً وتوجيهاً، والبعث وكيفيته، وهل هو بالروح فحسب أم بالروح والجسد؟ والخُلُق الكريم الذي يمثّل الفضيلة والكمال، والخُلُق السيء الذي يمثل الشر والفساد، وإمكانية المعرفة، والبحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود، وعن أحوال الجسم من حيث هو جسم[2]، إما بالنسبة للتصوف فمسائله هي قضاياه التي يبحث فيها عن عوارضه الذاتيه[3]، كالفناء[4]، والبقاء[5]،

(١) ينظر: المنقذ من الضلال للغزالي: ٥٨، والمنهج النقدي في فلسفة ابن رشد د. محمد عاطف العراقي/ دار المعارف/ القاهرة- ١٩٤٨/ ط٢/ ص٢٥٩، والتصوف الإسلامي لعبد القادر عطا: ٣٠٦- ٣٠٧، وما هو التصوف للنقشبندي: ٣٣.

(٢) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني: (٣٧١/٢)، والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة لكريسون:٣٤.

(٣) سراج الطالبين للكديري: (٥/١).

(٤) الفناء: هو سقوط الأوصاف المذمومة، فلا يكون له في شيء من ذلك حظ، ويسقط عنه التمييز، فناءً عن الأشياء كلها شغلاً بما فُني به، كما قال عامر بن عبد الله- رحمه الله تعالى- (ما أبالي امراءةً رأيت أم حائطاً) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٤٢، والرسالة القشيرية: ٦١.

(٥) البقاء وهو الذي يعقب الفناء ومعناه قيام الأوصاف المحمودة به بسبب الرياضة والمجاهدة، حيث تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً، فتكون كل حركاته في موافقات الحق دون مخالفاته، فيكون فانياً عن المخالفات، باقياً في الموافقات. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٤٣، والرسالة القشيرية: ٦١، والسير والسلوك للخاني: ٥٨.

والمـــراقبة[1]، والقرب[2] وغيرها.

رابعًا: من ناحية المقيـاس: فالفلسفة لا مقياس لهـا للتفرقـة بـين الحـق والضلال، والصواب والخطأ، فإذا اختلف فيلسوفان في أمر مـن أمـور الفلـسفة، فإنهما لا يجدان مقياساً يرجعان إليه للحسم بينهما في موضوع الخـلاف[3]. بينمـا يرتكز التصوف في مقياسه على الكتاب والسنة واجتهاد العلماء وفق ضوابط معينة تنفيذاً لأمر الله تعالى: **﴿يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِـي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[4] والأدلة على هذا الأمر كثيرة في أقوال وأفعـال الـصوفية كـالتي سنستقيها في بيان مشروعية التصوف.

خامساً: من ناحية الغاية: فهناك من الباحثين من يذهب إلى القـول بـأن ليس للفلسفة هدف تتوخاه وغاية تنشدها؛ لرؤيتهم أن الفلسفة هي أفضل المعـارف، فلو كانت وسيلة إلى غيرها، لكان غيرها أشرف منها[5]، لـذا يعتبـرون التمـاس المعرفة لذات المعرفة هو من أخص ما يميز التفكير الفلسفي اليوناني حيث يتجـه العقل إلى كشف الحقيقة بباعث من اللذة العقلية من غير أن تدفعه إلى ذلك أغراض عملية[6]. بينما يرى آخرون أن للفلسفة غايتين أساسيتين لا يستطيع العلم تحقيقهما، إحدهما نظرية تهدف إلى معرفة ما في الكون وتفسيره حتى يتجلى لعقل الفيلسوف

(١) المراقبة: هي استدامة علم العبد باطلاع الله تعالى عليه في جميع أحواله، وهي حال شريف لعبـد قـد علم وتيقن أن الله مطلع على قلبه. ينظر: اللمع للطوسي: ٨٢، والسير والسلوك للخاني: ٤٥.

(٢) القرب: هو الطاعة والتذلل لله تعالى وإزالة كل معترض لقوله تعالى (واسجد واقترب) سورة العلق: أية (١٩). ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٢٦.

(٣) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة لكريسون: ٢٦.

(٤) سورة النساء: آية (٥٩).

(٥) ينظر: التفكير الفلسفي الإسلامي د. سليمان دنيا/ مكتبة الخانجي- المغرب/ ص٢٧٣.

(٦) أسس الفلسفة د. توفيق الطويل/ دار النهضة العربية/ القاهرة- ١٩٧٩م/ ط٧/ ص٢٣.

كل الكون ويتشبه بالإله الحق- تعالى وتقدس- بغاية الإمكان، والأخرى عملية تهدف إلى معرفة الخير وتحديد السلوك الإنساني وفقاً لمقتضياته(1).

فعلى الرأي الأولى لا يكون هناك أي تشابه بين غاية الفلسفة وغاية التصوف، فنحن قد علمنا مسبقاً أن غاية ما يهدف إليه عِلْمُنا هو تكوين شخصية اسلامية مثالية تجتمع فيها جميع معاني الصلاح من نقاء النفس وتطهيرها من الادران، وصفاء القلب من علائق الدنيا وافراده لله تعالى بكل حال، وإقران العلم بالعمل ثم التحلي بجميع الفضائل والمكارم الأخلاقية، لتقريبها من رضوان الله- عز وجل، والوصول إلى السمو والكمال الروحي المفضي إلى معرفته تعالى.

وكذا الحال مع الغاية الأولى من الرأي الثاني، أما الغاية الأخرى- وهي العملية- فتشير إلى نوع تشابه، ومع هذا فإن التصوف قد سبقها؛ لكون الإسلام بمصدري تشريعه الأساسيين من الكتاب والسنة قد بيّن، للبشرية معالم البر والخير والصلاح وطريقة تحصيلها وسلوكها، فلم يبق على التصوف إلاَّ الدعوة إليها وإرشاد السالكين فيها وتنوير بصيرة العابدين لتحقيقها.

المطلب الثاني: نشأة التصوف وأهم مدارسه

الفرع الأول: نشأة التصوف

كان القرآن الكريم في عهد رسول الله (ﷺ) هو المنبع لجميع العلوم من العبادات والمعاملات والعقائد، يتلقاها الصحابة- رضوان الله عليهم- سماعاً وتطبيقاً من رسول الله (ﷺ)، فلم يكن في عصرهم علوم تسمى الفقه وأصول الدين والحديث والتصوف، مع أنهم كانوا يطبقون تفاصيلها في حياتهم اليومية ولكن من غير مسميات، فلم يُعرف أحد منهم بإسم فقيه، أو أصولي، أو محدّث، أو صوفي؛ لأن هؤلاء الفضلاء من المسلمين لم يتخذوا لأنفسهم صفة يتصفون بها سوى

---

(1) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني: (2/369- 372).

صحبة رسول الله (ﷺ)، إذ لا فضيلة فوقها، فشرف الصحبة اسم لا مثيل له؛ لشرف رسول الله (عليه أفضل الصلاة والسلام) وحرمته[1].

وكانت الأمة الإسلامية بدءً بسيدها ورسولها الكريم (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) ثم الصحابة والتابعين ومن تبعهم (رضي الله عنهم أجمعين) ينعمون بحياة قوامها الهداية، وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[2]، فهم أئمة الزهاد والعبّاد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمخبتين[3]، وليسوا بحاجة إلى تلقينهم علماً يرشدهم إلى أمرهم قائمون به فعلاً، فمثلهم في ذلك كمثل العربي القُح، يعرف اللغة العربية بالتوارث كابراً عن كابر، فلا يلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغة، فالصحابة والتابعون وإن لم يتسمّوا باسم المتصوفين، فهم صوفيون فعلاً، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، ويتجلى بالزهد وملازمة العبودية، والإقبال على الله تعالى بالروح والقلب في جميع الأوقات وسائر الأحوال، فالصحابة والتابعون لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان والقيام بفروض الإسلام، بل قرنوا ذلك بالتذوق، وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول (ﷺ) من نوافل العبادات، وابتعدوا عن المكروهات فضلاً عن المحرمات، حتى استنارت بصائرهم، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم، فكانت هذه العصور الثلاثة (الصحابة والتابعون وتابعوهم) أزهى عصور الإسلام وخيرها على

---

(١) ينظر: اللمع للطوسي: ٢١-٢٢، والرسالة القشيرية: ١٢، وعوارف المعارف للسهروردي: ٤٣.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٤٦٧.

(٣) ينظر: اللمع للطوسي: ٢٢.

الإطلاق[١]، كما أخبر بذلك نبي الرحمة (ﷺ) بقوله: **((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))**[٢].

فلما تقادم العهد، ودخل في الإسلام أمم شتى، واتسعت دائرة العلوم، قام كل فريق بتدوين العلم الذي يجيده أكثر من غيره، وأول ما عُني به الباحثون هو علم الشريعة الذي يبحث عن الأحكام العملية الظاهرة، فوضع الفقهاء كتباً ورسائل في الفقه؛ لإستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ورد الفروع إلى الأصول، وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه، ثم دونت علوم أخرى مثل علم التوحيد ومسائله، وعلوم الحديث، والتفسير، والمنطق وغيرها[٣].

وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً، وصار الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله تعالى بالعبودية والقلب[٤]، فتميز المتوجهون إلى التنبيه على الغاية من العبادات والتركيز على مراقبة السلوك ومحاسبة النفس، عن أولئك وأطلق عليهم اسم الصوفية[٥]، وأخذوا من ناحيتهم يعملون على تدوين علم التصوف، واثبات شرفه وفضله على سائر العلوم، فكان

---

(١) ينظر: مجلة العشيرة المحمدية: عدد محرم سنة ١٣٧٦هـ، من بحث التصوف من الوجهة التاريخية للدكتور أحمد علوش، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى:١٣-١٤.

(٢) رواه البخاري عن عمران بن الحصين (ﷺ) في صحيحه: (١٣٣٥/٣ رقم ٣٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة- باب فضائل أصحاب النبي (ﷺ) ورضي الله عنهم، ومن صحب النبي (ﷺ) أو رأه من المسلمين فهو من أصحابه.

(٣) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي:١٢، ومقدمة ابن خلدون: ٤٩٦، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ١٤، ودراسات عقلية وروحية للمغربي: ١٩٩.

(٤) ينظر: حقائق عن التصوف لعيسى: ٤٠.

(٥) ينظر: بين السلفية والصوفية الاعتقاد الصحيح والسلوك السليم لزاهد يحيى الزرقي/ مطبعة الحوادث/ط١/بغداد- ١٩٩٠م/ ص١٦.

عوناً لإثبات أسباب البر والتقوى، واستكمالا لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط[1]، وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة[2] عبادة فقط وكانت أحكامها تُتلقى من صدرو الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغيرها[3].

وقد ساعدت الظروف السياسية المضطربة والفتن الداخلية بشأن الخلافة التي ثارت بين المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان والخليفة علي بن أبي طالب (ﷺ) على إفزاع الكثير من الأتقياء، فتفردوا بأعمال صالحة وأحوال سَنية، وصدوق في العزيمة، وقوة في الدين، وابتعدوا عن الدنيا، فتجمعوا في الحجاز والبصرة والعراق، واتخذوا لأنفسهم زوايا يجتمعون فيها أسوة بأهل الصفة[4]؛ واتباعا لقول رسول الله (ﷺ): **((إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها إلا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه))**[5]، وجعلوا لهم حلقات يعكفون فيها على مدارسة القرآن وأخلاق النبي (ﷺ) وما جاء في سنته الشريفة من كريم الأعمال والأحوال مبتعدين عن الفتن وأهلها ومعتصمين بالكتاب والسنة، فصفت عقولهم لقبول العلوم،

---

(١) ينظر: مجلة العشيرة المحمدية.

(٢) الطريقة: هي تتبع أفعال النبي (ﷺ) والعمل بها. السير والسلوك للخاني: ٤٣.

(٣) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٤٦٩.

(٤) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ٤٤، وفلسفة الحياة الروحية لمقداد يالجن: ٧٩-٨٠، والتصوف وفريد الدين العطار لعبد الوهاب عزام/ دار إحياء التراث العربي- ١٩٤٥م/ ص١٨-١٩.

(٥) رواه مسلم في صحيحه: (٢٢١٢/٤ رقم ٢٨٨٧) كتاب الفتن.

وتنورت قلوبهم بنور الله تعالى، وكشفت لهم الحجب[1]، فعُرف هؤلاء بإسم الزهّاد والعبّاد؛ لتفردهم عن غيرهم في كثرة العبادة واشتهارهم بشدة العناية بأمر الدين[2]، فكان الزهد هو البداية الأولى لنشوء التصوف والذي اطلق قبل المائتين من الهجرة على خواص أهل السنة المراعين أنفاسهم مع الله تعالى الحافظين قلوبهم عن طوارق الغفلة، بعد أن ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق وصار كلٌ منهم يدّعي أن فيهم زهّاداً وعبّاداً[3].

ولقد كانت البصرة هي مبدأ نشأة التصوف، فأول من أنهج سبيل هذا العلم، وتكلم بمعانيه وكشف عن أسراره هو الحسن البصري (ﷺ) حيث كان بيته مجلساً من مجالس العلم يخلو فيه مع إخوانه واتباعه من النّساك والعبّاد فيتكلم عليهم في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس[4]، بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه، حتى قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك، فممن أخذت هذا؟ فيقول: من حذيفة بن اليمان (ﷺ)[5]، وحذيفة صحابي جليل خُص بعلم دقائق النفس كالنفاق ومداخله وأسبابه ودقائق اليقين، وخصّه النبي (ﷺ) بمعرفة اليقين، وسُمي صاحب السر والعناية؛ لعلمه بمقامات القلب

---

(١) ينظر: شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/ تحقيق: محمد السعيد/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٤١٠هـ/ ج٣/ص٣٦٣، ومعالم الطريق إلى الله للمنوفي: ٩٥.

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية: ١٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢.

(٤) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب محمد بن أبي الحسن المكي/ دار الفكر/ ج١/ ص١٤٩.

(٥) حلية الأولياء للأصفهاني: (٢/١٣١- ١٣٢).

وأحواله[١]، فقد روي أن علقمة (ﷺ) ذهب إلى الشام، فلما دخل المسجد قال: (اللهم يسّر لي جليساً صالحاً، فجلس إلى أبي الدرداء (ﷺ) فقال له أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم أو منكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟- يعني حذيفة، قلت: بلى)[٢]، وهذا خير دليل على أن علم التصوف وإن لم يكن معروفاً باسمه في عهد الصحابة والتابعين، إلاّ أن مباحثه ومفرداته معلومة عندهم، كعلمهم بأصول العلوم الشرعية الأخرى التي لم تنشأ في عصرهم، ويؤكد هذا فتوى الإمام الحافظ محمد بن الصديق الغماري (رحمه الله تعالى) الذي سئل عن أول من أسس التصوف، وهل هو بوحي سماوي؟ فأجاب: وأما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو احد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي (ﷺ) بعد ما بينها واحداً واحداً ديناً فقال: **((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))**[٣] وهو الإسلام والايمان والاحسان، فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان، فمن أخلّ به فدينه ناقص بلا شك؛ لتركه ركناً من أركانه، ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوباً

---

(١) ينظر: معالم الطريق للمنوفي: ٢٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٢/٥) كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)، باب مناقب عمار وحذيفة (ﷺ).

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب (ﷺ): (٣٧/١ رقم ٨) كتاب الإيمان باب بيان الأيمان والاسلام والإحسان، ورواه البخاري في صحيحه بلفظ: (جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم): (٢٧/١) باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الأيمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة وبيان النبي (ﷺ) له.

عينياً، واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهر عقلاً ونقلاً[١]- كما بيناه في حكم التصوف- وبعد هذا فلا عجب في أن يقال أن رسول الله (ﷺ) هو أول صوفي في الإسلام، وحسبنا في ذلك حياته التعبدية الزهديةالخالصة وتبتله واختلاؤه[٢].

بعد نهاية المائة الأولى من الهجرة بدأ التصوف يتطور شيئاً فشيئاً، حتى صار معروفاً لدى عامة الناس الذين بدأوا يقبلون على شيوخه لتعلمه، فأخذت لفظة الصوفي معناها الإصطلاحي في منتصف القرن الثاني الهجري، واطلقت على من تميز سلوكهم وغاياتهم بما يوافق هذا الإصطلاح، وكأن الكلمة كانت تطلق قبل هذا الوقت على كل من اتسم بخصوصية التعبد والتزهد، وهذا أمر طبيعي في نشأة المذاهب، فهي لا تصل إلى مرحلة التقنين والاصطلاح إلاّ بعد مرورها بشعاب مختلفة تتجمع فيها شيئاً فشيئاً لتأخذ اتجاهاً متحداً[٣].

وفي القرن الثالث الهجري انتشر التصوف في العراق وصارت بغداد محوراً رئيساً للحركة الصوفية، وظهرت المدارس، وصار لكل منها شيخ ومريدون، ومنهجٌ يميزها عن المدارس الأخرى، فكان هذا القرن بحق ممثلاً لنضج التصوف الإسلامي، فقد ضم رعيلاً هائلاً من أبرز صوفية الإسلام أمثال المحاسبي، وذي النون المصري[٤]، والجنيد البغدادي(رحمهم الله تعالى) وغيرهم، وكان للظروف

---

(١) ينظر: الانتصار لطريق الصوفية لأحمد صديق الغماري/ مطبعة دار التأليف- مصر/ ص٦، وعواطف اللطائف من أحاديث عوارف المعارف لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري/ المكتبة المكية/ ط١/السعودية-٢٠٠١م/ ج١/٨٣.

(٢) ينظر: معالم الطريق للمنوفي: ٩٩، والمنقذ من الضلال (قسم: ابحاث في التصوف) لعبد الحليم محمود: ٢١٢.

(٣) ينظر: نشأة التصوف الإسلامي لإبراهيم بسيوني: ١١١.

(٤) ذو النون: هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري شيخ الديار المصرية،أصله من النوبة، من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها إخميم، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، ويعد أول من=

الإقتصادية التي سادت الحياة العامة في هذا القرن دور كبير في دفع الناس نحو الحياة الروحية المتمثلة في التصوف، فالحقيقة التي نلمسها في هذا القرن هي الترف الذي تغلغل في المجتمع الإسلامي، نتيجة العصر المزدهر قبله، عصر تأسيس الدولة العباسية، والذي بلغ أوجه أيام الخليفة هارون الرشيد(١) في نهاية القرن الثاني الهجري، وأيّام الخليفة المأمون(٢) أوائل القرن الثالث، فقد شجع هذا الترف وانصباب الاموال من سائر الأطراف في حاضرة الخلافة على الانغماس في أنواع المتعة واللهو، وكان للفرس الذين تغلغلوا في نواحي الدولة اثر كبير في إشاعة عوائد الترف والرفاهية والنعيم لما كان لهم في ذلك من تاريخ، وقد ظهر أثر ذلك كله في مجالس الأدب المختلفة،

=تكلم بمصر في ترتيب أحوال ومقامات أهل الولاية، أسند أحاديث كثيرة عن مالك والليث بن سعد وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وابن لهيعة وغيرهم، توفي- رحمه الله- بالجيزة سنة (٢٤٦هـ) وقيل (٢٤٥هـ) ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي: (٤/٢٦١-٢٦٥)، وحلية الأولياء للاصفهاني (٩/٣٣١-٣٩٥)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٧٠).

(١) الرشيد: هو أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم، ولد بالري، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة (١٧٠هـ) وكان يحج سنة ويغزو سنة، توفي- رحمه الله- سنة (١٩٣هـ) ودفن في طوس ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (١٤/٥)، والبداية والنهاية لابن كثير: (١٠/٢١٣)، والأعلام للزركلي: (٨/٦٢)

(٢) المأمون: هو أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق وأحد أعظم الملوك في سيرته وسعة ملكه، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨هـ) فتتم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة، توفي ودفن في طرطوس ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/١٨٣)، والاعلام للزركلي: (٤/١٤٢).

والغناء[1]، وهذا يقابل النصف الثاني من المجتمع والمتمثل في الفقراء والأكواخ التي تشكو ألم الجوع والفقر، فدخل كثير منهم في سلك التصوف؛ لعلمهم أن نعيم الدنيا قليل زائل، وأن النعيم الحقيقي هو نعيم الجنة، فلابد من الاجتهاد في العبادة للفوز بها[2].

وبعد هذا نقول: إن كل ما تقدم ذكره يدل دلالة واضحة على أن الصوفية ليست طائفة أو فرقة لها اعتقاد خاص، وإنما هي طريقة في السلوك تركز على الإنشغال بإصلاح الباطن والمراقبة[3]، وأن منبع التصوف صافٍ وأساسه هو كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى، وعلم يستمد أصوله من القرآن، من الطبيعي إلاّ يوجد قبل أن يُفهم القرآن ويُفسر ويُتدبر تدبيراً تتفجر عنه ينابيع الحقائق، فالقرآن قد فُسر لغوياً ومنطقياً وكلامياً، ولكن تفسيره صوفياً اقتضى مرور زمن؛ لتأمله في عمق وشمول، ووجود الشيء قبل أن يوجد اسمه الخاص أمر ممكن، سواء وجد تحت أسم آخر، أو وجد ولم تكن هناك حاجة لتسميته، وخير فيصل في مسألة أصل التصوف هو سنة رسول الله (ﷺ) فهي ترشد في صراحة لا لبس فيها إلى أن الشريعة والحقيقة ينبعان مباشرة من تعلميات الرسول (ﷺ)، فكل طريقة صحيحة تعتمد على سلسلة تصل دائماً إلى الرسول، وإذا كانت بعض الطرق قد تبنت فيما بعد بعض التفاصيل في الطريق، فإن أهمية ذلك لا تعدو أن تكون ثانوية لا تمس

---

(١) ينظر: ضحى الإسلام لاحمد أمين/ دار الكتاب العربي/ الطبعة العاشرة/ بيروت-لبنان/ ج١/ ص١٨٢- ١٨٥، والتصوف النفسي د. عامر النجار/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مصر ٢٠٠٢م/ ص١١-١٩.

(٢) ينظر: فلسفة الحياة الروحية لمقداد يالجن: ٨٠.

(٣) بين السلفية والصوفية لزاهد الزرقي: ١٦.

الجوهر من قريب أو بعيد[١]، وهذا هو حال التصوف، فأصله وتطوره نـاتج عـن إدامة تلاوة القرآن والتأمل فيه وممارسته وفق سنة رسول الله (ﷺ)[٢] وليس كمـا يحاول بعض المستشرقين القيام به من الرجوع بالتصوف إلى أصول لا تمت إلـى الإسلام بصلة، فيخضعه إلى التأثر بالتصوف الفارسي أو الهنـدي أو اليهـودي أو النصراني؛ لجعل التصوف دخيلاً على الإسلام، أو متأثراً بعوامـل أجنبيـة فـي تطوره[٣]، ويرد على هذه المزاعم المستشرق مارتن لنجز الذي هداه الله للإسـلام فتسمى بإسم أبي بكر سراج الدين بقوله: (لقد جذبني التصوف إلى الإسلام، جذبني بما فيه من مُثُل إنسانية وآداب ذوقية، وفهم صحيح واضح لله وللإنسان، والعلاقـة بينهما، وهي علاقة لم تحدد ولم ترسم في أي ثقافة أو عقيدة، كما حددت ورسـمت في التصوف الإسلامي)[٤] فليس من الصواب أن نعود به إلى عوامل خارجية عنه ونهمل العوامل الداخلية، فأي فكرة من الأفكار ذات قيمة لا يكون لها سلطان علـى نفوس الناس إلاَّ إذا كانت تمتُ إليهم بصلة، والمستشرقون إذ بحثـوا فـي أصـل التصوف وذهبوا إلى أن مرّده إلى عوامل خارجية، نسوا أو تناسوا أن أية ظـاهرة عقلية أو تطور عقلي في أمة لا يكون لها معنى ولا تفهم إلاّ في ضوء الظـروف العقلية والسياسية والدينية والإجتماعية التي عاشت فيها هذه الأمة قبل ظهورها[٥].

---

(١) من كلام الحكيم الصوفي الفرنسي رينيه جينو الذي أسلم وسمى نفسه عبد الواحد يحيى، وقـد ترجمها من الفرنسية الى العربية الباحث عبد الحليم محمود، وأوردها في كتابه (أبحاث فـي التصوف) الملحق بكتاب (المنقذ من الضلال) للإمام الغزالي: ١٩٧- ٢٠٠.

(٢) تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني لعبد الـرحمن بـدوي/ وكالـة المطبوعات /ط١/ الكويت- ١٩٧٥م/ ص٤٧.

(٣) ينظر: حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى:١٧، وتاريخ التنصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي: ١١.

(٤) مجلة الإسلام والتصوف: العدد العاشر- السنة الثالثة.

(٥) ينظر: التصوف الثورة الروحية لأبي العلا عفيفي: ٥٤.

الفرع الثاني: أهم مدارس التصوف

جاء الإسلام على لسان نبي الرحمة محمد (ﷺ) داعيا البشرية جمعاء إلى نبذ جميع عادات الجاهلية المنافية للطبيعة الإنسانية، ومنها الحث على التقليل من مباهج الحياة الدنيا والميل إلى البساطة والزهد، تفهيماً لهم بأن الدنيا هي دار امتحان وكل ما فيها هو متاع زائل، وأن الآخرة هي دار القرار والنعيم الحقيقي، وطبقاً لذلك فقد كانت حياة رسول الله (ﷺ) وأصحابه (ﷺ) من الزهد والورع ما يفوق كل تصور، واستمر الأمر على هذا الحال حتى انتهاء الخلافة الراشدة، حيث تولى الأمويون الخلافة بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فظهر على كثير من خلفائهم الإنغماس في الحياة الدنيوية مما أدى إلى حصول تراجع ديني واضح الفرق عن عصر صدر الإسلام، ونتيجة لحالة التدهور السياسي والإجتماعي والاقتصادي- وهي النتيجة الحتمية للتراجع الديني- فقد برز كبار التابعين أمثال سعيد بن المسيب[1]، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[2] (ﷺ) لتنبيه الناس وارجاعهم إلى دينهم، ومما يروى عن زهد ابن المسيب في المال أنه عُرض عليه نيف وثلاثون ألفاً ليأخذها، فقال: لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينكم، وكان يصف بني أمية

---

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن مقرن القرشي المخزومي، احد كبار التابعين، ومن الفقهاء الكبار، كان اوسع التابعين علما، توفي (ﷺ) سنة (٩٠هـ). ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: (٤/٧٤).

(٢) سالم: هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، دخل على سليمان بن عبد الملك فما زال سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره، توفي (ﷺ) في المدينة سنة (١٠٦هـ). ينظر: حلية الاولياء للاصفهاني: (٢/١٩٣)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٢/٥٠)، وتهذيب التهذيب لابن حجر: (٣/٤٣٦)، والأعلام للزركلي: (٣/٧١).

بالظلم، ولعدم مبايعته عبد الملك بن مروان[١]، على الخلافة فقد ضُـرب خمـسين سوطاً وطافوا به في أسواق المدينة[٢].

وكان سالم بن عبد الله معاصراً لابن المسيب (ﷺ) وكان مـشهوراً بالزهـد والتقلل أيضاً ومعروفاً بجرئته في مواجهة حكم بني امية، حيث يُـذكر ان الخليفـة سليمان بن عبد الملك[٣] دخل الكعبة فرآه فقال له: سلني حوائجك، فقال سالم: والله لا سألت في بيت الله غير الله[٤].

ومن هنا يتبين لنا أن مدرسة المدينة التي تأسست على يد كبـار التـابعين هي أول مدارس التصوف[٥] بملامحه الأولى، والتـي التزمت بما كـان عليـه النبي (ﷺ) من زهد وورع اسلامي خالص، وبعد ذلك بدأ التصوف يأخذ صـورته النهائية بمدارس اختصت كل واحدة منها بصفات ميزتها عن المـدارس الأخـرى وأهمها:

---

(١) عبد الملك: هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي من أكـابر الملـوك ودهاتهم، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً، انتقلت اليه الخلافة بموت ابيه سـنة (٦٥هـ)، فنقلت في أيامه الدووابن من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحـروف بالنقط والحركات، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، واول من نقـش بالعربيـة علـى الدراهم، توفي (رحمه الله) في دمشق سنة (٨٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغـدادي: (٣٨٨/١٠)، والأعلام للزركلي: (١٦٥/٤).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: (٢٥١/١).

(٣) سليمان: هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان، ولد في دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة (٩٦هـ)، كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، دامت خلافته مدة سنتين وثمانية أشـهر إلاّ اياماً، توفي(رحمه الله) سنة (٩٩هـ). ينظر: الأعلام: (١٣٠/٣).

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان: (٢٤٨/١).

(٥) ينظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي للغنيمي: ٧٢، وخصائص الحياة الروحية فـي مدرسـة بغداد لمحمد جلال شرف، دار الفكر الجامعي، مصر ١٩٧٧م، ص٧٤.

أولاً: مدرسة البصرة:

حيث اتخذت البصرة موقفاً محايداً، فابتعد أهلها عن الاشتغال بالسياسة، وحاولوا اقامة التصوف على اساس عقلي وديني، معتمدين على الكتاب والسنة وسيرة الصحابة (ﷺ)[1]، وعلى هذا الاساس فقد امتازت مدرسة البصرة بالزهد والانصراف عن ملذات الدنيا بالتقلل في المأكل والمشرب والورع الشديد، واقتداء رجالها بصحابة رسول الله (ﷺ)[2]، وشدة الايمان والاخلاص لله تعالى، ومحاسبة النفس والامتثال إلى اوامره سبحانه المستمدة من كتابه العزيز والسيرة النبوية[3]، والخوف الصادق الذي يستتبع العمل الديني الجاد، والحزن الدائم وتقوى الله في السر والعلانية، والعمل بما يقرب إلى الله (عزوجل)[4]، والتفقه وطلب جميع العلوم الشرعية[5]، ويعتبر الحسن البصري (ﷺ) شيخ هذه المدرسة ومعلمها الأول وأبرز شخصية فيها إضافة إلى شخصيات أخرى[6].

ثانياً: مدرسة الكوفة:

شهدت الكوفة موجة عظيمة في تعليم وتدوين شتى العلوم الشرعية من الفقه وأصوله، والحديث، وعلوم اللغة العربية، والعقيدة الإسلامية، وبدأ التصوف يشق

---

(١) ينظر: خصائص الحياة الروحية لمحمد جلال: (٧٥).

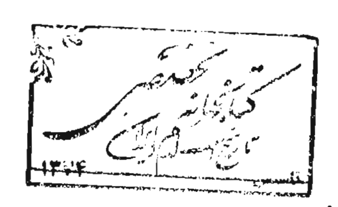
(٢) حلية الاولياء للاصفهاني: (٢/١٣٥-١٣٦).

(٣) التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه لاحمد توفيق عياد، المطبعة الحديثة، القاهرة- مصر/ (١/٣٢).

(٤) حلية الاولياء للاصفهاني: (٢/١٣٢-١٤٣).

(٥) اللمع للطوسي: (١٧).

(٦) أبرزها: مالك بن دينار، وصالح المري، وعبد الواحد بن زيد، ورباح بن عمرو القيسي. ينظر: وفيات الاعيان لابن خلكان: (١/٥٥٧)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٤٠)، ومدخل إلى التصوف الإسلامي للغنيمي: (٧٤-٧٨).



طريقه إلى جانب هذه المعارف، فكانت نشأته في الكوفة تمهيداً لنشأته في بغداد[١]، وقد امتازت هذه المدرسة بلزوم عبادة الله- عزوجل- والإنقياد لاوامره، وعدم الافراط في الأكل، والقناعة بما يكفيهم من العيش والرضا بالقليل[٢]، ومجاهدة النفس والابتعاد عن ملذاتها وكبح شهواتها، وشدة الإيمان والإخلاص لله (عزوجل)[٣]، والزهد في الدنيا ورفضها رفضاً تاماً[٤]، وارتداء جلباب من الصوف، وإخلاص الحب لله سبحانه[٥].

ويعتبر داود الطائي[٦] (رحمه الله تعالى) إمام هذه المدرسة والذي أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة النعمان (رحمه الله تعالى) الإمام الذي جمع بين الشريعة والحقيقة والذي وصفه سفيان الثوري (رحمه الله تعالى) بأعبد اهل الأرض[٧].

---

(١) ينظر: التصوف في المنظور الإسلامي رسالة ماجستير تقدم بها الحافظ عبد الخالق خوشي محمد إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد- قسم اصول الدين/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م/ ص٣٣.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي: (٣/٧٣-٧٤).

(٣) التصوف الإسلامي لاحمد عياد: (١/٣٢).

(٤) تهذيب الكمال في اسماء الرجال لأبي الحجاج جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ)/ تحقيق: د. بشار عواد معروف/ مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٩٨٣م/ ج٨/ ص٤٥٩.

(٥) خصائص الحياة الروحية لمحمد جلال: ٧٦.

(٦) الطائي: هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، ولد بعد المائة بسنوات، سمع الحديث وتفقه ودرس كثيراً من العلوم، وكان من كبار ائمة الفقه والرأي، ثم اشتغل بالتعبد واختار العزلة والإنفراد عن الناس، فلزم العبادة واجتهد فيها حتى توفي، صام داود- رحمه الله- اربعين سنة لا يعلم به اهله، حيث كان خرازاً، فيحمل غذاءه معه ويتصدق به في الطريق وعندما يرجع يفطر عند العشاء. ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/٧٥)/ وتهذيب الكمال للمزي: (٨/٤٥٩)، وسير اعلام النبلاء للذهبي: (٧/٤٢٢).

(٧) ينظر: حاشية ابن عابدين على الدر المختار: (١/٤٣).

ثالثاً: مدرسة بغداد

لمدرسة بغداد الصوفية مكانة خاصة في تاريخ التصوف الإسلامي؛ كونها مركز الخلافة العباسية وحاضرة الأمة الإسلامية آنذاك، وقد كانت ملتقى للعلماء والادباء من كل بقاع المعمورة، ولكثرة من سكن وعاش فيها من رجال التصوف لقبت ببرج الأولياء[١]، حيث روي عن بعضهم أنه قال: (كنتُ اواظب على الجمعة بجامع المنصور، فعرض لي شغل فصليتُ في غيره، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: تركت الصلاة في جامع المدينة وإنه ليصلي فيه كل جمعة سبعون وليًا!)، وقال آخر: (أردت الانتقال من بغداد فرأيت كأن قائلاً يقول في المنام: أتنتقل من بلد فيه عشرة الآف ولي لله- عزوجل-!)[٢]، فكانت بغداد مدرسة للعلم ومحطة للعلماء والاولياء.

ورثت بغداد التصوف البصري والمدني معاً بعد ضعفه في البصرة، فوضعت له أسساً وقواعد، لذا نجد في تصوف المدرسة البغدادية زهد أهل البصرة والذي يظهر أثره في شخص الحارث المحاسبي (رحمه الله تعالى) وزهد أهل المدينة والذي يظهر في شخص الامام أحمد بن حنبل (رحمه الله تعالى)[٣].

تمتاز هذه المدرسة بالإلتزام الكامل بالكتاب والسنة، والحث على طلب العلوم الشرعية[٤]، والورع الشديد، والرجاء والخوف من الله- عزوجل- والتقوى

---

(١) ينظر: التصوف في المنظور الإسلامي للحافظ عبد الخالق: ٣٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: (١٠/١٠٢).

(٣) ينظر: اصول التصوف الإسلامي الاول د. عبد المحسن الحسيني/ مطبعة بيشاور/ سنة ١٩٥٤م/ ص١-٢.

(٤) دراسات في التصوف الإسلامي لمحمد جلال شرف/ دار الفكر الجامعي/ سنة ١٩٨٣م/ ص١٠٥.

ومجاهدة النفس(١)، والزهد في الدنيا وتركها بالكلية(٢)، وتفضيل حالة الصحو(٣) على حالة السكر(٤).

ولهذه المدرسة أعلام كُثر أبرزهم معروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد البغدادي، وأبو سعيد الخراز(٥)، وأبو الحسين النوري(٦)، والحلاج(٧)

---

(١) الرسالة القشيرية: ١٧.

(٢) اللمع للطوسي: ٤٦.

(٣) الصحو: الرجوع إلى الاحساس بعد الغيبة، اما السكر، فهو الغياب عن تمييز الاشياء، فلا يميز صاحبه بين مرافقه وملاذّه وبين أضدادها في مرافقة الحق تعالى، فإن غلبات وجود الله تسقطه عن التمييز بني ما يؤلمه ويلذّه، كما قال حارثة (ﷺ) لرسول الله (ﷺ): (استوى عندي ذهبها ومدرها)، مر تخريجه، ص ( ) هامش ( ). ينظر: التعرف لمذهب اهل التصوف للكلاباذي: ١٣٥، والرسالة القشيرية: ٦٤.

(٤) معالم الطريق إلى الله المنوفي: ٢٩٠.

(٥) الخراز: هو أبو سعيد احمد بن عيسى الخراز، من أهل بغداد، وأئمة القوم وجلّة المشايخ، وأول من تكلم في علم الفناء والبقاء، صحب ذا النون المصري وسرياً السقطي وبشراً الحافي وغيرهم، توفي(رحمه الله) سنة (٤٧٧هـ)، وقيل (٢٧٩هـ)، وقيل (٢٨٦هـ). ينظر: حلية الأولياء للاصفهاني: (١٠/٢٤٦-٢٤٩)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٢/٢٨١-٢٨٣)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٩٢).

(٦) النوري: هو أبو الحسين احمد بن محمد النوري، بغدادي المولد والمنشأ خراساني الاصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ولذلك كان يُعرف بابن البغوي، لقي احمد بن أبي الحواري وصحب سرياً السقطي، توفي(رحمه الله) سنة (٢٩٥هـ). ينظر: حلية الأولياء للاصفهاني: (١٠/٢٤٩)، وصفة الصفوة: (٢/٢٨٣)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٨٧).

(٧) الحلاج: هو أبو الغيث الحسين بن منصور الحلاج، من اهل بيضاء فارس، نشأ بواسط العراق وصحب الجنيد والنوري وعمرو بن عثمان المكي وغيرهم، قتل ببغداد سنة (٣٠٩هـ)- رحمه الله تعالى-. ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: (١/١٠٧)، وجامع كرامات الاولياء للنباهي: (٢/٤٣)، وطبقات الصوفية للسلمي: ٧٤.

(رحمهم الله تعالى اجمعين) والذين اصبح لكلٍ منهم فيما بعد طريقة تعرف باسمه مثل السقطية والجنيدية، والخرازية، والنورية، والحلاجية.

رابعاً: مدرسة الشام

تميز عبّاد الشام بخصائص تفردوا بها عن غيرهم من صوفية المدارس الاخرى، فقد عُرفوا باسم الجوعية؛ لانهم ينالون من الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة[1]، ذلك انهم وجدوا في الشبع مورثاً للامبالاة، والنأي بالنفس عن إدراك ما يحيط بها من مظالم، فيقوم الشبع سداً يمنع الناس من التفكير في غيره. كما غلب على صوفية مدرسة الشام وأشهرهم أبو سليمان الداراني[2]، وابن الجلاّء[3](رحمهما الله تعالى) الكلام في الدنيا وحقارتها، واشتغال القلب بالشهوات أو خلوّه منها، وفي القلب وصفاته وصدئه، والصدق في التوبة، ومحبة الله[4]، وجهاد النفس لسد باب رغباتها[5]، والبكاء

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ٦.

(٢) الداراني: هو أبو سليمان عبد الرحمن بن احمد بن عطية العبسي أو العنسي الداراني نسبة إلى داريا قرية من قرى دمشق، طهر من الاعلال؛ لمداومته على الدؤوب والكلال، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٢٠٥هـ)، وقيل (٢١٥هـ). ينظر: حلية الأولاء للاصفهاني: (٩/٢٥٤-٢٨٠)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٤/١٨٩-١٩٧)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٧٩).

(٣) ابن الجلاّء: هو أبو عبد الله احمد بن يحيى بن الجلاّء، من اهل بغداد، انتقل إلى الشام فأقام بالرملة ودمشق، وكان من جملة المشايخ بالشام، صحب ذا النون المصري، وأبا عبيد اليسري واستاذ محمد بن داود السرقي، وتوفي- رحمه الله تعالى- سنة (٣٠٦هـ). ينظر: حلية الاولياء: (١٠/٣١٤)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٢/٢٨)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٨٧).

(٤) ينظر: خصائص الحياة الروحية لمحمد جلال شرف: ٩٨-٩٩.

(٥) اللمع للطوسي: ٤٢.

الشديد[١]، والذكر الدائم لله تعالى، كما امتازوا عن عامة الزهاد بدقة التحليل النفسي، ووصف أحوال النفس في لحظات قربها من الله (عزوجل) أو بُعدها عنه، ويعتبر الداراني(رحمه الله) مؤسس هذه المدرسة اول من استخدم مصطلح (أهل الليل) حين قال: (أهل الليل في ليلهم، ألذ من اهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل، ما أحببتُ البقاء في الدنيا)[٢]، مستنداً على قوله تعالى: **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾**،[٣]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾**[٤].

خامساً: مدرسة خراسان

بدأت ملامح التصوف الإسلامي تظهر خارج نطاق المحيط العربي نتيجة للفتوحات التي قام بها العرب المسلمون، ومن أشهر هذه البلدان هي خراسان والتي استطاع فيها الإسلام ان يدخل إلى قلوب اهلها ويستقر فيها، وبدأ نوره يظهر في قلوبهم، فبرز منهم رجال كُثر اخلصوا النية لله- عزوجل- فتفجرت ينابيع الحكمة منهم وصار واحدهم مدرسة يقصدها طلاب العلم لنهل المعارف، وأبرزهم في مجال التصوف ابراهيم بن ادهم[٥]، والفضيل بن عياض، وشقيق

---

(١) التصوف الثورة الروحية لعفيفي: ١٠١.

(٢) قوت القلوب للمكي: (١/٥٧).

(٣) سورة المزمل: آية (٦).

(٤) سورة المزمل: آية (٢٠).

(٥) إبراهيم: هو أبو اسحق ابراهيم بن ادهم بن منصور من كورة بلخ، كان من ابناء الملوك فخرج يوماً متصيداً فأثار ثعلباً وهو في طلبه فهتف به هاتف: يا إبراهيم، ألهذا خُلقت؟ أم بهذا أُمرت؟ فنزل عن دابته وأخذ من راعٍ لابيه جبة من صوف ولبسها واعطاه فرسه وما معه ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة، صحب سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وروى عن جماعة من التابعين وتابعيهم، توفي(رحمه الله) في الجزيرة سنة (١٦٢هـ)، فحُمل إلى=

البلخي[1](رحمهم الله تعالى)، وكما هو حال المدارس الاخرى، فإن لهذه المدرسة خصائص تميزها عن غيرها أهمها، معرفه ارادة النفس ومعالجتها، والبحث في آفاق النفس الإنسانية، وشدة مجاهدة النفس، والحزن الدائم وكثرة الهم، واحتقار الدنيا وكرهها، والهروب إلى الله تعالى والأنس به، واعتبار التوبة أساس العبادة[2].

سادساً: مدرسة نيسابور

في منتصف القرن الثالث الهجري انتقل مركز التصوف من بلخ- أقدم مركز في خراسان- إلى نيسابور، وفيها ظهرت فرقة الملامتية التي تنفرد بطابع خاص، يتمثل في الاهتمام الزائد بالمظاهر النفسية، ولم تكن مدرسة نيسابور منقطعة الصلة عن مدرستي بلخ وبغداد، بل كانت على تواصل معهما عن طريق الزيارة والتلمذة والصحبة[3]، ولعل أبرز ملامح هذه الصلة يظهر في نشوء القواعد الاولى لمذهب الملامتية على يد أول صوفية بغداد وهو أبو هاشم الصوفي[4](رحمه الله تعالى)، ودليل ذلك قول سفيان الثوري

=صور ودفن فيها. ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي: (٤/١٣٤-١٣٨)، وشذرات الذهب لابن عماد: (١/٢٥٥).

(١) البلخي: هو أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي، من خراسان، وهو اول من تكلم بالاحوال، صحب إبراهيم بن ادهم، وكان شيخاً لحاتم الاصم، توفي(رحمه الله) سنة (١٩٤هـ). ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: (٦)، وحلية الاولياء للاصفهاني: (٨/٥٨).

(٢) ينظر: خصائص الحياة الروحية لمحمد جلال: ٨٢-٨٦.

(٣) ينظر: التصوف الثورة الروحية لعفيفي: ٩٦.

(٤) أبو هاشم الصوفي الزاهد، من قدماء زهّاد بغداد، وأول شخصية صوفية تظهر في بغداد منذ إنشائها عاصمة للحضارة الإسلامية في عهد المنصور، كان رحمه الله الى الحق وافداً، وعن الخلق معرضاً، وفيما سوى الله زاهداً، وكان يقرن علمه بسلوكه مطهراً نفسه من الرياء=

(رحمه الله تعالى): (لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء)[1].

يقوم تصوف مدرسة نيسابور على اساسين رئيسيين هما: الملامة والفتوة، فالملامة هي كبح النفس واتهامها وتأنيبها على ما فرط منها، ورؤية التقصير فيما يصدر عنها من اعمال الطاعة، وهذا ما يسمى في علم النفس (الشعور بالذنب)، اما الفتوة فمعناها الإيثار والتضحية، وكف الاذى، وبذل الندى، وترك الشكوى، واسقاط الجاه، ومحاربة النفس[2]، فالملامتي لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً؛ لأنه تحقق بالصدق، وتشربت عروقة طعم الإخلاص، فلا يحب ان يطلع احد على حاله واعماله، بل يوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأموره ستراً للحال، لئلا يُفطن له، فإن ظهرت اعماله واحواله لاحد، استوحش من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته، فالملامتي عظّم وقع الإخلاص، وموضعه وتمسك به، قال بعضهم، متى شهدوا في اخلاصهم الإخلاص، احتاج اخلاصهم إلى اخلاص[3].

=وآثار الدنيا ومطامعها ورغباتها، وهو من أقران أبي عبد الله بن جعفر البرأني، توفي(رحمه الله) في حدود سنة (١٥٠هـ). ينظر: حلية الأولياء: (٤٣/١٠) وتاريخ بغداد: (٥٦/١٤).

(١) اللمع للطوسي: ٢٢، وعوارف المعارف للسهروردي: ٤٣، ونشر المحاسن الغالية لليافعي: (٧٠٠/٢).

(٢) التصوف الثورة الروحية لعفيفي: ٩٦.

(٣) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ٤٨، ونشر المحاسن الغالية لليافعي: (٧٠٣/٢-٧٠٤).

ومن أبرز رجال الملامتية الذين عُرفت لهم نظريات في الفتوة الصوفية، وتختلف نوعاً ما عن نظريات البغداديين، أبو حفص الحداد[1]، وحمدون القصار[2] (رحمهما الله تعالى).

المطلب الثالث: مشروعية التصوف

لو أردنا استعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة التي ورد فيها ذكرٌ للعابدين والصابرين والتائبين والمستغفرين وعباد الله المخلصين، لتطلب ذلك إيراد الكثير، فالكتاب والسنة يزخران بمثل هذه المعاني، فالخالق سبحانه خلق الإنسان من أجل العبادة وسماه عبداً، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[3]، والعبادة بطبيعة الحال تشتمل على امور عدة، ففضلاً عن الصلاة والزكاة والصوم والحج التي هي فرائض العبادة، هناك الايمان والاستقامة والمعرفة والرضا والتوكل والشكر، وهي أنواع من العبادات قد أمرنا الله (عزوجل) بأدائها وأثنى على فاعلها، وحياة رسول الله (ﷺ) وأصحابه الكرام ومن تبعهم خير مثالٍ حي يحتذى به في تطبيق هذه المعاني التعبدية الخالصة.

---

(١) الحداد: هو أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد، صحب ابن خضرويه البلخي، وهو اول من اظهر طريقة التصوف في نيسابور، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٢٦٤هـ).
ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: (١/٨٢).

(٢) القصار: هو أبو صالح حمدون بن احمد بن عمار القصار النيسابوري شيخ اهل الملامة بنيسابور، صحب مسلم بن حسن الباروحي، وأبا تراب النخشبي، وعلياً النصرآباذي، توفي- رحمه الله تعالى- بنيسابور سنة (٢٧١هـ)، ودفن في مقبرة الحيرة. ينظر: طبقات الصوفية للسلمي: ٢٩، وحلية الاولياء للاصفهاني: (١٠/٢٣١)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٨٤).

(٣) سورة الذاريات: آية (٥٦).

ولمّا كانت هذه المفردات بمجموعها تمثل قوام التصوف وحقيقته، فإن مشروعية هذا العلم تثبت بالكتاب والسنة والقدوة الصالحة المتمثلة بكل صحابي وتابعي وعبد صالح مخلص لدين الله تعالى، وفيما يأتي ذكر لكلٍ منها:

أولاً: القرآن الكريم

دعا الله تعالى في ثنايا كتابه العزيز عباده المؤمنين إلى جملة من الآداب الإسلامية، ويمكن الملاحظة أن كل واحد منها يقابل حالاً او مقاماً من أحوال ومقامات علم التصوف، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[1]، وقوله (عزوجل): **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**[2]، وإليه تستند مجاهدة النفس التي هي بداية الطريقة إلى الله سبحانه، وقوله تعالى: **﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾**[3]، وهو ما يمثل مقام التقوى، وقوله تعالى: **﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾**[4]، وهو يقابل مقام الزهد، وقوله تعالى: **﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[5]، وهو يقابل مقام التوكل، وقوله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾**[6]، ويقابل مقام الصبر، وهكذا جميع المقامات نجد لها ذكراً في كتاب الله العزيز، وكذا الأحوال، ففي قوله تعالى: **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾**[7]، مثالاً لحال الخوف، وقوله (عزوجل): **﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ**

---

(١) سورة العنكبوت: آية (٦٩).

(٢) سورة النازعات: الآيتان (٤٠-٤١).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٨٢).

(٤) سورة النساء: آية (٧٧).

(٥) سورة التوبة: آية (٥١).

(٦) سورة النحل: آية (١٢٧).

(٧) سورة السجدة: آية (١٦).

أَجَلَ اللَّه لآتٍ﴾،[١]، مثال لحال الرجاء، وقوله(جل وعلا): **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾**[٢]، مثال لحال الحزن.

كما نجد نصوصاً كثيرة تعد مصدراً لأهم الرياضات والمجاهدات لسالكي طريق التصوف، فالذكر وهو من أبرزها يستند إلى آيات عدة منها قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾**[٣]، وقوله تعالى: **﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ﴾**[٤]، وقوله تعالى: **﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾**[٥]، أي وانقطع إليه بمجاميع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته[٦]، والدعاء في قوله سبحانه: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**[٧].

وهناك من الآيات ما تجمع عدة صفات في آن واحد منها قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**[٨].

---

(١) سورة العنكبوت: آية (٥).

(٢) سورة فاطر: آية (٣٤).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٤١).

(٤) سورة الأعراف: آية (٢٠٥).

(٥) سورة المزمل: آية (٨).

(٦) تفسير العلامة أبي السعود على هامش التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، المطبعة البهية، مصر ١٣٥٧-١٩٣٨، ج٨، ص٣٣٨.

(٧) سورة غافر: آية (٦٠).

(٨) سورة الأنفال: الآيات (٢-٤).

فهذه الآيات ومثلها دليل على استناد التصوف ومباحثه على قاعدة قرآنية محكمة، وليس من الممكن ان يعتريه شك، او يقدح به باطل، أو يطعن به طاعن، فهو كمثل شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ثانياً: السنة[1] النبوية

اتخذ الصوفية من حياة رسول الله (ﷺ) منهجاً عملياً يستضيئون بنوره ويهتدون بهداه عند سيرهم في طريق الحق (عزوجل)، فرسول الله (ﷺ) قد وضع لعباد الله المؤمنين إلى جانب ما أنزل عليه من القرآن الكريم مصدراً غنياً يستمدون منه صنوف العلم وضروب العمل والذي يتمثل بكل ما صدر عنه من أقوال وأفعال نابعة من عظيم أدبه ورفيع خلقه، فقد كانت حياته (عليه الصلاة والسلام) تعبدية خالصة، تتصف بالزهد والتقلل في المأكل والمشرب، وتحفل بالمعاني الروحية السامية، ويدلنا على ذلك جميع ما ورد في كتب الصحاح والسنن والسيرة النبوية، فمن جملة ما روي عنه (ﷺ) في الزهد والتقشف قوله: ((**إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، وزهّده في الدنيا، وبصّره بعيوبه**))[2]، وجوابه لرجل قال له دلني على عملٍ إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: ((**إزهد في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيما في أيدي الناس يحبوك**))[3]، ومما روي عن كثرة تعبده (ﷺ) أن السيدة

---

(١) السنّة: هو كل ما أُثر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل او تقرير او وصف خلقية أو خُلقية أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء أو بعدها. شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م/ ج١/ ص١١-١٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: (١٣٧٤/٢).

(٣) اخرجه ابن ماجه في سننه: (١٣٧٣/٢ رقم ٤١٠٢) كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، والحاكم في المستدرك: (٣٤٨/٤ رقم ٧٨٧٣) كتاب الرقاق، وقال عنه: (هذا حديث صحيح الاسناد).

عائشة (رضي الله عنها) قالت له لمّا رأته يقوم الليل حتى تتفطر قدماه: **((أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً))**[١].

وكان (ﷺ) يعكف على نفسه الليالي ذات العدد، فقد روي عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قولها **((إن النبي (ﷺ) كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عزوجل، ثم اعتكف ازواجه من بعده))**[٢].

وكثير من أقواله (عليه الصلاة والسلام) تحض على ذكر الله تعالى والإكثار منه، منها: **((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت))**[٣]، وقوله (ﷺ) **((ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزوجل لا يريدون بذلك إلاّ وجهه، إلاّ ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم فقد بُدلت سيئاتكم حسنات))**[٤]، فالسنة قد أولت الذكر اهمية خاصة، لكونه أساس العبادة، وبه تعرف مدى محبة العبد لربه، فعلى قدر المحبة يكون الذكر.

وأما على صعيد خُلقه (ﷺ) والذي وصفته السيدة عائشة (رضي الله عنها) بالقرآن[٥]، فقد بلغ فيه الكمال، ولم يكن متكلفاً به وإنما كان

(١) اخرجه مسلم في صحيحه: (٢١٧٢/٤ رقم ٢٨٢٠)، باب إكثار الاعمال والاجتهاد في العبادة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧١٣/٢ رقم ١٩٢٢)، كتاب الاعتكاف في العشر الاواخر، ومسلم في صحيحه: (٨٣١/٢ رقم ١١٧٢)، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٥٩/١١)، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله تعالى.

(٤) اخرجه احمد في مسنده: (١٤٢/٣ رقم ١٢٤٧٦) وقال عنه: رجاله رجال الصحيح.

(٥) روى مسلم في صحيحه: (٥١٣/١ رقم ٧٤٦) باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه او مرض، عن قتادة (ﷺ) وكان قد أصيب يوم أحد، أنه سأل أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-=

سجية وطبعاً[1]، قال تعالى: **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾**[2]، فكان آية في الحلم والرحمة والتواضع والحياء والكرم، فمما روي عن حلمه ورحمته، أنه لمّا زاد تعذيب المشركين للمسلمين وكثر أذاهم، قال الصحابة (ﷺ) يا رسول الله ادع على المشركين، فقال: **((إني لم أبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة))**[3]، وما يدل على تواضعه (عليه الصلاة والسلام) أن رجلاً دخل عليه فأصابته من هيبته رعدة، فقال له رسول الله: **((هوّن عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[4]))**[5]، وأمر (ﷺ) على لسان ربه بالتواضع بقوله: **((إن الله (عزوجل) أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد))**[6].

هكذا كانت حياة رسول الله (ﷺ) خاتم النبيين وسيد ولد آدم والمرسلين، حياة بساطة وزهد تزدهر فيها جميع المُثل والقيم الإسلامية العليا، وتنطوي على

=فقال: (يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله (ﷺ)، فقالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلق نبي الله (ﷺ) كان القرآن).

(١) ينظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي للغنيمي: ٤٥.

(٢) سورة ص: آية (٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٠٠٦/٤ رقم ٢٥٩٩) باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٤) القديد: هو اللحم المملوح المجفف في الشمس، وكان طعاماً لفقراء العرب. ينظر: النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير: (٢٢/٤)، مادة قدد.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه: (١١٠١/٢ رقم ٣٣١٢) باب القديد، والحاكم في المستدرك: (٥٠/٣ رقم ٤٣٦٦) وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٠٠/١٧) كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

أروع المعاني الأخلاقية والنفحات القدسية التي وجد فيها رجال التصوف النموذج الأسمى والقدوة المثلى التي تناسب احوالهم وتشبع مشاربهم، فساروا على نهجها آمنين مطمئنين لا يعتريهم خوف ولا شك، واثقين بحسن عاقبة الإقتداء برسول الله (ﷺ) الذي بُعث لخير البشرية وإسعادها.

ثالثاً: مآثر الصحابة والتابعين وأولياء الله الصالحين

لقد رسم المؤمنون الأوائل طريق سيرهم على نحو ما بينه لهم رسول الله (ﷺ)، فالصحابة (رضي الله عنهم) قد اقتدوا بكل ما سمعوه وشاهدوه من رسول الله (ﷺ) لِما منَّ الله عليهم من نعمة الصحبة، وجاء بعدهم التابعون فاقتدوا بسنة رسول الله وصحابته، وهكذا كل من تبعهم، فكان أمام رجال التصوف ثروة كبيرة من المعاني الروحية والقيم الاخلاقية يستزيدون منها الدروس والعبر التي تساعدهم على نيل القرب من الباري (عزوجل) بشتى الطرق، فحياة الصحابة تحفل بالكثير من صور الزهد والورع والمجاهدة والتقوى والإقبال على الله تعالى بالكلية، ويشهد لهم بذلك كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى، فقد قال (عزوجل): **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[1]، وقال عنهم رسول الله (ﷺ) **((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه))**[2]، كما قال (ﷺ) **((مَثَلُ أصحابي مثل النجوم يهتدى**

---

(١) سورة التوبة: آية (١٠٠).

(٢) المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان الطبري (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض/ دار الحرمين/ القاهرة، ١٤١٥هـ/ ج٦/ ص٣٣٨ رقم (٦٥٦٧)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ: (لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)، (٦/٤٠٤ رقم ٣٢٤٠٤) باب ما ذكر في الكف عن أصحاب النبي (ﷺ).

به، **فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم))**[1]، والشواهد عنهم والتي نستشف معاني التصوف كثيرة، منها ما أثر عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قوله (وجدنا الكرم في التقوى، والغناء في اليقين، والشرف في التواضع)[2]، وقال عن المعرفة: (من ذاق من خالص المعرفة شيئاً شغله ذلك عما سوى الله، واستوحش من جميع البشر)[3].

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مثالاً في الزهد والرضا والتواضع والصبر، فقد روي عنه أنه كان يملك ثوباً واحداً فيه اثنا عشرة رقعة[4]، وقال في كتابه الذي وجهه إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) (أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلاّ فاصبر)[5]، وله عند أهل التصوف مكانة خاصة لِما امتاز به من لبس المرقع والخشونة وترك الشهوات واجتناب الشبهات واظهار الكرامات وقلة المبالاة من لائمة الخلق عن انتصاب الحق، ومحق الباطل، ومساواة الأقارب والأباعد في الحقوق، والتمسك بالأشد من الطاعات[6].

أما ذو النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فقد خُص بالتمكين[7] وهو من اعلى مراتب المتحققين، وكان شديد الحياء والتواضع، فقد روي عنه أنه حمل حزمة

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد بن نصر أبي محمد (ت ٢٤٩هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، ومحمود محمد الصعيدي، مكتبة السنة، ط١، القاهرة، ١٩٨٨م، ج١/ص٢٥٠ رقم ٧٨٣.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري، القاهرة، ١٣٢٧هـ، ج١/ص١٣٢.

(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري: ١٣٢/١.

(٤) ينظر: اللمع للطوسي: ١٢٥.

(٥) الرياض النضرة للمحب الطبري: (٢٠٠/١)، ومدخل إلى التصوف الإسلامي للغنيمي: ٥١.

(٦) ينظر: اللمع للطوسي: ١٢٦.

(٧) التمكين: هو إقامة المحققين في محل الكمال والدرجات العليا، فهو مقام الرسوخ والإستقرار على الاستقامة، ومادام العبد في الطريق، فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقي من حال إلى حال،=

حطب من بعض بستانه فقيل له: لو دفعتها إلى عبيدك، فقال: أريد ان أجرب نفسي هل تعجز عن ذلك، ومن أقواله ايضاً: (وجدت الخير كله مجموعاً في أربعة: أولها التحبب إلى الله تعالى بالنوافل، وثانيها الصبر على احكام الله تعالى، وثالثها الرضا بتقدير الله (عزوجل) ورابعها الحياء من النظر إلى الله (عزوجل))[1].

وتتميز شخصية علي بن أبي طالب (ﷺ) بمعاني جليلة وإشارات لطيفة وخصال شريفة، فقد قيل له: لِمَ ترقع قميصك؟ فقال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن[2]، وكان (ﷺ) كثير العبادة، فقد دخل عليه الأشتر النخعي[3] (ﷺ) وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين، صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين

=وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل تمكن، يقول الإمام الشافعي: التمكين درجة الانبياء، ولا يكون إلاّ بعد محنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مُكّن، مثل تمكين إبراهيم (عليه السلام)، بعد امتحانه، وتمكين يوسف (عليه السلام)، بعد امتحانه، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ**﴾ سورة يوسف: آية (٥٦)، فالتمكين من أفضل الدرجات. ينظر: الرسالة القشيرية: ٦٩، وإحياء علوم الدين للغزالي: (٣٧/١)، ومعجم مصطلحات الصوفية للحفني: ٤٨-٤٩.

(١) اللمع للطوسي: ١٢٧-١٢٨.

(٢) علي بن أبي طالب شخصيته وعصره د. علي محمد محمد الصلاّبي/ دار ابن كثير/ ط٢، بيروت- دمشق/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م/ ص٢٥٩، وتاريخ الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين لمحمد أحمد الذهبي/ دار الكتاب العربي/ ط١/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/ ص٦٤٧.

(٣) الأشتر: هو مالك بن الحارث بن يغوث النخعي المعروف بالأشتر، أمير كبار الشجعان، ورئيس قومه، سكن الكوفة وكان له نسل فيها، شهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد الجمل وصفين مع علي (ﷺ)، وولاه علي (مصر) فقصدها فمات في الطريق سنة (٣٧هـ)، فقال علي: رحم الله مالكاً، فقد كان لي كما كنت لرسول الله (ﷺ). ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: (١١/١٠).

ذلك، فلما فرغ من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل[١]، وقال عن الشكر: (إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله- عزوجل- حتى ينقطع الشكر من العبد)[٢].

وهاهم أهل الصُفّة من أكابر الصحابة (ﷺ) ورعاً وتوكلاً على الله (عزوجل) وملازمة لخدمة الله ورسوله (ﷺ)، أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الإفتتان بها عن الفروض، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء، لا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا، ولم يفرحوا إلاّ بما أُيدوا به من العقبى[٣]. وكان عبد الله بن عمر(رضي الله عنهما) يصوم النهار ويقوم الليل ويختم القرآن كله في ليلة وحين ينصحه النبي (ﷺ) بالتخفيف، وأن يكتفي بقراءة القرآن كله في شهر، يقول: يا رسول الله إني آخذ قوة[٤].

واستمر جيل التابعين على هذا الخلق والأدب الإسلامي، فقد سُئل مطرف بن عبد الله بن الشخير[٥] (ﷺ) عن سر ارتدائه الصوف وجلوسه مع المساكين، فقال:

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي/ دار ابن كثير/ ص٩٣.

(٢) عدة الصابرين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: زكريا علي يوسف/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ص١٢٢.

(٣) ينظر: المستدرك للحاكم: (١٨/٣ رقم ٤٢٩٢)، وحلية الاولياء للاصفهاني: (٢٣٧/١-٢٣٨).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: (٩/٤).

(٥) ابن الشخير: هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري البصري، كان رجلاً صالحاً ثقة، روى عن أبي بن كعب، وعثمان بن عفان، وروى عنه ثابت البناني، والحسن البصري، وحميد بن هلال، كان بينه وبين رجل كلام فكذب الرجل عليه فقال مطرف (اللهم ان كان كاذباً فأمته) فخرَّ مكانه ميتاً، فقيل له: قتلت الرجل، فقال: لا، ولكنها=

(إن أبي كان جباراً فأحبُ ان أتواضع لربي (عزوجل)، لعلـه يخفـف عـن أبـي تجبره)[1]، وقال سعيد بن المسيب(ﷺ) (من لم يعرف ما لله تعالى عليه في نفـسه ولم يتأدب بأمره ونهيه كـان مـن الأدب فـي عُزلـة)[2]، والـى عبـد الله بـن المبارك[3](ﷺ) والذي عرف حقيقة الزهد يقول: (كيف يدعي رجل أنه أكثر علمـاً وهو أقل خوفاً وزهداً)[4].

فهذه النخبة الصالحة من أولياء الله تعالى وعباده المؤمنين قد وضعوا بهـذه الأقوال والأفعال مبادئ التصوف الأولى وأسسه العامة والتـي وضـحت معـالم الطريق إلى الله تعالى وبينت سبل اتباعها، فجاء تلاميذهم الـصوفية مـن بعـدهم وكانوا خير خلف لخير سلف، وكانوا بحق رجال الله الصالحين الذين التزموا بكتابه العظيم وسنة نبيه الكريم ونهج الصحابة والتابعين، فامتلأت صفحات حياتهم نـوراً وإشراقاً أنار الدنيا بمصابيح العلم والمعرفة، ومآثرهم دالة على ذلك.

=دعوة وافقت أجلاً، توفي (ﷺ)، سنة (٩٥هـ). ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: (٢٩/١)، وتهذيب التهذيب لابن حجر: (١٧٣/١).

(١) حلية الأولياء للاصفهاني: (٢٠٠/٢).

(٢) اللمع للطوسي: ١٤٢.

(٣) ابن المبارك: هو عبد الله بن المبارك بن وضاح الحنظلي التميمي، الحـافظ شـيخ الإسـلام صاحب التصانيف والرحلات، جمع الفقه والحديث، توفي (ﷺ) في هيت سـنة (١٨١هـ). ينظر: حلية الاولياء للاصفهاني: (١٦٢/٨)، والاعلام للزركلي: (١١٥/٤).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني: (٢٦/١).

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني[1](رحمه الله تعالى) في وصيته لأبنه: (أوصيك بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده، وتعلم يا ولدي(وفقنا الله تعالى وإياك والمسلمين) أن طريقنا مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان)[2]، ويقول السيد أحمد الرفاعي[3](رحمه الله تعالى) (الحذر الحذر من مخالفة أمر النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه)[4].

---

(١) الجيلاني: هو الشيخ أبو صالح محي الدين عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكمد دوست الجيلاني، سلطان الاولياء وإمام الاصفياء، وأحد أركان الولاية الأقوياء الذين وقع الاجماع على ولايتهم عند جميع افراد الامة المحمدية من العلماء، له مصنفات كثيرة أشهرها: (الغنية لطالبي طريق الحق)، و(الفتح الرباني والفيض الرحماني)، و(فتوح الغيب)، وغيرها، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٥٦١هـ)، ودفن في بغداد. ينظر: جامع كرامات الاولياء للنباهي: (٢/٢٠٠).

(٢) الفيوضات الربانية للشيخ عبد القادر الجيلاني، ترجمة وتحقيق: الشيخ نور الدين باسم بن علي آل المدرس الحسيني/ طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة/ ص٣٩.

(٣) الرفاعي: هو السيد أحمد بن السيد علي بن يحيى بن ثابت بن علي بن الحسن بن رفاعة الهاشمي المكي، الإمام الورع الزاهد الملقب بالرفاعي، ولد في واسط سنة (٥١٢هـ)، وهو سيد الطريقة الرفاعية، وصاحب كرامات كثيرة، له عدة تصانيف منها: (البرهان المؤيد)، و (الحكم الرفاعية)، و (حالة اهل الحقيقة مع الله)، وغيرها. توفي (رحمه الله تعالى)، سنة (٥٧٨هـ). ينظر: وفيات الاعيان لابن خلكان: (١/١٧١)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/١٤٠).

(٤) البرهان المؤيد لأحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ)/ تحقيق: صفوت السفا/ مكتبة ربيع/ ط٢/ حلب- ١٩٦٢م/ ص٢٧.

وسُئل أبو علي الجوزجاني[1](رحمه الله تعالى) كيف الطريق إلى الله؟ فقال: (الطرق إلى الله كثيرة، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه اتباع السنة قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وإن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[2])[3].

وقال أبو حفص الحداد[4](رحمه الله تعالى) (من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديون الرجال)[5].

وقال أبو العباس بن عطاء[6](رحمه الله تعالى) (من ألزم نفسه آداب الله، نوّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب (ﷺ) في أوامره وأفعاله وأخلاقه)[7].

فالكتاب والسنة- كما نرى- هما اللذان يحددان مشروعية التصوف، وكل من يخرج عنهما، فإنه لا يعرف معنى التصوف الصحيح.

---

(١) الجوزجاني: هو أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني، كان من أكابر المشايخ في خراسان، له تصانيف مشهورة في علوم الأوقاف والرياضات والمجاهدات والمعارف، صحب محمد بن علي الترمذي، ومحمد بن الفضل. ينظر: حلية الاولياء للاصفهاني: (٣٥٠/١٠)، والطبقات الكبرى للشعراني: (٩٠/١).

(٢) سورة النور: آية (٥٤).

(٣) الإعتصام للشاطبي: (٩٢/١).

(٤) الحداد: هو أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد، صحب ابن خضرويه البلخي، وهو أول من أظهر طريقة التصوف في نيسابور، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٢٦٤هـ). ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: (٩٥/١).

(٥) الإعتصام للشاطبي: (٨٢/١).

(٦) ابن عطاء: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي، كان من ظرّاف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن مختص به، صحب الجنيد، وإبراهيم المارستاني، وكان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه حتى قال: التصوف خُلق، وما رأيت من أهله إلاّ الجنيد وابن عطاء، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٣٠٩هـ)، وقيل (٣١١هـ). ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي: (٢٨٧/٢)، والطبقات الكبرى للشعراني: (٩٥/١).

(٧) الإعتصام للشاطبي: (٩٦/١).

المبحث الثاني

العبادة قاعدة التصوف

من المعلوم أن التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى (ﷺ)، وابتناء الحياة على وفق ما ورد فيهما من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإكتفاء بالحلال واجتناب كل محرم، والقيام بما أمر به تعالى من واجبات وما حضّ عليه من مندوبات، والتحلي بمكارم الاخلاق، يمثل بمجموعه مفهوم العبادة بكل معانيها، ولمّا كان مبدأ التصوف وأساسه مبني على الكتاب والسنة والتزام أحكامهما وتعاليمهما، كانت العبادة قاعدة التصوف وروحه التي لا قيام له بدونها.

فالتصوف هو التوجه الصادق لله تعالى والنظر في أفعاله الباهرة الباعثة على التعرف إلى ذاته وصفاته، ثم شكره وخشيته وعبادته عبادة نقية صحيحة ناشئة عن وعي سليم، ومعتقد مبصر لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[1]، وهذه آية من كتاب الله العزيز لا يكفي في تفسيرها او تطبيق مضمونها مجرد العبادة السطحية[2]، وانما تستلزم فراغ القلب للعبادة والمداومة عليها بالليل والنهار، والسفر والإقامة، والصحة والمرض، والإنفراد والاجتماع، ظاهراً وباطناً من غير انفكاك عنها[3]، وهذا ما دأب عليه أهل التصوف في عبادتهم لله تعالى، مدركين ان كمال العبادة يكون بحفظها

(١) سورة آل عمران: الآيتان (١٩٠-١٩١).

(٢) ينظر: معالم الطرق إلى الله للمنوفي: ٨٦.

(٣) نظر: قواعد التصوف لزروق: ٧٧ قاعدة رقم (١١٣)، والتصوف الإسلامي بين الاصالة والاقتباس لعبد القادر عطا: ٢٠٩ نقلاً عن مخطوطة مفتاح المعية للنابلسي: ورقة ٣١أ.

والمحافظة عليها، وإقامة حدودها الظاهرة والباطنة[١]، عارفين أن المقصود من أدائها هو تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الايمان[٢]، وليس ذلك تكليف عليهم، فالصوفية يعتبرون العبادة دواءً للقلب، يقول الامام الغزالي(رحمه الله تعالى) العبادات أدوية داء القلب، وكما أن في الأدوية اصولاً هي اركانها، وزوائد هي متمماتها، لكل واحد منها خصوص تأثيرٍ في أعمالِ أصولها، كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان العبادات[٣].

وأهل التصوف إذ واصلوا على العبادة الليل بالنهار بقلب مخلص لله (عزوجل)، أخذوا يرتقون من درجة العبادة إلى العبودية وهو مقام لا يمكن لأحد من الناس ان يشهده بغير أداء العبادة والطاعة لله تعالى قولاً وفعلاً واعتقاداً بالتذلل والافتقار والوقوف مع الحدود، وترك ما تقوّى به النفس وتظهر[٤]، ذلك ان العبودية لله لا تصح وللنفس حكم على صاحبها، فهو كالمكاتَب[٥] يبقى عبداً لسيده ما بقي عليه درهم[٦]، قال رسول الله (ﷺ): ((**يقول الله سبحانه: يا ابن آدم، تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً، وأسدَّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدَّ**

---

(١) ينظر: قواعد التصوف لزروق: ٦٦ قاعدة رقم (٨٨).

(٢) المكتوبات الربانية للسرهندي: ٢٢٣.

(٣) ينظر: المنقذ من الضلال للغزالي: ١٤١.

(٤) ينظر: التصوف الإسلامي بين الاصالة والاقتباس لعبد القادر عطا: ٢١٢-٢١٣.

(٥) المكاتَب: هو مَن كاتب سيده على أقساط معينة، فإذا أوفاها صار حراً، والكتابة مندوبة لقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ سورة النور: آية (٣٣)، من اجل تحرير الرقاب. ينظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين لمحي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)/ اشراف مكتب البحوث والدراسات/ دار الفكر/ بيروت- ١٩٩٥م، ج١٠/ ص٢٨٠.

(٦) ينظر: بهجة الطائفة للبدليسي: ١٠٧.

فقرك))[1]، والصوفية بعبادتهم تمكنوا من التخلص من قيود النفس وآفاتها الداعية إلى المهالك، والمعينة للأعداء والمتبعة للهوى، واستمعوا إلى قول الله (عزوجل) **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**،[2]، فتنسموا بروح ما أدته اليهم الفهوم الطاهرة من غير تأثر بأدناس محبة البقاء في دار الغرور، وأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها، وصَدَقوا الله تعالى في معاملته، فصفت قلوبهم وعقولهم، وصارت همتهم محصورة في البحث عن الحق مطلقاً[3].

وعلى العبودية تترتب واجبات بينّها الامام ابن القيم (رحمه الله تعالى) بقوله: (لله سبحانه على كل أحد عبودية بحسب مرتبته، سوى العبودية العامة التي سوّى بين عباده فيها، فعلى العالِم من عبودية نشرِ السنة والعلم الذي بعث الله به رسوله (ﷺ) ما ليس على الجاهل، وعليه عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غير، وعلى الحاكم من عبودية إقامة الحق وتنفيذه وإلزامه من هو عليه به والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتي، وعلى الغني من عبودية أداء الحقوق

(١) رواه الترمذي في سننه: (٦٤٢/٤ رقم ٢٤٦٦)، كتاب صفة القيامة، الباب الثلاثون، وقال عنه: حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه: (٧٦/٢ رقم ٤١٠٧)، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا.

(٢) سورة الأنفال: آية (٢٤).

(٣) ينظر: حلية الأولياء للاصفهاني: (٢٦٢/١٠-٢٦٣)، وتاج العارفين الجنيد: ٢٦٨، ومعالم الطريق إلى الله للمنوفي: ٩٦.

التي في ماله ما ليس على الفقير، وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز فيهما)[١].

وبعد مقام العبودية تأتي العبودة عند كمال المعرفة بالله تعالى والإتيان بما طلب، فهي العبادة لله (عزوجل) إجلالاً وهيبة وحياءً منه ومحبة له، وهي اعلى من العبودية التي هي أعلى من العبادة، فالعبادة محلها البدن وهي إقامة الأمر، والعبودية محلها الروح وهي الرضا بالحكم، والعبودة محلها العبادة بالسر[٢]، قال أبو علي الدقاق[٣](رحمه الله تعالى) (العبودية أتم من العبادة، فأولاً عبادة ثم عبودية ثم عبودة، فالعبادة للعوام من المؤمنين، والعبودية للخواص، والعبودة لخاص الخاص)[٤].

ويشترط في العابد عموماً اقتران العبادة عنده بسلامة القلب من الأمراض، فهناك من الناس من غرّهم الشيطان بأن حسّن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا، وعطّلوا هذه العبادة فلم يحدّثوا قلوبهم بالقيام بها، فهؤلاء عند العلماء الصادقين ممن لا غَنَاء فيهم للدين، فالدين هو القيام لله بما امر به، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب

(١) اعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية/ بيروت- لبنان/ ج٢/١٥٧-١٥٨.

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية: ١٥٤ هامش رقم (٢)، ومعجم مصطلحات الصوفية للحفني: ١٨٢.

(٣) الدقاق: هو أبو علي الحسن بن محمد المعروف بالدقاق، أحد مشايخ الصوفية واساتذتهم، انتفع به القشيري صاحب الرسالة، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٤٠٥هـ)، وقيل سنة (٤٠٦هـ). ينظر: جامع كرامات الاولياء للنباهي: (١/٤٦٦).

(٤) الرسالة القشيرية: ١٥٤.

المعاصي[1]، يقول الرفاعي (رحمه الله تعالى) (إذا انفرد قلبك بحسن نيته وطهارة طويته، وقتلت وسرقت وزنيت، وأكلت الربا، وشربت الخمر، وكذبت وتكبرت وأغلظت القول، فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟ وإذا عبدت الله وتعففت، وصمت، وتصدقت، وتواضعت، وأبطن قلبك الرياء والفساد، فما الفائدة من عملك؟)[2].

وهكذا نرى أن العبادة هي مبنى التصوف بكل معانيه، وأن مقام العبد هو على قدر عبادته، وكل من يدّعي ان العبادة تسقط في حال من الأحوال فهو مفتر كذاب، قال الشيخ عبد القادر(رحمه الله تعالى) (ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال)[3]، وقال أبو يزيد البسطامي[4](رحمه الله تعالى) (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الماء فلاتغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة)[5]

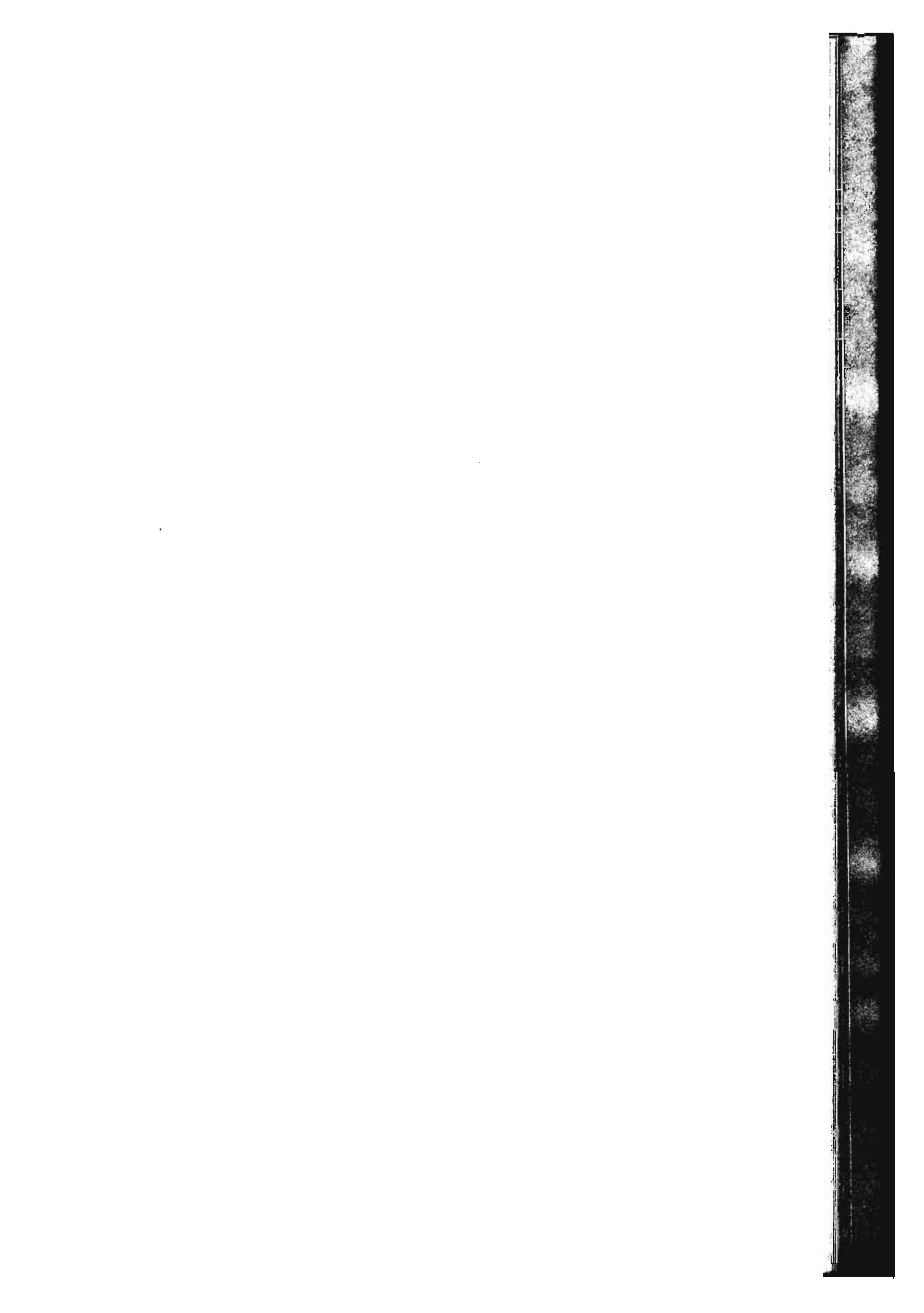
(١) ينظر: رسالة المسترشدين للمحاسبي: ٩١.

(٢) البرهان المؤيد للرفاعي: ٦٨.

(٣) الفتح الرباني للجيلاني: ٢٩.

(٤) البسطامي: هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان، من أهل الأحوال، كان جده مجوسياً فأسلم، وكانوا ثلاثة أخوة آدم وطيفور وعلي وكلهم زهّاد وعباد وأبو يزيد أجلهم حالاً، توفي (رحمه الله تعالى) سنة (٢٦١هـ)، وقيل (٢٣٤هـ). ينظر: حلية الاولياء للاصفهاني: (١٠/٣٣-٤٢)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٤/٩٨-١٠٢)، والطبقات الكبرى للشعراني: (٧٦/١).

(٥) الرسالة القشيرية : ٢٤ .





الفصل الثاني

أسس التصوف وأثرها في العبادات

ويشتمل على :

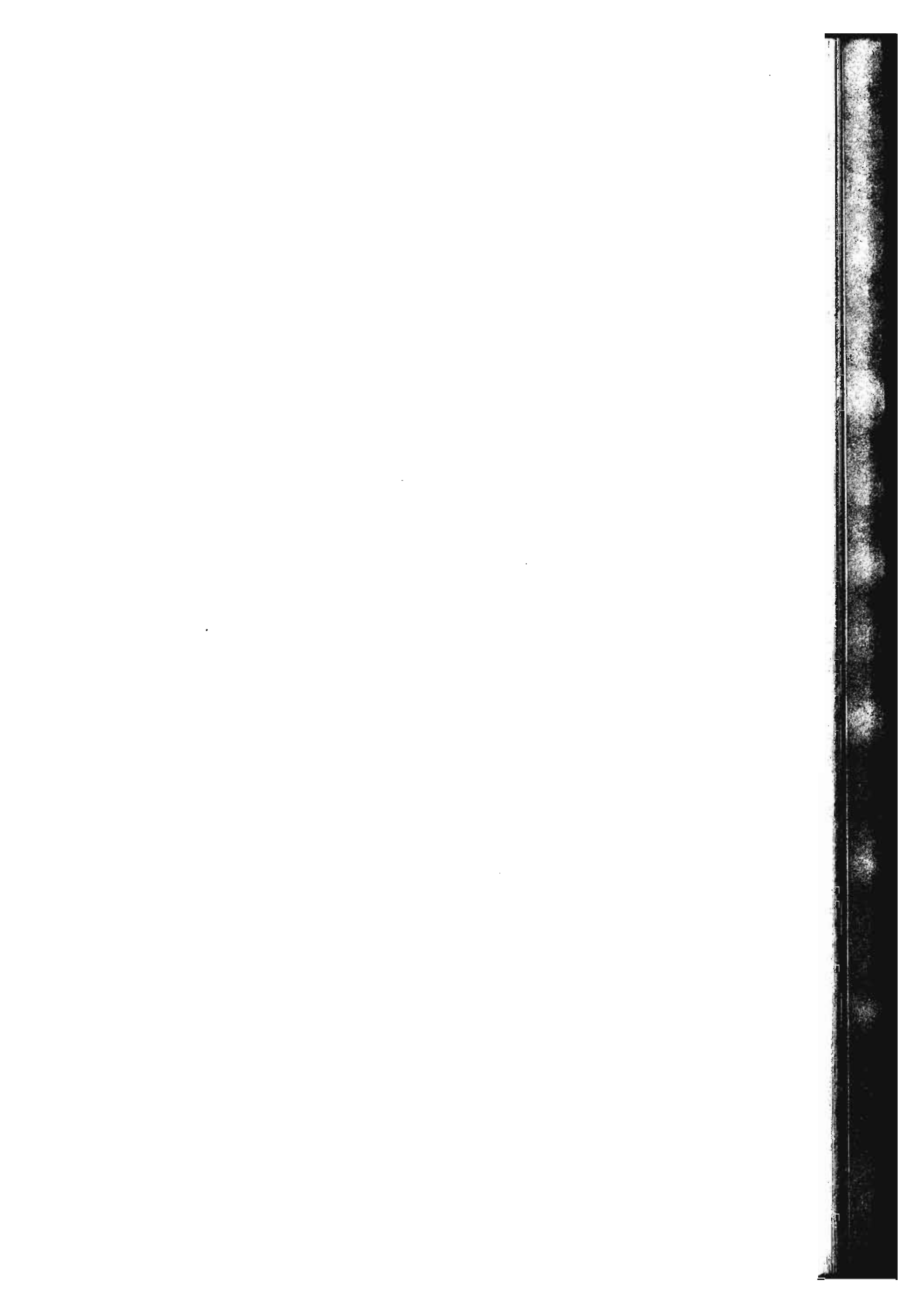
المبحث الأول : الإخلاص

المبحث الثاني : التوبة

المبحث الثالث : التقوى

المبحث الرابع : مجاهدة النفس

المبحث الخامس : العلم



الفصل الثاني

أسس التصوف وأثرها في العبادات

يتضمن هذا الفصل خمسة أسس صوفية وجدت فيها بحكم الاستقراء صلة بالعبادات، لذا كانت مباحث هذا الفصل خمسة، وهي كما يأتي:

المبحث الاول

الإخلاص

كل من يطلع على كلام مشايخ الصوفية (رحمهم الله تعالى) يجد أن إخلاص النية في التوجه إلى الله سبحانه هو أول ما يدعون إليه، وبدونه لا يمكن لأي شخص أن يخوض في مجال التصوف، فأثر صدق النية وإفراد القلب لله (عزوجل) واضح في جميع المباحث الصوفية، فهو شرط لقبول سائر الأعمال، ولا يقتصر هذا الاثر عند هؤلاء العلماء، بل نراه واضحا في كثير من المسائل الفقهية والتي بنى عليها الفقهاء(رحمهم الله تعالى) أحكامهم تبعا لاستحظار النية.

فالإخلاص من الصفات الروحية التي تسمو بالمرء إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنساني فهو السلاح الأقوى بوجه رغبات النفس ونزعاتها الدنيئة، وقد أولاه السادة الصوفية اهتماما عظيما بعد أن علموا أن مبدأ العبادة قائم على الإخلاص، حيث قال عز وجل: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**(١)، وقال(عز من قائل): **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾**(٢). فجاءت أقوالهم في تعريفه حسب أذواقهم وأحوالهم ومواجيدهم، فقال المحاسبي(رحمه الله تعالى) الإخلاص: خروج الخلق عن معاملة الرب (عز وجل)،

---

(١) سورة البينة: آية (٥).

(٢) سورة الزمر: آية (٢-٣).

والنظر إلى ثواب الله تعالى، لا يريد بذلك حب محمدة، ولا كراهية مذمة[1]، وقال الجنيد(رحمه الله تعالى) الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه مَلَك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله[2]، وقال الغزالي (رحمه الله تعالى) الإخلاص: هو قطع ما سوى الله عن مجرى النظر[3]، أما الدهلوي[4](رحمه الله تعالى) فقال عنه: هو أن يتمثل في عقله نفع العبادة لله تعالى من جهة قرب نفسه من الحق كما قال(تبارك وتعالى): ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5]، أو من جهة تصديق ما وعد الله تعالى على ألسنة رسله من ثواب الآخرة، فينشأ منه الأعمال بداعية

---

(١) الوصايا لأبي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي، (ت٢٤٣هـ)/ تحقيق عبد القادر أحمد عطا/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م/ ص٢٥٩، كتاب القصد والرجوع إلى الله.

(٢) الرسالة القشيرية: ٢٠٩، ومدارج السالكين لابن القيم: (٩٥/٢)، ونشر المحاسن الغالية لليافعي: (٤٥٩/١).

(٣) آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)/ تحقيق: محمد سعود المعيني /مطبعة العاني/ بغداد- العراق /ص١١٧.

(٤) الدهلوي: هو أبو عبد العزيز أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي الحنفي الملقب بشاه ولي الدين، ولد سنة (١١١٠هـ) في دلهي بالهند، أحيا الله به وبأولاده وتلاميذه الحديث والسنة بالهند بعد موتهما، من مؤلفاته: (الفوز الكبير في أصول التفسير)، و (حجة الله البالغة)، و (الإنصاف في أسباب الخلاف) وغيرها، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (١١٧٦هـ). ينظر : الأعلام للزركلي: (١٤٩/١).

(٥) سورة الاعراف: آية (٥٦).

عظيمة ولا يشوبها رياء ولا سمعة ولا موافقة عادة، وينسحب هـذا الحـال علـى جميع أعماله حتى الأعمال المباحة العادية[1].

فالإخلاص هو عمود الدين الاسلامي وشرط قبول الأعمال، وقد جـاء فـي الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عمـلاً أشـرك فيـه غيري فأنا منه بريء وهو للذي اشرك)[2]، وقال رسول الله (ﷺ) في اشـارة إلـى فضيلة الإخلاص ((**انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي بـه وجـه الله الا ازدت بـه درجة ورفعة**))[3]، كما قال(عليه الصلاة والسلام) ((**إنما ينـصر الله هـذه الامـة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصـهم**))[4] وعلى هذا يكـون الإخـلاص لله (عز وجل) واجب لازم في جميع الأعمال[5]، لفائدة عودها على العبد وهي حـسن قبول من الله تعالى، وفوز الثواب عليه[6].

وأساس الإخلاص الذي لابد منه هو الإيمان، يقول أبو سعيد الخراز(رحمـه الله تعالى) (فالفرض الواجب أن تؤمن بالله وتعلم وتقر وتشهد ألاّ اله الا الله وحـده

---

(١) حجة الله البالغة لأحمد شاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي (ت١١٧٦هـ)/ ضبطه ووضع حواشيه محمد سالم هاشم/ دار الكتب العلمية/ بيروت-لبنان/ ١٤٢١هـ -٢٠٠١م/ ج٢/ ص١٦٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: (١٤٠٥/٢ رقم ٤٢٠٢) باب الرياء والسمعة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٣١/٣ رقم ٣٧٢١) باب قول النبي (ﷺ) اللهـم امـض لاصحابي هجرتهم، ومسلم في صحيحه: (١٢٥١/٣ رقم ١٦٢٨) باب الوصية بالثلث.

(٤) سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)/ مطبعة مصطفى البابي الحلبـي/ ج٦/ ص٤٥، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف.

(٥) الوصايا للمحاسبي: ٢٥٩.

(٦) ينظر: منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)/ تحقيـق: محمود مصطفى حلاّوي/ مؤسسة الرسالة/ ط١ /بيـروت- لبنـان/ ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م/ ص٢٧٧.

لا شريك له وأنه الأول والآخر والظاهر والباطن.... وأن محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق وأن النبيين حق وبالحق أدوا الرسالة وبالغوا في النصيحة) ويزيد(رحمه الله تعالى) الامر إيضاحا فيقول: أن يكون العبد لا يرجو الا الله، ولا يخاف الا الله، ولا يتزين الا لله، ولا يأخذه في الله لومة لائم، ولا يبالي اذا وافق الامر الذي فيه محبة الله ورضاه مَنْ سَخِطه[1].

وللإخلاص درجات وأنواع وأقسام وأركان، فاما درجاته فهي ثلاث[2]:

الأولى: إخراج رؤية العمل عن العمل، حيث يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات: رؤيته، وملاحظته، وطلب العوض عليه ورضاه به وسكونه به، وفي هذه الدرجة يتخلص من هذه البلية.

الثانية: الخجل من العمل مع بذل المجهود، وتوفير الجهد بالإحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود، ففي هذه الدرجة تقترن العبادة بشدة الحياء من الله تعالى مع بذل المجهود فيها بقدر الطاقة لتصحيح العمل، ويحتمي العابد بنور التوفيق الذي ينور الله به بصيرته، فيرى في ضوء ذلك النور ان عمله من عين جوده تعالى لا به ومنه.

الثالثة: إخلاص عمل بالخلاص من العمل، حيث يدعه صاحبه يسير سير العلم، وهو مشاهد للحكم، بمعنى أن يجعل عمله تابعاً للعلم، موافقا له، مؤتما به، يسير بيسره، ويقف بوقوفه، ناظرا إلى الحكم الديني الأمري متقيدا به، فعلا وتركا وطلبا وهربا، وناظرا إلى ترتب الثواب والعقاب عليه سبباً وكسباً.

---

(١) كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز/ تحقيق: د. عبد الحليم محمود/ دار الكتب الحديثة/ ط٢/ سنة ١٩٦٤/ ص١٨-١٩.

(٢) ينظر: مدارج السالكين لإبن القيم: (٢/٩٦-١٠١).

أما أنواع الإخلاص فثلاثة أيضاً، إخلاص العوام، والخواص، وخواص الخواص، فإخلاص العوام هو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والآخروية، كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور، وإخلاص الخواص هو طلب الحظوظ الآخروية دون الدنيوية، وإخلاص خواص الخواص هو إخراج الحظوظ بالكلية، فعبادتهم تحقيق العبودية، والقيام بوظائف الربوبية محبة وشوقا إلى رؤيته تعالى[١].

ويضع المحاسبي(رحمه الله تعالى) مقياسا واضحا ليعرف المرء من خلاله مدى إخلاصه في عمله لله تعالى، فيقول: (إن كل من زعم أنه يريد بعمله وجه الله، ولا يريد من أحد على عمل يعمله من أعمال الصالحات جزاءً ولا شكورا، ثم عرفه الناس بعمله وذكر وصار معروفا عندهم، ونال منهم الرفعة، فإن كان يعرف من نفسه أنه إذا عرض عليه أن يحول اسمه وما نال بعلمه من الناس من الثناء كمن لا يُعرف له عمل من أعمال البر ذكر و لاغيره، فكان هذا أحب إليه فأمره مرجو، وإن كره أن يتحول ذكره الذي كان عليه إلى غيره، فدعواه حينئذ باطلة)[٢] ذلك أن مراعاة الناس تحبط الأعمال وتوجب الإفلاس وتحول الإخلاص إلى رياء[٣]، لذا فإن الصوفية يشددون على ضرورة بقاء حالهم مع الله تعالى سرا لا يطلع عليه أحد كي لا تشوب إخلاصهم شائبة، وقد روي عن أحدهم لمّا اطلع على حاله بعض الناس قوله: اللهم إنما كانت الحياة تطيب حيث كانت المعاملة بيني وبينك، فأما اذا اطلع على ذلك غيرك فلا حاجة لي بالحياة، اللهم اقبضني اليك

---

(١) إيقاظ الهمم لابن عجيبة: (١/٢٥-٢٦).

(٢) آداب النفوس للحارث بن أسد المحاسبي/ مكتبة جار الله/ تركيا/ ص٧٦ عن كتاب التصوف النفسي لعامر النجار: ٢٥٢.

(٣) شرح تائية السلوك للشرنوبي: ١٨.

الساعة، فقبضه الله تعالى إليه في تلك الساعة وهو ساجد[(١)]. فهم يرون أن إخلاص العبادة كالشجرة، إذا بانت عروقها، انقطعت عن شربها، ولم تحسن فروعها، وجف ورقها ولم تثمر، فإذا غاصت عروقها، وغابت عن الناظرين إليها، كثر شربها، وجرى ماؤها، واخضر ورقها، وطاب ثمرها، وكثر قدر قيمتها، فالعامل لله كلما أخفى عمله، زاد في قدر الصدق والإخلاص له عنده، وأُعطي أكثر الثواب[(٢)].

وأما عن أقسام الإخلاص فهي إثنان، إخلاص العمل، وإخلاص طلب الآخرة، فأما إخلاص العمل، فهو إرادة التقرب إلى الله تعالى وتعظيم أمره، وإجابة دعوته، والباعث عليه هو الاعتقاد الصحيح، وضده النفاق، واما إخلاص طلب الآخرة، فهو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير، وضده الرياء[(٣)].

وأما أركانه فهي ثلاثة، أولها النية وهي رأس الامر وعموده وأساسه وأصله الذي يبنى عليه، فإنها روح العمل، وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها، ويصح بصحتها، ويفسد بفسادها، وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة[(٤)]، فهي روح، والعبادة جسد، ولا حياة للجسد بدون الروح[(٥)]، قال رسول الله (ﷺ) **((انما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى))**[(٦)] فالنية هي أساس صحة العمل، والعمل بغيرنية صادقة رياء

(١) نشر المحاسن الغالية لليافعي: (٤٦١/١).

(٢) الوصايا للمحاسبي: ٢٦٠.

(٣) منهاج العابدين للغزالي: ٢٨٠.

(٤) اعلام الموقعين لابن القيم: (١٩٩/٤).

(٥) حجة الله البالغة للدهلوي: (١٥٢/٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٠/١) كتاب الايمان، باب ما جاء ان الأعمال بالنية، ومسلم في صحيحه: (٤٨/٦) كتاب الامارة، باب قوله (ﷺ) في الأعمال بالنية.

وتكلف، وسبب مقت لاسبب قرب[١]، وحقيقتها الإرادة الباعثة للقدرة، المنبعثة عن المعرفة، فالأعمال لا تصح الا بقدرة وإرادة وعلم، فالعلم يهيج الإرادة، والإرادة باعثة للقدرة، والقدرة خادمة الإرادة، فالنية ميل جازم باعث للقدرة، فاذا حصل العمل بباعث النية، فهي والعمل بها تمام العبادة، فالنية أحد جزئي العبادة، لكنها خير الجزئين؛ لأن الأعمال بالجوارح ليست مرادة إلاّ لتأثيرها في القلب، ليميل إلى الخير، وينفر عن الشر[٢].

والركن الثاني: إخلاص النية، وكماله بالركن الثالث وهو الصدق[٣]، قال تعالى: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾**[٤] فأرباب القلوب قد انكشف لهم ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أنه لا وصول إلى السعادة إلاَّ بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكى إلاَّ العاملين، والعالمون كلهم هلكى إلاَّ العاملين، والعاملون كلهم هلكى إلاّ المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم مالم يصدقوا النية[٥].

والمتأمل فيما تقدم يرى بوضوح، عظيم الخطر الذي يحيط بالسالك في طريق الإخلاص، فأشواك هذا الطريق كثيرة وآفاته وحجبه نافذة الأثر إلى قلوب

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: (٣٧٤/١)، وينظر: أنوار الحقيقة مباحث في التصوف والسلوك لسعيد النورسي/ ترجمة إحسان قاسم الصالحي/ مطبعة الحوادث /ط١/ بغداد- العراق/ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م/ ص٦٣.

(٢) آداب الصحبة والمعاشرة للغزالي: ١١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٧-١١٨.

(٤) سورة الأحزاب: آية (٢٣) .

(٥) ينظر: مختصر منهاج القاصدين لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)/ إعداد: قسم الترجمة والتحقيق في الدار/ دار الاسراء/ ط١/ عمان- الأردن/ سنة ٢٠٠٤/ ص٢٧٢.

المريدين مالم يحذروها، وأبرزها العجب بالنفس، والنفاق، والرياء، والطمع بالعوض لعمله ولاسيما العوض الدنيوي كطلب السمعة والشهرة وحب الظهور، وكذلك طلبه للأحوال والمقامات والمكاشفات والمعارف، فلا تكون عبادته خالصة لوجه ربه، اذ عندها يكون العابد أسير عبادته حيث يستعظم صلاته وقيامه ويتوقع لنفسه كشفا وراءها، فكأنه ما عبد الله سبحانه إلاّ لنيل المقام لا لحب الله عز وجل، فيجب لمثل هذا أن يراقب عيوبه في سلوكه، وأن يعلم بحقوق العبودية لله تعالى وآدابها الظاهرة والباطنة[١]، ومدار ذلك كله على سقوط الخلق من نظر العبد كما قال سهل التستري[٢](رحمه الله تعالى): (لا يبلغ العبد حقيقة من هذا الأمر حتى تسقط نفسه من عينه فلا يرى في الدارين إلاّ هو وربه، أو يسقط الخلق من عينه فلا يبالي بأي حال يرونه)[٣].

أما الذي يستمر على حاله غير آبه بتنقية إخلاصه من الشوائب فعقابه عظيم، يقول الغزالي (رحمه الله تعالى): (ومن خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان، أما الفضيحتان فأحدهما فضيحة السر، وهي اللوم على رؤوس الملائكة، والثانية: فضيحة العلانية، وهي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، وأما المصيبتان فأحدهما:

---

(١) ينظر: الوصايا للمحاسبي: ٢٦١، وبهجة الطائفة للبدلسي: ١٢١، وقواعد التصوف لزروق: ١١٤، وما هو التصوف للنقشبندي: ١١٦-١١٧.

(٢) التستري: هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال، تخرج عن خاله محمد بن سوار، ولقي ابا الفيض ذا النون المصري بالحرم، توفي- رحمه الله تعالى- سنة (٢٨٣هـ) وقيل (٢٧٣هـ) . ينظر: حلية الأولياء للأصفهاني: (١٠/١٨٩-٢١٢)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٤/٥٨-٥٩)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٧٧).

(٣) قواعد التصوف لزروق: ١١٤ قاعدة رقم (١١٧).

فوات الجنة، والثانية: دخول النار، وفي هذه الفضائح عبرة لأولي الأبصار، والله سبحانه ولي الهداية بفضله[1].

ولقد كان لمبحث الإخلاص في علم التصوف الأثر في كتب الفقهاء خاصة فيما يتعلق بإخلاص النية في العبادة، وكما يأتي:

فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن النية شرط في العبادة، ولابد في جميع العبادات أن تكون خالصة لله تعالى، مستدلين بقوله (عز وجل): **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[2]، وكذلك قول النبي(ﷺ): ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**))[3]، فإن هذه النصوص وغيرها تدل على هذا الاصل، بل إن جماع مقصود الكتاب والرسالة هو هذا، وهو معنى قول لا إله إلا الله، وهو دين الله الذي بعث به جميع المرسلين[4].

ومن أقوالهم في هذا:

ما ذكره ابن عابدين في حاشيته: (النية عندنا[5] شرط مطلقا، أي في كل العبادات باتفاق الأصحاب لاركن)[6].

---

(١) ينظر: منهاج العابدين للغزالي: ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) سورة البينة: آية (٥).

(٣) مر تخريجه: ص ( ) هامش رقم ( ).

(٤) ينظر: شرح العمدة لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٧هـ)/ تحقيق: د. سعود صالح العطيشان/ مكتبة العبيكان/ ط١/ الرياض- ١٤١٣هـ/ ج٤/ ص٥٧٦-٥٧٧.

(٥) أي علماء الحنفية.

(٦) حاشية ابن عابدين: (٤٣٧/١).

وما جاء في أصول السرخسي[1]: (فشرط عبادة النية، وهو مُسلَّم عندنا[2]، ومتى لم توجد النية لا يكون الدفع عبادة)[3].

وكما جاء في شرح العمدة: (إن هذه النية فرض في جميع العبادات، بل هذه النية أصل جميع الأعمال، ومنزلتها منها منزلة القلب من البدن، ولا بد في جميع العبادات أن تكون خالصة لله سبحانه)[4].

وكما جاء في إعانة الطالبين: (والنية قصد الشيء مقترنا بفعله، أي قصد الشيء الذي يريد فعله حال كون ذلك القصد مقترنا بفعل الشيء ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قال الماوردي[5]: الإخلاص في

---

(١) السرخسي: هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي نسبة إلى سرخس (في خراسان)، كان فقيها اصوليا، محدثا، مجتهدا، حنفي المذهب، درس على شمس الإئمة عبد العزيز الحلواني وغيره، له مصنفات عدة منها: (المبسوط) و (الأصول)، و (شرح السير الكبير) وغيرها. توفي رحمه الله في فرغنة إحدى بلدان ما وراء النهر سنة (٤٨٣هـ). ينظر: الأعلام للزركلي: (٦/٢٠٨).

(٢) أي علماء الحنفية.

(٣) أصول السرخسي لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٨٣هـ)/ تحقيق: أبو الوفا الأفغاني/ دار المعرفة/ بيروت- ١٣٧٢هـ/ ج٢/ ص٢٨٤.

(٤) شرح العمدة لابن تيمية: (٤/٥٧٦).

(٥) الماوردي: هو قاضي القضاة الفقيه الشافعي الأصولي الأديب المفسر أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد، ولد في البصرة سنة (٣٦٤هـ) وتلقى العلم على يد أبي القاسم الصحيري، وأبي حامد الاسفراييني، وجعفر البغدادي وغيرهم، وله مصنفات أهمها: (الحاوي الكبير)، و(الاحكام السلطانية)، و (ادب الدين والدنيا)، توفي- رحمه الله- في بغداد سنة (٤٥٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد للبغدادي: (١٢/١٠٢)، وطبقات الشافعية للسبكي: (٥/٢٦٧)، ووفيات الأعيان لابن خلكان: (٢/٤٤٤) .

كلامهم[1] هو النية)[2].

(والنية الحقيقية- كما يقول عز الدين بن عبد السلام[3]- مشروطة في أول العبادات دون استمرارها، وكذلك إخلاص العبادة شرط في أولها، والحكمي كافٍ في دوامها)[4].

ثم يبين بعد ذلك أن الغرض من النيات هو تمييز العبادات عن العادات أو تمييز رتب العبادات أثناء تمييز العبادات عن العادات موضحا إياها بالأمثلة وكالآتي[5]:

١- **الغسل**: فإنه مردد بين ما يفعل قربه إلى الله كالغسل عن الأحداث وغيرها يفعل لأغراض العباد من التبرد والتنظف والإستحمام والمداواة الأوضاع والأقذار، فلما تردد بين هذه المقاصد وجب تميز ما يفعل لرب الأرباب عما يفعل لأغراض العباد.

---

(١) أي علماء الشافعية.

(٢) إعانة الطالبين لأبي بكر السيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص١٢٦.

(٣) عز الدين: هو الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي السلمي، كان شيخا للإسلام، عالما، ورعا، زاهدا، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، قرأ الفقه على ابن عساكر، والأصول على الشيخ الآمدي، وولي خطابة دمشق ثم انتقل إلى مصر وولي الخطابة والقضاء فيها، واستقر بتدريس الصالحين في القاهرة حتى توفي- رحمه الله- سنة (٦٦٠هـ). ينظر: طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي/ تحقيق: خليل الميس/ دار العلم/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص٢٦٧.

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان/ ص١٧٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٧٦-١٧٧.

٢- **دفع الأموال:** مردد بين أن يفعل هبة أو هدية أو وديعة، وبين أن يفعل قربة إلى الله كالزكاة والصدقات والكفارات، فلما تردد بين هذه الأغراض وجب أن تميز النية ما يفعل لله عما يفعل لغير الله.

٣- **الإمساك عن المفطرات:** تارة يفعل لغرض الامساك عن المفطرات، وتارة يفعل قربة إلى رب الأرضين والسموات، فوجب فيه النية ؛ لتصرفه عن أغراض العباد إلى التقرب إلى المعبود.

٤- **حضور المساجد:** قد يكون للصلوات، أو الراحات، أو القربة بالحضور فيها زيارة للرب سبحانه وتعالى، ولما تردد بين هذه الجهات وجب أن تميز الحضور في المسجد زيارة لرب الأرباب عما يفعل لغير ذلك من الأغراض.

٥- **الضحايا والهدايا:** لمّا كان ذبح الذبائح في الغالب لغير الله من ضيافة الضيفان وتغذية الأبدان، ونادر أحواله أن يفعل تقربا إلى الملك الديان، شرطت فيه النية؛ تمييزا لذبح القربة عن الذبح للاقتيات والضيافات؛ لأن تطهر الحيوان بالذكاة كتطهير الأعضاء بالمياه من الأحداث تارة يكون لله، وتارة يكون لغير الله لتتميز الطهارة الواقعة لله عن الطهارة الواقعة لغير الله.

٦- **الحج:** لمّا كانت أفعاله مرددة بين العبادات والعادات وجب فيه النية ؛ تمييزا للعبادات عن العادات.

أما مثال تمييز رتب العبادات فكالصلاة تنقسم إلى فرض ونفل، والنفل ينقسم إلى راتب وغير راتب، والفرض ينقسم إلى منذور وغير منذور، وغير منذور ينقسم إلى ظهر وعصر ومغرب وعشاء وصبح، والى قضاء وأداء، فيجب في النفل أن يميز الراتب عن غيره بالنية، وكذلك تميز صلاة الإستسقاء عن صلاة

العيد، وكذلك في الفرض تميز الظهر عن العصر، والمنذورة عن المفروضة بأصل الشرع، وكذلك في العبادة المالية تميز الصدقة الواجبة عن النافلة، والزكاة عن المنذورة والنافلة، وكذلك يميز صوم النذر عن صوم النفل، وصوم الكفارة عنهما، وصوم رمضان عما سواه، ويميز الحج عن العمرة، يميزاً رتب العبادات عن بعض.

ومن ثم تترتب على التمييز بين العبادات- كما يقول السيوطي رحمه الله- أمور، منها[1]:

١- عدم اشتراط النية في عبادة لا تكون عادة أولا تلبس بغيرها كالإيمان بالله تعالى، والمعرفة، والخوف والرجاء، والنية، وقراءة القرآن، والأذكار؛ لأنها متميزة بصورتها.

٢- اشتراط التعيين فيما يلتبس دون غيره ودليل ذلك قوله (ﷺ) **((وانما لكل امرئ ما نوى))**[2] فهذا ظاهر في اشتراط التعيين؛ لان اصل النية فهم من اول الحديث **((إنما الأعمال بالنيات))** كالصلاة مثلا، فانه يشترط التعيين في الفرائض؛ لتساوي الظهر والعصر فعلا وصورة، فلا يميز بينهما إلا التعيين، وفي المطلقة كالرواتب فيعينها بإظافتها إلى الظهر مثلا وكونها التي قبلها أو التي بعدها، والعيدين فيعينها بالفطر والنحر، والضحى، والوتر، والكسوف، والإستسقاء فيعينها بما اشتهرت به.

٣- ومما يترتب على التمييز الإخلاص، ومن ثم لم تقبل النيابة؛ لأن المقصود إختبار سر العبادة إلا فيما اقترنت بفعل كتفرقة زكاة، وذبح أضحية، وصوم عن الميت وحج، وقال بعض المتأخرين الإخلاص أمر زائد على النية لا

---

(١) الاشباه والنظائر للسيوطي: ١٢-٢٠.

(٢) مرَّ تخريجه ص ( ) هامش رقم ( ).

يحصل بدونها وقد تحصل بدونه، ونظر الفقهاء قاصر على النية، وأحكامهم إنما تجري عليها، وأما الإخلاص فأمره إلى الله تعالى.

ومن الجدير بالذكر أن فقهاء الحنفية قد قسموا العبادة على قسمين[1]:

الأول: عبادة مقصودة لذاتها لا تصح بدون النية، كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها.

والثانية: عبادة غير مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة لغيرها كالوضوء وغيره من الشرائط، فإنه لايرعى وجودها قصدا فيتحقق بدون النية.

وبناءً على هذا نجد أنهم لم يشترطوا النية في طهارة الحدث بالماء، وأوجبوها في التيمم، بخلاف جمهور الفقهاء[2].

وفيما يلي ذكر ما يؤكد هذا من كتب المذاهب الفقهية:

فقد ذكر ابن عابدين في حاشيته: (هو أنها- أي النية- سنة في الوضوء والغسل، وشرط في المقاصد من العبادات كالصلاة والزكاة وفي التيمم وفي الوضوء بنبيذ التمر وسؤر[3] الحمار نحو الكفارات وفي صيرورة المنوي بها عبادة)[4].

---

(١) الغرة المنيفة لأبي حفص عمر الغرنوي الحنفي (ت٧٧٣هـ)/ تحقيق: محمد زاهد/ مكتبة الإمام أبي حنيفة/ ط٢/ بيروت- ١٩٨٨م/ ج١/ ص١٩.

(٢) ينظر: المذهب في فقه الإمام الشافعي لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت٤٧٦هـ)/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص١٤، وحلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء لسيف الدين محمد بن أحمد الشاشي القفال (ت٥٠٧هـ)/ تحقيق: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة/ مؤسسة الرسالة- دار الأرقم/ بيروت- عمان/ ط١/ سنة ١٤٠٠هـ/ ج١/ ص١٠٨، وحاشية ابن عابدين: (١٠٨/١) .

(٣) السؤر: بضم السين مهموز، بقية طعام الحيوان وشرابه. ينظر: المطلع لأبي الفتح: ٤٠.

(٤) حاشية ابن عابدين: (١٠٨/١).

كما يقول: (إن الصلاة تصح عندنا[١] بالوضوء ولو لم يكن منويـا، بخـلاف التيمم، وإنما تسن النية في الوضوء ليكون عبادة، فإنه بـدونها لا يـسمى عبـادة مأموراً بها وإن صحت به العبادة بخلاف التيمم فإن النية شرط لـصحة الـصلاة، فالنية في الوضوء شرط لكونه عبادة، وفي التيمم شرط لصحة الصلاة به)[٢].

وفي الهداية: (ويستحب للمتوضئ أن ينوي الطهارة، فالنية في الوضوء سنة عندنا[٣]، وعند الشافعي[٤]- رحمه الله تعالى- فرض؛ لأنه عبادة، فلا تصح بـدون النية كالتيمم، ولنا[٥] أنه لايقع قربة إلاَّ بالنية، ولكنه يقع مفتاحا للـصلاة؛ لوقوعـه طهارة باستعمال المطهر، بخلاف التيمم؛ لأنه مطهر إلاَّ في حال إرادة الصلاة، أو هو ينبئ عن القصد)[٦].

---

(١) أي علماء الحنفية.

(٢) حاشية ابن عابدين: (١/١٠٧).

(٣) أي علماء الحنفية.

(٤) الشافعي: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع، ولد في عسقلان (غـزة فـي فلسطين) سنة (١٥٠هـ)، حاز الفنون والعلوم المختلفة من الفقه، والحديث، واللغة، والفلـك، والطب، وأسس مذهبا فقهيا عرف بالمذهب الشافعي نسبة إليه، تتلمذ على يد علماء عدة حيث قرأ القران على إسماعيل بن قسطنطين، والحديث على سفيان بن عيينة، وأخذ الفقه من مالك بن انس وغيره، له مصنفات عدة أهمها: (الأم)، و (الرسالة)، و(جمـاع العلـم)، وغيرهـا، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٢٠٤هـ) ودفن بالقاهرة. ينظر: تاريخ بغداد للبغدادي: (٢/٦٥، ٣٧)، وتهذيب التهذيب لإبن حجر: (٩/٢٥-٣١)، ووفيات الأعيان لإبن خلكـان: (١/٥٦٥-٥٦٨).

(٥) أي علماء الحنفية.

(٦) الهداية شرح البداية لأبي الحسين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغياني (ت ٥٩٣هـ)/ المكتبة الاسلامية/ بيروت- لنبان/ ج١/ ص١٣.

وفي مواهب الجليل: (إن النية في الصلاة متفق عليها أصل، والنية في الوضوء مختلف فيها فرع لها ومن الجهل حمل الأصل على الفرع)[1].

وفي الغرة المنيفة: (الوضوء يجوز بدون النية عند الإمام أبي حنيفة وأصحابه (رحمهم الله تعالى) وعند الشافعي (رحمه الله) لا يجوز بدونها، وحجة الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) من وجوه:

الأول: ما روي عن أم سلمة[2](رضي الله عنها): ((**أنها قالت: يا رسول الله، إني أمراة أشد ضفر رأسي أفأنقضه لغسل الجنابة؟ فقال: لا، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات**[3] **ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين**))[4]، فما زاد على جواب النية، وقد علمنا أنه عليه الصلاة والسلام أراد تعليمها صفة الغسل المجزي، فلو كانت النية شرطا لعلمها.

الثاني: ان الله تعالى أمر في آية الوضوء بغسل الأعضاء الثلاثة ومسح الرأس ولم يزد عليها، فلو كانت النية شرطا لذكرها.

(١) مواهب الجليل لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي (ت ٩٥٤هـ)/ دار الفكر/ ط٢/ بيروت -١٣٩٨هـ/ ج١/ ص٥١٨.

(٢) أم سلمة: هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد شمس بن عمر بن مخزوم واسم أبيها سهل وقيل سهيل، تزوج رسول الله (ﷺ) منها في السنة الرابعة من الهجرة وتوفيت(رضي الله عنها) سنة (٥٩هـ)، وقيل (٦١هـ) . ينظر: الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الرازي (ت٣٢٧هـ)/ مطبعة مجلس دائرة المعارف الاسلامية/ ط١/ حيدرآباد- الهند/ سنة ١٩٥٢م/ ج٩/ ص٤٦٤، والثقات لأبي حاتم محمد بن حيان التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدر اباد- الهند/ ط١/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م/ ج٢/ص١٣٩.

(٣) حَثْيات: أي ثلاث غرف بيديه، ووأحدها حَثْية . النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير: (٣٣٩/١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه: (٢٥٩/١ رقم ٣٣٠) كتاب الحيض، باب حكم ضفائر المغتسلة.

الثالث: أنه لو شرطنا النية في الوضوء والغسل يلزم منه الزيادة على الكتاب بخبر الواحد وهو نسخ، فلا يجوز.

الرابع: أن النبي (ﷺ) حين علَّم الإعرابي أركان الوضوء لم يذكر فيها النية.

الخامس: أن الماء خلق مطهرا طبعا، فلا يحتاج التطهير إلى النية، كما لا يحتاج في حصول الري به إليها.

حجة الإمام الشافعي(رحمه الله) من وجوه:

الاول: قوله تعالى: **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾**[1] فإذا لم يقصد رفع الحدث لا يرتفع عنه، الجواب عنه: أن رفع الحدث بالماء لا يتوقف على القصد؛ لكونه مطهرا طبعا، والمراد بالنص والله أعلم أن ليس للإنسان إلاّ ثواب ما سعى، ونحن نقول بموجبه، فانه لا يحصل له ثواب الوضوء بدون النية، إذ الثواب لا يحصل إلاّ بالقربة، ولا يقع قربة إلاّ بالنية عندنا[2] أيضا، ولكنه يقع مفتاحا للصلاة بدونها.

الثاني: أن الوضوء عبادة؛ لأنه مأمور به، وكل مأمور به عبادة محتاج إلى النية، لقوله تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**[3] والإخلاص لا يتحقق إلاّ بالنية، فالوضوء لا يصح إلاّ بالنية.

الجواب عنه: لا نسلم أن كل عبادة تحتاج إلى النية، فتطهير الثوب مأمور به وعبادة بقوله تعالى: **﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾**[4] وستر العورة بقوله تعالى: **﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ**

---

(١) سورة النجم: آية (٣٩).

(٢) أي علماء الحنفية.

(٣) سورة البينة: آية (٥).

(٤) سورة المدثر: آية (٤).

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1] أي استروا عورتكم عند كل صلاة، واستقبال القبلة بقوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[2] وأداء الأمانة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[3] وغير ذلك ومع هذا لا يشترط لهذه الأشياء النية، على أن العبادة على نوعين، مقصودة لذاتها كالصلاة وهي لا تصح إلاَّ بالنية، وغير مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة لغيرها كالوضوء وغيره من الشرائط، فإنه لا يرعى وجودها قصدا، فيتحقق بدون النية، وهذا لأن النص مطلق فيقتضي كون الإخلاص شرطا في العادة المطلقة الكاملة)[4]

قال ابن مفلح[5] في المبدع: (ذكر أصحابنا[6] عن طوائف من العلماء[7] أنه ليس من شرط العبادة النية، بدليل الستارة واستقبال القبلة، وهما شرطان للعبادة، وأجيب بأنهما يوجدان في جميع الصلاة كوجودهما قبلها، فنية الصلاة متضمنة لهما)[8].

---

(١) سورة الأعراف: آية (٣١).

(٢) سورة البقرة: آية (١٤٤).

(٣) سورة النساء: آية (٥٨).

(٤) الغرة المنيفة للغرنوي: ١٨-١٩ .

(٥) ابن مفلح: هو أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الصالحي الحنبلي، ولد في بيت المقدس سنة (٧٠٨هـ) وقيل (٧١٠) وقيل (٧١٢هـ)، كان فقيها مجتهدا وأعلم أهل عصره بالمذهب الحنبلي، له مصنفات عدة أهمها: (الآداب الشرعية الكبرى)، و(الفروع)، و(شرح المقنع)، توفي(رحمه الله) سنة (٧٦٣هـ) ودفن في دمشق. ينظر: الأعلام للزركلي: (٣٢٧/٧).

(٦) أي من علماء الحنابلة.

(٧) ومنهم علماء الحنفية.

(٨) المبدع لابن مفلح: (١١٧/١).

المبحث الثاني

التوبة

من أسس التصوف الأخرى والتي يوليها شيوخ التصوف أهمية عظيمة دفعتهم لجعلها في مقدمة المقامات وأولى المجاهدات والرياضات هي التوبة، حيث علموا يقينا أنها سبب قوي لتقريب العبد من الله (عز وجل) والفوز بمحبته تعالى ورضاه، فضلا عن كونها دواءً ناجحا لكل أدواء النفس وأمراض القلب، وآثارها في مجال التزكية جلية لا تخفى، إذ بها تتحقق للنفس عزتها وسكينتها بتذللها لخالقها وخضوعها له سبحانه راضية مرضية، وإقبالها عليه خائفة وجلة، فينال صاحبها الأمن ويتذوق لذة المناجاة لبارئه (جل شأنه)، وبها يستعيد المسلم ثقته بنفسه بعد أن كان ينفرمنها ويكرهها بسبب الآثام التي ارتكبها، وهذا بلا شك دافع قوي لتكوين شخصية المسلم الثابتة المطمئنة التي لاتحس بالتوتر ولا تعتريها الكآبة والقلق[1]. ولما كانت مشروعية التوبة مستمدة من الكتاب والسنة، فإننا نجد أثرها واضحا في المسائل الفقهية العبادية التي بينها الفقهاء (رحمهم الله تعالى) في كتب الفقه.

ولتفصيل الكلام عن التوبة نبدأ بذكر أدلتها، حيث أكد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على وجوب التوبة وعظيم فضل التائبين وعلو منزلتهم، فقال تعالى: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[2]، وقال سبحانه **﴿اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾**[3]، وقال عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى**

---

(١) ينظر: شفاء النفس وغذاء الروح لأنس أحمد كزون/ دار نور المكتبات- دار ابن حزم/ ص١٩٨-١٩٩.

(٢) سورة النور: آية (٣١).

(٣) سورة هود: آية (٥٢).

اللَّه تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[1]، وبين سبحانه منزلة التائبين عنده بقولــه **﴿إِنَّ اللَّــهَ يُحِـبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[2]، وسمّى من لم يتب ظالما، فقال(جل جلاله): **﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[3]، ولا تقل أهمية التوبة في السنة عن أهميتهــا فــي الكتاب حيث ورد عن رسول الله (ﷺ) عدة أحاديث عنها، كقولــه(عليــه الــصلاة والسلام): **﴿يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليــوم مائــة مرة﴾**[4]، وقال (ﷺ): **((إن الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مــسيء النهــار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس مــن مغربهــا))**[5]، وقال صلوات الله وسلامه عليــه: **((كــل بنــي آدم خطــاء، وخيــر الخطــائين التوابون))**[6].

وتبعا لمفهوم هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، فإن التوبة فرض عين على كل مسلم ومسلمة، إذ لا يخلو الإنسان في جميع أحواله من ارتكاب ذنــب أو معصية أو غفلة أو تقصير، وليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية،

---

(١) سورة التحريم: آية (٨).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٢٢).

(٣) سورة الحجرات: آية (١١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: (٧٢/٨) كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: (٩٩/٨-١٠٠) كتاب التوبة، باب قبول التوبة مــن الــذنوب وإن تكررت.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه: (١٤٢٠/٢ رقم ٤٢٥١) كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، والترمذي في سننه: (٦٥٩/٤ رقم ٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة، والحاكم في المستدرك: (٢٤٤/٤) وقال عنه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فالله تعالى قد توعد أهل المعاصي بالعذاب، ولا يسقط عنهم الوعيد إلاّ بالتوبة[1]، قال الإمام النووي[2] (رحمه الله تعالى): (اتفقوا- يعني العلماء- على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة)[3] فلا يجوز التراخي فيها وتسويفها إلى وقت آخر إستصغارا لشأنها، بل يجب أن تكون بعد ارتكاب المعصية كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**[4]، أما من آخرها فتجب عليه التوبة من تأخيرها كما قال ابن القيم(رحمه الله تعالى)

---

(١) ينظر: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)/ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده/ الأزهر- مصر/ ص١٩، وآداب الصحبة والمعاشرة للغزالي: ١٠٦، وتهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق لمحمود بن أحمد الفارياني (ت٦٠٧هـ)/ هذبة وخرج أحاديثه: محمد خير رمضان يوسف/ دار ابن حزم/ ط١/ بيروت-لبنان/ ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م/ ج١/ ص٣٠٩، ومختصر منهاج القاصدين لإبن قدامة: ١٩، ورياض الصالحين في كلام سيد المرسلين لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)/ تحقيق: عبد الله أحمد أبو زينة/ دار القلم/ بيروت- لبنان/ ص١٠.

(٢) النووي: هو الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي نسبة إلى قرية نوى وهي وأحدة من قرى حوران من أعمال دمشق، شافعي المذهب وكبير الفقهاء في زمانه وكان محدثا وأصوليا ولغويا، أخذ العلم عن العديد من العلماء أمثال: عبد الرحمن الفزاري والكمال المغربي وغيرهم، وله مصنفات عدة منها: (شرح صحيح مسلم)، و(المجموع شرح المهذب)، و(رياض الصالحين) وغيرها، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٦٧٦هـ) ودفن في مدينة نوى . ينظر: طبقات الشافعية للسبكي: (١٦٥/٥)، والأعلام للزركلي: (١٤٩/٨).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي/ المطبعة المصرية/ ط١/ القاهرة- مصر/ ج١٧/ ص٥٩.

(٤) سورة النساء: آية (١٧) .

(إن المبادرة إلى التوبة من الذنوب فرض على الفور، لا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي توبته من تأخير التوبة، وقلّ أن تخطر هذه ببال التائب... ولا ينجى من هذا إلا توبة عامة مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم)[1]، وأدنى التوبة- كما يقول التستري رحمه الله- ترك التسويف في نهي هو مقيم عليه، فما من عبد أذنب ولم يتب منه إلاّ جرّه إلى ذنب آخر وأنساه ذنبه الاول[2]، لذا فهو يعرّف التوبة بأنها ترك التسويف[3]، أما إذا تعود الإنسان على السوء واطمأن إليه وظل على هذه الحالة حتى اقتراب أجله فإن الله لا يقبل توبته، قال تعالى: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[4].

ومن التعريفات البارزة للتوبة قول أبي الحسين النوري- رحمه الله تعالى: (التوبة أن تتوب عن كل شئ سوى الله تعالى)[5]، وقول ابن القيم (رحمه الله تعالى): (التوبة هي رجوع العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم ولا تحصل هدايته

---

(١) مدارج السالكين لإبن القيم: (١/٢٧٢-٢٧٣).

(٢) من التراث الصوفي للتستري: (٢/٢٥٣).

(٣) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٣٠٣).

(٤) سورة النساء: آية (١٨).

(٥) عوارف المعارف للسهروردي: ٢٨٤، وينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٠٩، واللمع للطوسي: ٤٤.

إلا بإعانته وتوحيده)[1]، وسئل البوسنجي (رحمه الله تعالى) عن التوبة فقال: (إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره فهو التوبة)[2].

ومبدأ التوبة هو الإيمان، وهو سطوع نور المعرفة على القلب، حتى يتضح فيه أن الذنب سموم مهلكة، فتشعل فيه نار الخوف والندم، وينبعث من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر، أما في الحال فيترك الذنوب، وأما في الإستقبال فبالعزم على الترك، وأما في الماضي فبالتلافي على حسب الإمكان[3]، انطلاقا من الخوف والرجاء لربه، لعلمه أن الله (عز وجل) نهاه عما يهوى قلبه وتشتهيه نفسه، فالنار قد حفت بالشهوات، فمن تركها فقد احتجب عن النار واستحق النزول في جوار الله سبحانه[4]، وهذا يكون بذكر غاية قبح الذنب، وشدة عقوبة الله تعالى، وأليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة له به، وذكر ضعفه وقلة حيلته، فإن من لا يحتمل حر شمس وقرص نملة، فكيف يحتمل حر نار جهنم، وضرب سياط الملائكة الشداد، ولسع العقارب، فهذا من شأنه أن يزيد خوفه، فتنطفأ نار شهوته التي أصر عليها ويقلع عن الذنوب بالندم والتوبة والخشوع والانابة[5].

وأول التوبة الإجابة، ويتلوها الإنابة، ثم تتبعها الأوبة وهي الإذعان والتسليم لعظمة الله سبحانه[6].

وللتوبة بداية ونهاية، فبدايتها التوبة من الكبائر ثم الصغائر ثم المكروهات ثم خلاف الأولى ثم رؤية الحسنات ثم رؤية أنه صار معدودا من فقراء الزمان ثم من

---

(١) مدارج السالكين لإبن القيم: (١٧٩/١).

(٢) الرسالة القشيرية: ٨٠.

(٣) ينظر: آداب الصحبة والمعاشرة للغزالي: ١٠٥-١٠٦.

(٤) ينظر: التصوف النفسي للنجار: ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) ينظر: منهاج العابدين للغزالي: ٧٤.

(٦) ينظر: تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار: (٢٦٣/١)، وما هو التصوف للنقشبندي: ٨٨.

رؤية أنه صدق في التوبة ثم من خاطر له في غير مرضاة الله- عزوجل-، وأما نهايتها فكلما غفل عن شهود ربه طرفة عين بدأ بالتوبة؛ لأنها أساس لكل مقام يرتقي إليه العبد حتى يموت، فكما أن من لا أرض له لا بناء له، فكذلك من لا توبة له فلا حال له ولا مقام[1]، ولذلك تقسم التوبة على ثلاثة أقسام[2]:

أولها: من الخطأ إلى الصواب كقوله تعالى **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾**[3].

وثانيها: من الصواب إلى الأصوب كما قال موسى (عليه السلام) **﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾**[4].

وثالثها: من الصواب ذاته إلى الحق كما قال رسول الله (ﷺ): **((ثم انه ليغان[5] على قلبي واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة))**[6].

فالتوبة متدرجة مع أحوال الناس، فالحد الأدنى الذي يطالب به الناس جميعا هو التوبة عن الذنوب الظاهرة، وتوبة المتيقظ لا من الأوزار، بل مما تشم منه رائحة الذنب حيث يتميز برهافة في الحس، وزيادة في التنبه، وتعظيم في تجسيم

---

(١) ينظر: سراج الطالبين للكديري: (١/٤٣).

(٢) ينظر: تاريخ التصوف الإسلامي د. قاسم غني/ ترجمة: صادق نشأت/ مراجعة: د. أحمد ناجي القيسي، ود. محمد مصطفى حلمي/ مكتبة النهضة/ مصر/ ص٣١٤-٣١٥.

(٣) سورة آل عمران: آية (١٣٥).

(٤) سورة الأعراف: آية (١٤٣).

(٥) يُغان: يعني انه يَتَغَشّى القلب ما يُلْبِسُه، فكل شيء يغشاه حتى يلبسه فقد غين عليه، يقال: غنيت السماء غينا، أي أطبقت السماء بالغيم. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)/ حيدر آباد- الهند/ سنة ١٩٦٤م /ج١/ ص١٣٦.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/٢٠٧٥ رقم ٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه.

الخطيئة، وتشديد في محاولة تنقية البدن، فيستديم الندم ويكثر الإستغفار، وتوبة السالك يتم فيها استحضار الله تعالى في كل خطرة من الخطرات، فلا حديث هنا عن الخطايا والذنوب، ولا عن الندم والإستغفار، واية ذلك عصيان النفس وإماتتها لإحياء القلوب كما قال عبد الله بن المبارك(رحمه الله تعالى):

رأيت الذنوب تميت القلوب ويتبعها الذلُّ ازمانَها

وترك الذنوب حياة القلوب فاختر لنفسك عصيانها[1]

وأما توبة العارف فهي من انقطاع الذكر أو حدوث غفلة فلا حديث بالكلية عن الذنب أو عصيان النفس، وفي هذا يقول ذو النون المصري(رحمه الله): (توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة[2])[3] فتائب يتوب من الذنوب والسيئات، وتائب يتوب من الزلل والغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات[4].

والتوبة نوعان، توبة الإنابة، وتوبة الإستجابة، فتوبة الإنابة هي أن يتوب العبد خجلا من كرم الله تعالى وخوفا من قدرته عليه، وأما توبة الإستجابة فهي أن يستحي من الله سبحانه لقربه منه، وهي لازمة لبواطن أهل القرب، فإذا تحقق العبد بها تاب في صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالى ويستغفر منه[5].

ويشترط في التوبة الندم على ما سلف من الذنوب، والإقلاع عنها في الحال، والعزم على أن لا يعود إليها أبداً، وإن كانت المعصية متعلقة بالعباد فعليه أن يبرأ

---

(١) حلية الأولياء للاصفهاني: (٢٧٩/٨).

(٢) الرسالة القشيرية: ٧٩-٨٠.

(٣) ينظر كتاب الأربعين للغزالي: ١٤٦، ونشأة التصوف الإسلامي لبسيوني: ١٢٠-١٢١.

(٤) اللمع للطوسي: ٤٤.

(٥) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ٢٨٣، وتذكرة الأولياء للعطار: (١٢٨/١).

من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها، ويشترط فيها أيضا ترك قرناء السوء وهجر الأصحاب الفسقة الذين يحببون للمرء المعصية وينفرونه من الطاعة، والإلتحاق بصحبة الصالحين الأخيار، ثم يبدأ بنفسه الذي كان يعصي الله تعالى لها، فلا ينيلها إلا ما لابد منه ويربيها على طاعة الله سبحانه[١].

ويعد الندم أساس التوبة وروحها، قال رسول الله (ﷺ): **((الندم توبة))**[٢]، فشرائط التوبة جميعها مودعة في الندم، إذ يحمل صاحبه على ترك اختيار الذنب، وتبقى ندامته في قلبه فتحمله على التضرع والإستغفار وتمنعه من ارتكاب المزيد من المعاصي، والدافع على الندم هو الخوف من العقوبة، وعلم العبد بأن النعمة لا تتحقق بالفعل السيء والمعصية والحياء من مشاهدة الله تعالى إياه فيندم حينئذ على بعده عن الباري سبحانه فيعمل على تكفير ذنبه بالتوبة إلى آخر عمره لتحقيق التوبة النصوح، فتظهر عليه علامات الحسرة وطول الفكر وانسكاب الدمع[٣]، يقول يحيى بن معاذ[٤] (رحمه الله تعالى) عن التوبة النصوح: (ان يكون لصاحبه عين

---

(١) ينظر: رياض الصالحين للنووي :١٠، ومدارج السالكين لإبن القيم: (١٨٢/١)، وتذكرة الأولياء للعطار: (٣٢/٢)، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ١٩٤، والبحر الزاخر باليوقيت والجواهر للحاجة نعيمة عبد الفتاح الصباغ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص٣١٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: (١٤٢٠/٢) كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، والبيهقي في سننه: (١٥٤/١٠) كتاب آداب القاضي، باب شهادة القاذف، والحاكم في المستدرك: (٢٧١/٤ رقم ٧٦١٢) كتاب التوبة والإنابة.

(٣) ينظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة: ١٩٧، وتاريخ التصوف لغني: ٣١١، والبحر الزاخر: لنعيمة الصباغ: ٣١١.

(٤) يحيى: هو أبو زكريا يحيى معاذ بن جعفر، كان أوحد وقته، له لسان في الرجاء خصوصا وكلام في المعرفة، أقام ببلخ ثم عاد إلى نيسابور وتوفي فيها سنة (٢٥٨هـ)(رحمه الله=

سفوح، وقلب عن المعاصي جموح، فإذا كان كذلك كانت أمارات التوبة عليه تلوح)[١].

وينبغي للتائب عند شروعه في التوبة أن يتفقد ما فرط منه في الماضي، فيرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه ويفتش عما مضى من عمره، فينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيها، والى المعاصي ما الذي اقترف منها، فأما الطاعات فيبحث عما عليه من صلاة فائتة أو واقعة بغير شرطها فيقضيها كلها، أو صوم فاته فيتعرف على عدده ويقضي ذلك جميعا، أو زكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين فيؤدي ما في ذمته إلى المستحقين، أو حج إذا استوفى شروطه فيخرج لأدائه، وأما المعاصي فيفتش عن سمعه وبصره ولسانه ويده وسائر جوارحه، ويتذكرها جميعا ويتوب عنها[٢]، اذ لكل عضو نوع من التوبة، فتوبة القلب هي عقد النية على ترك الحرام وتوبة العين هي غضها عن المحارم، وتوبة اليد كفها عن المناهي وتوبة القدم منعها عن السير إلى الملاهي وتوبة السمع صونه عن سماع الأباطيل، وتوبة البطن تناول الحلال[٣]، وبذلك تتحقق التوبة لصاحبها والتي يمكن له أن يعرفها من علاماتها من قلة الطعام والمنام والكلام، والإشتغال بالله في كل شئ والرجوع إليه في كل شئ، ويزيد البسطامي (رحمه الله تعالى) على ذلك فيقول: (علامة التائب

=تعالى) ينظر: حلية الأولياء للإصفهاني، (١٠/٥١-٧٠)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٤/٨٣-٩٠)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٨١).

(١) تهذيب خالصة الحقائق للفاريأبي: (١/٣٠٩).

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة: ١٩٧-١٩٨، والبحر الزاخر لنعيمة الصباغ: (١/٣١٧-٣١٨).

(٣) تذكرة الأولياء للعطار: (١/١٢٨).

خمس: إذا ذكر نفسه افتقر، وإذا ذكر ذنبه استغفر وإذا ذكر الدنيا اعتبر، وإذا ذكر الآخرة استبشر، وإذا ذكر المولى افتخر)[١].

وقد اختلف مشايخ الصوفية في ذكر الذنب بعد التوبة منه، فذهب التستري (رحمه الله تعالى) إلى أن التوبة تقتضي تذكر الذنب وقال عندما سئل عنها: أن لا تنسى ذنبك، فهو يرى أن الذنب الذي اقترفه المرء ينبغي ألا ينساه، بل يبقى خاطره مشغولا به دائما؛ حتى لا يكون معجبا بحسناته ولو كانت كثيرة، لأن التأسف من الأعمال السيئة مقدم على الأعمال الصالحة، أما الجنيد (رحمه الله تعالى) وجماعة من أهل التصوف فيرون أن التوبة تتحقق بتناسي كل ما كان التائب يتوق إليه ويتشوق لرؤيته، فهو يعرّف التوبة بقوله: أن تنسى ذنبك، إذ يرى أن تذكر الجفاء في المشاهدة[٢] يعد جفاءً، فتمضي مدة مع الجفاء، ومدة مع تذكر الجفاء، وذكر الجفاء حجاب عن الوفاء[٣]، وقد وفّق الإمام الغزالي(رحمه الله تعالى) بين هذين الرأيين توفيقا عظيما، فقد بين أن تصور الذنب وذكره والإحتراق ندما عليه هو كمال في حق العبد المبتدأ، معللا ذلك أن العبد إذا نسى ذنبه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق، أما الذين اسغرقتهم لوامع الغيب وأنوار المعرفة، وانكشفت لهم مبادئ الوصول فلا مجال عندهم لتذكر الذنوب إذ لم يعد هناك متسع للإلتفات إلى ما سبق من أحواله، وهو الكمال[٤].

(١) تهذيب خالصة الحقائق للفاريأبي: (١/٣١٥).

(٢) المشاهدة: هي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه له عما لا يليق بعظمته. السير والسلوك للخاني: ٤٥.

(٣) ينظر: اللمع للطوسي: ٤٣، والرسالة القشيرية :٧٩، وكشف المحجوب للهجويري: ٣٨١.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (٤/٤٢).

أما إذا حدث وهن في عزيمة التائب وعاد إلى المعصية، فصحة العزم على عدم الرجوع في الأيام السابقة لها حكم التوبة وثوابها، وليس معنى عودته إلى ارتكاب الذنب أن باب التوبة قد أغلق عليه، بل يجب أن يتوب عن معصيته وإن تكررت عودته إليها، حيث روي عن أحد المشايخ (رحمهم الله تعالى) أنه قال: إني تبت سبعين مرة وعدت إلى المعصية، ثم استقمت في المرة الحادية والسبعين(١)، كما روي عن أحد المريدين أنه تاب ثم وقعت له فترة، فكان يفكر وقتا لو عاد إلى توبته كيف حكمه، فهتف به هاتف يا فلان أطعتنا فشكرناك، ثم تركتنا فامهلناك، وان عدت الينا قبلناك، فعاد الفتى إلى توبته(٢).

ولهذا يقسم صاحب المختصر الناس في التوبة إلى أربع طبقات(٣):

الطبقة الاولى: تائب يستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعودة إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك عنها البشر في العادات، فهذه هي الإستقامة في التوبة، وصاحبها هو السابق بالخيرات، وتسمى هذه التوبة النصوح، وتسمى هذه النفس المطمئنة، وهؤلاء يختلفون، منهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها، ومنهم من تنازعه نفسه وهو ملىء بمجاهدتها.

الطبقة الثانية: تائب قد سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وكبائر الفواحش ألا أنه لا ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد لكنه يبتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزم على الإقدام عليها، وكلما أتى شيئا منها، لام نفسه

(١) كشف المحجوب للهجويري: ٣٧٨ .

(٢) الرسالة القشيرية: ٧٨.

(٣) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ١٩٩-٢٠٠.

وندم وعزم على الإحتراز من أسبابها، فهي النفس اللوامة، وهذه رتبة عالية أيضا وأن كانت نازلة عن الطبقة الاولى.

الطبقة الثالثة: أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها لعجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وترك جملة من الذنوب مع القدرة عليها والشهوة لها وإنما قهرته شهوة واحدة أو شهوتان، وهو يود لو قدره الله على قمعها وكفاه شرها، فإذا انتهت ندم لكنه يعد نفسه بالتوبة عن ذلك الذنب، فهذه النفس تسمى المسؤولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾**(١) فأمر هذا من حيث مواظبته على الطاعة وكراهته لما يتعاطاه مرجو؛ لقوله تعالى: **﴿عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾**(٢)، وعاقبته مخطرة من حيث تأخيره وتسويفه فربما يختطف قبل التوبة.

الطبقة الرابعة: أن يتوب ويجري مدة على الإستقامة ثم يعود إلى الذنوب منهمكاً من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله، فهذا من المصرين، وهذه النفس هي الأمارة بالسوء، ويُخاف على هذا سوء الخاتمة، فإن مات على التوحيد فإنه يرجى له الخلاص من النار ولو بعد حين.

---

(١) سورة التوبة: آية (١٠٢) .

(٢) سورة التوبة: آية (١٠٢) .

وقد يطول وقت قبول التوبة النصوح كما وقع للأسـفراييني[١] (رحمـه الله تعالى) حيث قال: دعوت الله سبحانه ثلاثين سنة أن يرزقني توبـة نـصوحا، ثـم تعجبت في نفسي وقلت: سبحان الله حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة فما قـضيت إلى الآن، فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لي: أتتعجب من ذلك؟ أتدري ماذا تسأل الله سبحانه وتعالى؟ إنما تسأل الله عزوجل أن يحبـك، أمـا سـمعت قولـه تعالى[٢]: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣] لذى فليس للمرء أن ييـئس من التوبة وإن طال وقتها، اذ هي شرط لدخول الجنة، فكما أن الصلاة لاتصح مع النجاسة، كذلك لا يصح دخول الجنة مع المعاصي والسيئات، فالتوبة أمرها عظـيم وأجرها عند الله كبير ولهذا فاننا نجد أن جميع الانبياء قد تابوا إلى الله عز وجـل مع عصمتهم عن الخطأ، وفي ذلك يقول ابن تيميه (رحمه الله تعـالى): (الانبيـاء (صلوات الله وسلامه عليهم) معصومون مـن الإقـرار علـى الـذنوب كبارهـا وصغارها، وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حـسناتهم، فإن الله يحب التوأبيين ويحب المتطهرين، وليست التوبة نقصا، بل هي من أفـضل الكمالات، وهي واجبة على جميع الخلق... فغاية كل مؤمن هي التوبة، ثم التوبـة تتنوع، كما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين)[٤].

---

(١) الأسفراييني: هو الإمام العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأسفراييني الفقيـه العارف المتكلم الأصولي الشافعي، صاحب التصانيف الجليلة، وأحد المجتهدين في عـصره، ارتحل في طلب الحديث، وحدّث عنه البيهقي والقشيري والطبري، وبنيت له فـي نيـسابور مدرسة شهيرة، توفي(رحمه الله تعالى) بنيسابور سنة (٤١٨هـ). ينظر: سير أعلام النـبلاء للذهبي: (٣٥٣/١٧)، وطبقات الشافعية للسبكي: (٢٥٦/٤-٢٦٢).

(٢) منهاج العابدين للغزالي: ٧٨.

(٣) سورة البقرة: آية (٢٢٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيميه: (٥١/١٥).

وللتوبة فرحة عظيمة الوقع عجيبة الشان، ولذة تزيد علـــى لـــذة المعـــصية، وفرحتها أضعافا مضاعفة، بحيث لو علمها العاصي لبادر إليها أعظم من مبادرتـــه إلى لذة المعصية، وسرها يكمن في سر فرح الله عزوجل بتوبة عبده[1] والتي مثلها رسول الله (ﷺ) بقوله: (لله أشد فرحة بتوبة عبده حين يتوب عبده إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فـــأيس منهـــا، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بهـــا قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)[2]، وقال ابن القيم (رحمه الله تعالى) معلقا على هذا الحديث: (هـــذه فرحة إحسان وبر ولطف، لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفع بها)[3].

وإذا علم الكلام عن التوبة في علم التصوف فان لهذا المبحث الأثر فـــي بعض الفروع الفقهية، أذكر منها ما عثـــرت عليـــه بحـــسب القـــدرة البـــشرية المحدودة:

١- حكم توبة المريض:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن تذكير العائد للمريض الذي خيف موتـــه التوبـــة فرض كفاية؛ لأنها واجبة عليه على كل حال وهو أحوج إليها من غيره، ومنهم من

---

(١) ينظر: الروح لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قـــيم الجوزيـــة (ت٧٥١هـــ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م/ ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢١٠٤/٤ رقم ٢٧٤٧) كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم: (١٩٥/١).

قال أنه يستحب تذكيره الوفاء بما عاهد الله تعالى عليه من التوبة، وينبغي له المحافظة على ذلك[1].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب:

فقد جاء في المبدع: (وتذكير التوبة والوصية فرض كفاية)[2].

وجاء في كشاف القناع: (ويذكره العائد التوبة؛ لانها واجبة على كل حال والمريض أحوج إليها من غيره، قال رسول الله (ﷺ) ((**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)) أي تبلغ روحه إلى حلقه)[3].

وجاء في المغني: (ويستحب أن يلي المريض أرفق أهله به وأعلمهم بسياسته وأتقاهم لربه تعالى؛ ليذكره الله تعالى والتوبة من المعاصي والخروج من المظالم)[4].

وجاء في مغني المحتاج: (ويسن طلب الدعاء منه ووعظه بعد عافيته وتذكيره الوفاء بما عاهد الله عليه من التوبة وغيرها من الخير، وينبغي له المحافظة على ذلك، قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾[5])[6].

---

(١) المجموع لمحي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)/ تحقيق: محمود مطرحي/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م/ ج٥/ ص١٠٦.

(٢) المبدع لابن مفلح: (٢/٢١٥).

(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت١٠٥١هـ)/ تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال/ دار الفكر/ بيروت-١٤٠٢هـ/ ج٢/ ص٨١.

(٤) المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- ١٤٠٥هـ/ ج٢/ ص١٦٠.

(٥) سورة الاسراء: آية (٣٤).

(٦) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الخطيب الشربيني (ت٩٩٧هـ)/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص٣٣٠ .

٢- حكم وطء الزوج زوجته وهي حائض:

اختلف الفقهاء في الذي يأتي امرأته وهي حائض، فقال الجمهور لا يلزمه إلا التوبة والإستغفار ولا كفارة عليه وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي في الصحيح من قوله وأحمد في إحدى روايته وابن حزم[١] وأكثر أهل العلم[٢]، وقال بعضهم تلزمه الكفارة، وهو قول أحمد في إحدى رواياته والشافعي في القديم[٣].

---

(١) ابن حزم: هو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي الظاهري الفقيه الأصولي الحافظ المتكلم، ولد في قرطبة سنة (٣٨٤هـ)، ودرس على يد يحيى بن مسعود، وأحمد بن محمد بن الجسور، ويونس القاضي وغيرهم، له مؤلفات عدة منها: (المحلى)، و(الفصل في الملل والأهواء والنحل)، و(الناسخ والمنسوخ) وغيرها، توفي (رحمه الله تعالى) في قرية أونيه غرب الأندلس سنة (٤٥٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (١١/١٨٨-١٩٥)، ووفيات الأعيان لإبن خلكان: (١/٤٣١).

(٢) المحلى لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)/ تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي/ دار الأفاق الجديدة/ بيروت- لبنان/ ج٢/ ص١٩٠، ومراتب الاجماع لابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص١٣١، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت٥٩٥هـ)/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص٤٣، والمجموع للنووي: (٢/٣٦٢)، والمبدع لابن مفلح: ٣٦٦، وحاشية ابن عابدين: (٣/٤٧٢).

(٣) ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: (١/٤٣)، والمغني لإبن قدامة: (١/٢٠٣).

ويلخص ابن رشد[1] الخلاف في هذه المسألة في كتابه بداية المجتهد فيقــول: (اختلف الفقهاء في الذي يأتي امرأته وهي حائض، فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة يستغفر الله ولا شئ عليه، وقال أحمد بن حنبل يتصدق بدينار أو بنــصف دينـــار، وقالت فرقة من أهل الحديث إن وطء في الدم فعليه دينار وان وطء في انقطاع الدم فنصف دينار وسبب اختلافهم في ذلك اختلافهم في صحة الأحاديث الواردة في ذلك أو وهيها، وذلك أنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) في الذي يأتي امرأته وهي حائض أن يتصدق بدينار وروي عنه بنصف دينـــار[2]، وكـــذلك روي أيضا في حديث ابن عباس هذا أنه إن وطء في الدم فعليه دينار وإن وطء في انقطاع الدم فنصف دينار[3]، وروي في هذا الحديث يتصدق بخمسين دينار[4]، فمن

---

(١) ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المـــالكي، كـــان عالمـــا، حافظا للفقه، عارفا بالفتوى، بصيرا بأقوال أئمة المالكية، نافذا في علم الفرائض والأصــول، ومن أهل الرياسة، من تصانيفه: (كتاب المقدمات)، و (كتاب البيان والتحــصيل) وغيرهـــا، عاش سبعين سنة، توفي (رحمه الله) في ذي القعدة سنة (٥٩٥هـــ) وقيل (٥٢٠هـــ). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٩/٥٠١-٥٠٢).

(٢) روى البيهقي في سننه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي (ﷺ) (ثم الـــذي يـــأتي امرأته وهي حائض قال: يتصدق بدينار أو بنصف دينار). السنن الكبـــرى: (١/٣١٤ رقـــم ١٤٠٥) باب ما روي في كفارة من أتى امرأته حائضا، وفي رواية أخرى: عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما ان رسول الله (ﷺ) قال: (ثم إذا أتى أحدكم امرأته في الدم فليتصدق بنصف دينار) السنن الكبرى: (١/٣١٦ رقم ١٤١٤).

(٣) روى البيهقي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: (ثم إذا أصابها في الدم فـــدينار، وإذا أصابها في انقطاع الدم فنصف دينار). السنن الكبرى: (١/٣١٨ رقم ١٤١٨) .

(٤) روي البيهقي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) أنه كانت له امرأة تكره الرجال، فكان كلما أرادها اعتلت له بالحيضة، فظن أنها كاذبة فأتاها فوجدها صادقة، فأتى النبي (ﷺ) فأمره أن يتصدق بخمسين دينار. السنن الكبرى: (١/٣١٦ رقم ١٤١١).

صح عنده شئ من هذه الأحاديث صار إلى العمل بها، ومن لم يصح عنده شئ منها وهم الجمهور عمل على الاصل الذي هو سقوط الحكم حتى يثبت بدليل)[1].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب الفقيه:

جاء في البحر الرائق: (ووطؤها في الفرج عالماً بالحرمة عامدا مختاراً كبيرة لا جاهلا ولا ناسيا ولا مكرها فليس عليه الا التوبة والاستغفار)[2].

وجاء في المجموع: (وإما إذا وطئها عالما بالحيض وتحريمه مختارا ففيه قولان، الصحيح الجديد لا يلزمه كفارة بل يعزر ويستغفر الله تعالى ويتوب، ويستحب أن يكفر الكفارة التي يوجبها القديم، والثاني وهو القديم يلزمه الكفارة)[3].

وجاء في المغني: (فإن وطء الحائض في الفرج أثم ويستغفر الله تعالى وفي الكفارة روايتان إحداهما يجب عليه كفارة لما روي عن ابن عباس أن النبي (ﷺ) قال في الذي يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو بنصف دينار، والثانية لا كفارة عليه وبه قال مالك وأبو حنيفة وأكثر أهل العلم؛ لقول النبي (ﷺ) من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ومن أتى امرأته في دبرها ومن أتى امرأة حائضاً فقد برئ مما أنزل على محمد[4] (ﷺ)، ولم يذكر كفارة؛ ولأنه وطء نهي عنه لأجل الأذى فأشبه الوطء في الدبر، وللشافعية قولان كالروايتين)[5].

---

(١) بداية المجتهد لابن رشد: (٤٣/١).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم بن نجيم (ت٩٧٠هـ)/ دار المعرفة/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص٢٠٧.

(٣) المجموع للنووي: (٣٦٢/٢).

(٤) أخرجه البيهقي في سننه: (١٩٨/٧ رقم ١٣٩٠٢) باب اتيان النساء في أدبارهن.

(٥) المغني لإبن قدامة: (٢٠٣/١).

وجاء في المحلى: (واما نحن[1] فإن صح شئ من هذه الآثار لأخذنا به، فإذا لم يصح في إيجاب شئ على وطء الحائض، فلا يجوز أن يلزم حكما أكثر مما ألزمه الله تعالى من التوبة من المعصية التي عمل والإستغفار والتعزير)[2].

٣- حكم صلاة التوبة:

تسن صلا ة التوبة، كما نص على ذلك الفقهاء[3]، فإذا أذنب العبد ذنبا فإنه يتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله تعالى؛ لأن التوبة واجبة عليه وفائدتها أنها حيث صحت كفرت ذنبه، فهي من أفضل الطاعات[4] يدل على ذلك ما روي عن أبي بكر (ﷺ) أنه قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: (**(ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الاية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[5]**))[6].

---

(١) أي علماء الظاهرية.

(٢) المحلى لابن حزم: (٢/١٩٠).

(٣) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه في الفقه لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميه الحراني (ت٧٢٨هـ)/ تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي/ مكتبة ابن تيمية/ ج٢٣/ ص٢١٥، وكشاف القناع للبهوتي: (١/٤٤٣)

(٤) ينظر: نهاية الزين لأبي عبد المعطي محمد بن عمر بن علي بن نووي الجاوي/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- لبنان/ص١٠٦.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: (٢/٢٥٧ رقم ٤٠٦) باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، ورواه أبو داود بلفظ آخر: (٢/٨٦ رقم ١٥٢١) باب في الإستغفار.

(٦) سورة آل عمران: اية (١٣٥).

واقوالهم في هذه المسألة:

ما جاء في حاشية ابن عابدين: (ومن المندوبات صلاة التوبة)[1].

وجاء في كشاف القناع: (وتسن صلاة التوبة إذا أذنب ذنبا يتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله تعالى)[2].

وفي الفروع: (ويستحب صلاة الحاجة وصلاة التوبة)[3].

٤- حكم استباحة الرخص للعاصي في سفره:

اختلف الفقهاء في إباحة الرخص للمسافر سفر معصية، فقال الجمهور لا يستبيح مَنْ سفرُهُ معصية شيئاً من رخص السفر، من القصر والفطر والمسح ثلاثاً والجمع والتنفل على الراحلة وترك الجمعة وأكل الميتة والتيمم إلاَّ بالتوبة؛ لأنه مقصّر وقادر على استباحتها كلها في الحال بالتوبة، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وابن حزم الظاهري[4]، أما الأحناف فقالوا بأن الرخصة تثبت بمطلق السفر

---

(١) حاشية ابن عابدين: (٨٢/٢).

(٢) كشف القناع للبهوتي: (٤٤٣/١).

(٣) الفروع لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (ت٧٦٢هـ)/ تحقيق: أبو زهراء حازم القاضي/ دار الكتب العلمية/ ط١ /بيروت -١٤١٨هـ/ ج١/ص٥٠٦.

(٤) ينظر: المحلى لابن حزم: (٢٦٨/٤)، والأصول والضوابط لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦هـ)/ تحقيق: محمد حسن هيتو/ دار البشائر الاسلامية/ ط١/ بيروت- ١٤٠٦هـ/ ج١/ ص٤٣-٤٤؛ والمجموع للنووي: (٢٨٧/٤)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ)/ تحقيق: محمد حامد الفقي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان/ ج٢/ ص٣١٥، ومواهب الجليل للشنقيطي: (٣٢٦/١).

سواء كان سفر طاعة أو سفراً مباحاً أو سفر معصية؛ لأن النصوص التي وردت في قصر الصلاة وإباحة الفطر في حق المسافر لا تفصل بين سفر وسفر[1].

ونرى السيوطي قد ذكر هذه المسألة والخلاف فيها في كتابه الأشباه والنظائر فقال: (الرخص لا تناط بالمعاصي ومن ثم لا يستبيح العاصي بسفره شيئاً من رخص السفر من القصر والجمع والفطر والمسح ثلاثاً والتنفل على الراحلة وترك الجمعة وأكل الميتة وكذا التيمم، ويأثم بترك الصلاة إثم تارك لها مع إمكان الطهارة؛ لانه قادر على استباحة التيمم بالتوبة، والصحيح أنه يلزمه التيمم لحرمة الوقت، ويلزمه الإعادة لتقصيره ترك التوبة، ولو وجد العاصي بسفره ماءً واحتاج اليه للعطش لم يجز له التيمم بلا خلاف، وكذا من به مرض وهو عاصٍ بسفره؛ لأنه قادر على التوبة، فإن قيل كيف حرمتم أكل الميتة على العاصي بسفره مع أنه مباحٍ للحاضر في حال الضرورة وكذا من به مرض يجوز له التيمم في الحضر، فالجواب ان ذلك وإن كان مباحاً في الحضر عند الضرورة لكن سفره سبب لهذه الضرورة وهو معصية فحرمت عليه الميتة في الضرورة كما لو سافر لقطع الطريق فجرح لا يجوز له التيمم لذلك الجرح مع أن الحاضر الجريح يجوز له، فإن قيل تحريم الميتة يؤدي الى الهلاك، فالجواب أنه قادر على استباحته بالتوبة)[2].

---

(١) ينظر: تحفة الفقهاء لمحمد بن أحمد بن أبي احمد السمرقندي (ت ٥٣٩هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٤٠٥هـ)/ ج١/ ص١٤٩.

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي: (١/١٣٨-١٣٩).

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب:

جاء في المجموع: (وسائر أصحابنا[١] لا يستبيح من سفره معصية شيئاً من رخص السفر، من القصر والفطر والمسح ثلاثاً والجمع والتنفل على الراحلة وترك الجمعة وأكل الميتة إلاَّ التيمم إذا عدم الماء ففيه ثلاثة أوجه، الصحيح أنه يلزمه التيمم وتجب اعادة الصلاة فوجوب التيمم لحرمة الوقت، والإعادة لتقصيره بترك التوبة، والثاني: يجوز التيمم ولا تجب الإعادة، والثالث: يحرم التيمم ويأثم بترك الصلاة إثم تارك لها مع إمكان الطهارة؛ لأنه قادر على استباحة التيمم بالتوبة من معصيته، ولو وجد العاصي بسفره ماء فاحتاج إليه للعطش لم يجز له التيمم بلا خلاف، قالوا[٢] كذا من به قروح يخاف من استعمال الماء الهلاك وهو عاص بسفره لا يجوز له التيمم؛ لأنه قادر على التوبة)[٣].

وجاء فيه أيضاً: (ليس للعاصي بسفره أكل الميتة عند الضرورة، هذا هو المذهب[٤]، وبه قطع جماهير الأصحاب[٥]؛ لأنه تخفيف فلا يستبيحه العاصي بسفره، وهو قادر على استباحته بالتوبة)[٦].

وجاء في مغني المحتاج: (وثالث الشروط: أن يكون السفر جائزاً فلا قصر وغيره ولا يترخص العاصي بسفر كآبق[٧] من سيده، وناشزة من

---

(١) أي علماء الشافعية.

(٢) أي علماء الشافعية.

(٣) المجموع للنووي: (١/٥٥١-٥٥٢).

(٤) أي الشافعي.

(٥) أي علماء الشافعية.

(٦) المجموع للنووي: (٤/٢٨٧).

(٧) الآبق: هو المملوك الذي يفر من مالكه قصداً. التعريفات للجرجاني: ٢٠.

زوجـها، وقاطـع الطريق؛ لأن مـشروعية التـرخيص للإعانـة والعاصـي لا يعان)[1].

وجاء في كشاف القناع: (والرخص لا تناط بالمعاصي، فإن خاف المـسافر سفر معصية على نفسه إن لم يأكل الميتة، قيل له تب وكل؛ لتمكنه من التوبة كـل وقت)[2].

وجاء في مواهب الجليل: (ولا يترخص برخصة حتى يتوب)[3].

وجاء فيه ايضاً: (العاصي بسفره كالآبق وقاطع الطريـق والعـاق لوالديـه والمخالف لشيخه الذي فوض إليه أموره لا يجوز لأحد منهم التيمم علـى الأصـح ويجب عليه الرجوع لما يجب عليه، فإذا عزم على التوبـة جـاء لـه ذلـك والله أعلم)[4].

وجاء في الإنصاف: (لو نقل سفره المحرم الى مباح كما لو تاب وقد قـصر فله القصر على الصحيح من المذهب وعليه الأكثر)[5].

وجاء في المحلى: (واحتج بعضهم[6] في هذا بأن قالوا: حرام عليه قتل نفسه، فقلنا[7] لهم ولم يقتل نفسه، بل يتوب الآن من نيته الفاسدة ويحل له أكل الميتة مـن حينه والتوبة فرض عليه)[8].

---

(١) مغني المحتاج للشربيني: (٢٦٨/١).

(٢) كشاف القناع للبهوتي: (٥٠٥/١).

(٣) مواهب الجليل للشنقيطي: (٣٢٦/١).

(٤) المصدر نفسه: (٣٢٧/١).

(٥) الإنصاف للمرداوي: (٣١٥/٢).

(٦) ومنهم الحنفية.

(٧) أي علماء الظاهرية.

(٨) المحلى لإبن حزم: (٢٦٨/٤).

٥- حكم التوبة في صلاة الإستسقاء:

ويستحب أن يأمر الإمام الناس قبل الاستسقاء بالتوبة، كما نص على ذلك الفقهاء، وذلك بالإقلاع عن جميع المعاصي الفعلية والقولية والندم عليها والعزم على عدم العود إليها والتقرب الى الله تعالى؛ لأن ذلك أرجى للإجابة[١]؛ لقوله تعالى: ﴿**وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾[٢].

ومن أقوال الفقهاء في هذه المسألة:

ما جاء في المغني: (ويستحب أن يستفتح الخطبة بالتكبير كخطبة العيد ويكثر من الإستغفار والصلاة على النبي (ﷺ) ويقرأ كثيراً ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾،[٣] وسائر الآيات التي فيها الأمر به فإن الله تعالى وعدهم بإرسال الغيث إذا استغفروه، وروي عن عمر (رضي الله عنه):

(١) ينظر: الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)/ دار المعرفة/ ط٢/ بيروت- ١٣٩٣هـ/ ج١/ ص٢٥١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن ابي القاسم العبدري المواق (ت ٨٩٧هـ)/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- ١٣٩٨هـ/ ج٢/ ص٢٠٧، والروض المربع لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت ١٠٥١هـ)/ مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض- ١٣٩٠هـ)/ ج١/ ص٣١٦، والفواكه الدواني لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي (ت ١١٢٥هـ)/ دار الفكر/ بيروت- ١٤١٥هـ/ ج١/ ص٢٨٠.

(٢) سورة هود: آية (٥٢).

(٣) سورة نوح: آية (١٠).

أنه خرج يستسقي فلم يزد على الإستغفار وقال: لقد استسقيت بمجاديح[1] السماء)[2].

وجاء فيه أيضاً: (ولأن المعاصي سبب انقطاع الغيث، والإستغفار والتوبة تمحوا المعاصي المانعة من الغيث)[3].

وجاء في الإقناع: (وإذا أرادوا الخروج للصلاة فيأمرهم الإمام الأعظم أو نائبه قبل الخروج إليها بالتوبة من جميع المعاصي الفعلية والقولية المتعلقة بحقوق الله تعالى بشروطها الثلاثة وهي: الندم والإقلاع والعزم على أن لا يعود وبالإكثار من الصدقة على المحاويج وبالتوبة من حقوق الآدميين وهي المبادرة الى الخروج من المظالم المتعلقة بهم من دم أو عرض أو مال مضافاً ذلك الى الشروط الثلاثة المذكورة)[4].

وجاء في كفاية الطالب: (ويستحب ان يأمر الإمام الناس قبل خروجهم الى المصلى بالتوبة)[5].

---

(١) مجاديح: واحدها مِجْدَح، والمجدح نجم من النجوم، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الإستغفار مشبهاً بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفونه. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١/٢٤٣).

(٢) رواه البيهقي في سننه: (٣/٣٥١ رقم ٦٢١٦) باب ما يستحب من كثرة الإستغفار في خطبة الإستسقاء.

(٣) المغني لإبن قدامة: (٢/١٥٢).

(٤) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع لمحمد الشربيني الخطيب (ت ٩٩٧هـ)/ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات/ دار الفكر/ بيروت- ١٤١٥هـ/ ج١/ ص١٩١.

(٥) كفاية الطالب لأبي الحسن المالكي/ تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي/ دار الفكر/ بيروت- ١٤١٢هـ/ ج١/ ص٥٠٧.

وجاء في حاشية ابن عابدين: (ويجددون التوبة ومن شروطها رد المظالم الى أهلها)[١].

وجاء في المحلى: (فيبدأ (أي الإمام) فيخطب بهم خطبة يكثر فيها من الإستغفار)[٢].

٦- حكم ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة:

يسن الإكثار من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة، وهي ترك الذنب والندم عليه وتصميمه على ان لا يعود اليه والخروج عن المظالم كتحلله ممن اغتابه أو سبه أو نحو ذلك، وهي محل ندب إذا لم يعلم أن ما عليه مقتضي للتوبة، أما إذا علم أن ما عليه ذلك فهي واجبة فوراً بالإجماع[٣]؛ لقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا** ﴾[٤] ولقوله (ﷺ) ((**أكثروا من ذكر هادم اللذات**))[٥] أي الموت.

ومن أقوال الفقهاء في هذه المسألة:

وما جاء في الإقناع: (ويجب أن يستعد للموت كل مكلف بتوبة، بأن يبادر بها لئلا يفجأه الموت المفوت لها ويسن أن يكثر من ذكر الموت)[٦].

كما جاء في كشاف القناع: (ويسن الإكثار من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة من المعاصي والخروج من المظالم)[٧].

---

(١) حاشية ابن عابدين: (١٨٥/٢).

(٢) المحلى لإبن حزم: (٩٤/٥).

(٣) ينظر: مراتب الإجماع لإبن حزم: (١٧٦/١)، وإعانة الطالبين للدمياطي: (١٠٧/٢).

(٤) سورة الكهف: آية (١١٠).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: (٦٣٩/٤ رقم ٢٤٦٠)، والحاكم في المستدرك: (٣٥٧/٤ رقم ٧٩٠٩) كتاب الرقاق.

(٦) الإقناع للشربيني: (٢٠٩/١).

(٧) كشاف القناع للبهوتي: (٧٧/٢).

وفيه أيضاً: (والتوبة من المعاصي والخروج من المظالم واجب فوراً)[١].

وذكر الطحطاوي[٢] في حاشيته: (وينبغي لكل مكلف الإكثار من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة ورد المظالم)[٣].

وقال الزرقاني[٤] في شرحه: (ولا ينبغي للمؤمن أن يغفل عن ذكر الموت والإستعداد له)[٥].

٧- حكم تارك الصلاة:

اختلف الفقهاء في حكم تارك الصلاة، فذهب الجمهور الى أنه يستتاب، فإن تاب تُرك وإلاَّ قُتل، وبه قال الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك، مستدلين بقوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا**

(١) كشاف القناع للبهوتي: (٢/٧٧).

(٢) الطحطاوي: هو أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الفقيه الحنفي، ولد بطهطا (بالقرب من أسيوط- مصر) وتعلم بالأزهر، ثم تقلد مشيخة الحنفية، من كتبه: (حاشية على شرح مراقي الفلاح)، و (كشف الرين عن بيان المسح على الجوربين) وغيرها، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (١٢٣١هـ). ينظر: الأعلام: (١/٢٤٥).

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي (ت ١٢٣١هـ)/ مكتبة البابي الحلبي/ ط٣/ مصر- ١٣١٨هـ.

(٤) الزرقاني: هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، خاتمة المحدثين بالديار المصرية، ولد سنة (١٠٥٥هـ)، في زرقان (من قرى منوف مصر، واليها نسبته، من مؤلفاته: (تلخيص المقاصد الحسنة) و (شرح المواهب اللدنية)، و (شرح موطأ الإمام مالك) وغيرها، توفي(رحمه الله تعالى) سنة (١١٢٢هـ). ينظر: الأعلام للزركلي: (٦/١٨٤).

(٥) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٤١هـ/ ج٤/ ص٧٤.

الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[1] فقد أمر سبحانه بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة[2]، وذهب أبو حنيفة الى أن تارك الصلاة يعزر ولا يقتل، وهو قول عمر بن عبد العزيز[3]، وسعيد بن المسيب وداود بن علي[4][5]، واحتجوا بما رواه أبو هريرة عن النبي (ﷺ) قال: ((**أمرت أن أقاتل**

---

(١) سورة التوبة: آية (٥).

(٢) ينظر: المحلى لإبن حزم: (١١/٣٧٦-٣٧٧)، والمجموع للنووي: (٣/١٤)، والصلاة وحكم تاركها لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي/ دار الجفان والجابي- دار ابن حزم/ ط١/ قبرص- بيروت/ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م/ ص٣٤-٣٦، وكشاف القناع للبهوتي: (١/٢٢٨)، والشرح الكبيرعلى مختصر خليل لأبي البركات سيدي أحمد الدردير (ت ١٢٠١هـ)/ تحقيق: محمد عليش/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص١٩١.

(٣) عمر: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الأموي، الملقب بخامس الخلفاء الراشدين؛ لعدله وزهده، استمرت مدة خلافته سنتين وخمسة اشهر وأيام، توفي (ﷺ) سنة (١٠١هـ)، وله من العمر أربعون سنة، وقيل تسع وثلاثون، ودفن بدير سمعان من أرض حمص. ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: (١/٣٣)، وجامع كرامات الأولياء للنباهي: (٢/٤١٠)، والأعلام للزركلي: (٥/٥٠).

(٤) داود: هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري، ولد سنة (٢٠٠هـ)، وقيل (٢٠٢هـ) بالكوفة ونشأ ببغداد، وإنما قيل له الأصبهاني؛ لأن أمه أصبهانية وكان عراقياً، كان إماماً ورعاً زاهداً ناسكاً، متعصباً للشافعي، وأخذ العلم عن اسحق بن راهوية وأبي ثور، وأنتهت اليه رياسة العلم، توفي(رحمه الله) سنة (٢٧٠هـ) ببغداد وقبره في الشونيزية. ينظر: طبقات الفقهاء لأبي اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)/ تحقيق: خليل الميس/ دار القلم/ بيروت- لبنان/ ج١/ ص١٠٢، والجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن ابي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (ت ٧٧٥هـ)/ دار مير محمد كتب خانة للنشر/ كراتشي/ ج١/ ص٤١٩-٤٢٠.

(٥) ينظر: حاشية السغدي المسماة (النتف في الفتاوى) لأبي الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدي (ت ٤٦١هـ)/ تحقيق: د. صلاح الدين الناهي/ مؤسسة الرسالة- دار الفرقان/=

الناس حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله، فإذا قالوا لا اله إلاَّ الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[1]))[2].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من الكتب الفقهية:

جاء في الأم: (يستتاب تارك الصلاة ثلاثاً وذلك إن شاء الله تعالى حسن فإن صلى في الثلاث وإلاَّ قتل)[3].

وجاء في الفواكه الدواني: (ووجوب الصلاة معلوم من الدين بالضرورة فالإستدلال على وجوبها من باب تحصيل الحاصل فجاحد وجوبها أو ركوعها أو سجودها كافر يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلاَّ قتل)[4].

وجاء في المبدع: (ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثاً، فإن تاب قبل منه وإلاَّ قتل بالسيف)[5].

وجاء في الروض المربع: (ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثاً فيهما أي فيما جحد وجوبها وفيما إذا تركها تهاوناً، فإن تابا وإلاَّ ضربت عنقهما)[6].

=بيروت- عمّان/ ط٢/ سنة ١٤٠٤هـ/ ج٢/ ص٦٩٤، ونور الإيضاح ونجاة الأرواح لأبي الإخلاص حسن الوفائي الشرنبلالي/ دار الحكمة/ دمشق- ١٩٨٥م/ ج١/ ص٥٩.

(١) سورة الغاشية: الآيتان (٢١-٢٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: (٥٢/١ رقم ٢١) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله إلاَّ الله محمد رسول الله.

(٣) الأم للشافعي: (٢٥٥/١).

(٤) الفواكه الدواني للنفراوي: (١٦٤/١).

(٥) المبدع لإن مفلح: ٣٠٦.

(٦) الروض المربع للبهوتي: (١٢٢/١).

وجاء في الكافي: (ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثة أيام ويضيق عليه ويدعى الى فعل كل صلاة في وقتها، ويقال له إن صليت وإلاّ قتلناك؛ لأنه قتال لترك واجب فيتقدمه الاستتابة كقتل المرتد، فإن تاب وإلاّ قتل بالسيف)[1].

المبحث الثالث

التقوى

من أهم مهام الإسلام وأشد ضروريات الدين وأبرز شروط الإنضمام الى لواء الصالحين من الصوفية العابدين والمشايخ الزاهدين الورعين، تقوى الله بنية خالصة وقلب سليم في السر والعلانية امتثالاً لامره تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾**[3] فالتقوى هي مقياس إيمان المسلم، ومكانته عند ربه على قدرها كما يقول (جل شأنه) **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[4] وقد روي عن أمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه) قوله: (سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الاتقياء)[5].

فالتقوى مقام عظيم وأصل مهم من أصول علم التصوف، فهو لا يقلُّ أهمية عن سابقيه من الأسس؛ لما له من أثر كبير في تقويم شخصية المسلم وارتقاء

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)/ تحقيق: زهير الشاويش/ المكتب الاسلامي/ ط٥/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م/ ج١/ ص٩٥.

(٢) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

(٣) سورة النساء: آية (١).

(٤) سورة الحجرات: آية (١٣).

(٥) الرسالة القشيرية: ٨٩.

أخلاقه نحو أعلى درجات الكمال الممكنة، فهي تجعل صاحبها كثير الخوف من الذنوب السابقة، كثير الخوف والحذر لما يقع فيه من الذنوب، شديد الفزع من سوء الخاتمة، عظيم المحاسبة لنفسه فلا يغفل عن تأنيبها ومعاتبتها[١]، لأنه يعلم أن دلالة التقوى هي الورع عن محارم الله تعالى، والقيام بحدوده، وتصفية القلوب عن مكارهه[٢]، وهذا بدوره يدفعه ليكون حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما قد فات[٣].

والتقوى هي مجانبة كل ما يبعد عن الله تعالى، ورأسها (كما يقول الغزالي رحمه الله) قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة الى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ولا يتم ذلك إلاّ بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشواغل والعلائق[٤].

أما التقي فهو كما يقول ذو النون المصري (رحمه الله تعالى) من لا يدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلامات، ويكون واقفاً مع الله موقف الاتفاق[٥].

ويمكن تحقيق التقوى بالوقوف عند حدود الله- عز وجل- وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتوجه إليه وحده في العبادة، واجتناب كل ما يأباه من الشرك والخروج عن شرائعه وأحكامه العادلة، وصيانة النفس عن كل ما يضر ويؤذي، والإبتعاد عن كل ما يحول بين الإنسان والغايات النبيلة التي بها كماله في جسمه

---

(١) ينظر: حياة القلوب للأموي: (٢/٢٤٩).

(٢) الوصايا للمحاسبي: ٦٥.

(٣) الرسالة القشيرية: ٨٨.

(٤) المنقذ من الضلال للغزالي: ١٢٨-١٢٩.

(٥) الرسالة القشيرية: ٨٨.

وروحه[1] كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وإنفاق الأموال، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[2]، والعدل ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[3]، والعفو ﴿**وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[4]، والاستقامة مع الاعداء ﴿**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[5] ، وتعظيم شعائر الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[6]، فكل هذا من شأنه أن يُمد الإنسان بالتوفيق في الدنيا ويجعله في مأمن من الخوف والحزن يوم القيامة ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾[7]، ويكون سبباً لأن ينعم الله عليه بالثواب العظيم والنعيم في الآخرة ﴿**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[8] ويفرج عنه كربه ويرزقه ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾[9] وينوّر بصيرته[10] ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** ﴾[11].

---

(١) ينظر روح الدين الاسلامي لعفيف عبد الفتاح طبّارة/ دار الكتب/ ط٦/ بيروت- لبنان/ ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م/ ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٣) سورة المائدة: آية (٨).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٣٧).

(٥) سورة التوبة: آية (٧).

(٦) سورة الحج: آية (٣٢).

(٧) سورة يونس: الآيتان (٦٣-٦٤).

(٨) سورة آل عمران: الآية (١٥).

(٩) سورة الطلاق: الآيتان (٢-٣).

(١٠) ينظر: روح الدين الإسلامي لطبّارة: ٢٠٦-٢٠٧.

(١١) سورة الأنفال: الآية (٢٩).

وإذا علمنا معنى التقوى ومفهومها في علم التصوف نشرع الآن في ذكر المسائل الفقهية المفرّعة عنها، والتي أذكر منها:

١- حكم الوصية بالتقوى في خطبتي الجمعة:

ذهب بعض الفقهاء[١] الى أن الوصية بالتقوى ركن من الأركان[٢] الواجبة في خطبتي الجمعة؛ اتباعاً للسلف والخلف، ولأنها المقصود الأعظم من الخطبة، ولا يتعين لفظ التقوى، بل يكفي: أطيعوا الله أو اتقوا الله[٣].

ومن أقوالهم في هذه المسألة:

ما جاء في الإقناع: (وثالثهما- أي أركان الخطبة- الوصية بالتقوى للاتباع، ولا يتعين لفظ الوصية بالتقوى؛ لأن الفرض الوعظ والحث على طاعة الله تعالى، فيكفي أطيعوا الله وراقبوه، وهذه الثلاثة أركان في كل من الخطبتين)[٤].

وجاء في حاشية البجيرمي[٥]: (ووصية بتقوى، وهو امتثال أوامر الله

---

(١) ومنهم الشافعية.

(٢) وهي خمسة أركان: أحدها حمد الله تعالى، والثاني الصلاة على رسول الله (ﷺ)، والثالث الوصية بالتقوى، والرابع قراءة القرآن، والخامس الدعاء للمؤمنين. روضة الطالبين وعمدة المفتين لابي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)/ المكتب الاسلامي/ ط٢/ بيروت- ١٤٠٥هـ/ ج٢/ ص٢٤-٢٥.

(٣) المنهج القويم في شرح المقدمة الحضرمية لإبن حجر الهيتمي الشافعي (ت ٩٧٣هـ)/ ص٣٧٥.

(٤) الإقناع للشربيني: (١/١٨٢).

(٥) البجيرمي: هو الفقيه الشافعي سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي، ولد في بجيرم (من قرى الغربية بمصر) سنة (١١٣١هـ)، اشتهر بالفقه، واشتغل بعلوم الحديث، درس على يد موسى البجيرمي والشيخ العشماوي وغيرهما، من مؤلفاته: (التجريد لنفع العبيد)، و(تحفة الحبيب على شرح الخطيب) وغيرها، توفي (رحمه الله) في قرية بغرب بجيرم سنة (١٢٢١هـ). ينظر: الأعلام للزركلي: (٣/١٩٧).

واجتناب نواهيه)[1].

٢- الحكمة من تشريع الصوم

إن الحكمة من الصوم هو لتنكسر النفس عن الهوى وتقوى على التقوى كما نص على هذا الفقهاء، فهو وسيلة إلى التقوى؛ وذلك لأن النفس إذا انقادت للإمتناع عن الحلال طمعاً في مرضاة الله تعالى وخوفاً من أليم عقابه، فأولى أن تنقاد للإمتناع عن الحرام فيكون الصوم سبباً للإتقاء عن محارم الله تعالى[2]؛ لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

ومن أقوال الفقهاء في هذا:

ما جاء في حاشية البجيرمي: (سر الصوم ومقصوده الأعظم لتنكسر نفسه عن الهوى وتقوى على التقوى بكف جوارحه عن تعاطي ما يشتهيه)[4].

وما جاء في البحر الرائق: (أنه- أي الصوم- وسيلة إلى التقوى؛ لأنها إذا انقادت إلى الامتناع عن الحلال طمعاً في مرضاته تعالى، فالأولى أن تنقاد للإمتناع عن الحرام وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

---

(١) حاشية البجيرمي المسماة (بتحفة الحبيب على شرح الخطيب) لسليمان بن عمر بن محمد البجيرمي (ت ١٢٢١هـ)/ المكتبة الإسلامية/ ديار بكر- تركيا/ ج١/ ص٣٨٨.

(٢) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي الكاساني (ت ٥٨٧هـ)/ دار الكتاب العربي/ ط٢/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م/ ج٢/ ص٧٦، ومغني المحتاج للشربيني: (٤٣٥/١).

(٣) سورة البقرة: آية (١٨٣).

(٤) حاشية البجيرمي: (٧٨/٢).

(٥) البحر الرائق لإبن نجيم: (٢٧٨/٢).

٣- حكم التقوى في الإمامة

ذهب فقهاء الحنابلة إلى تقديم الأتقى في الإمامة على غيره إذا استووا في بقية الخصال المرجحة للإمامة، وهي: القراءة، والفقه، والهجرة، والسن، والنسب؛ وذلك لأن مقصود الصلاة هو الخضوع ورجاء إجابة الدعاء والأتقى أقرب إلى الإجابة[١]؛ لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[٢].

وأقام الأحناف والشافعية الورع مقام التقوى، وقالوا بأن الأسباب المرجحة في الإمامة هي الفقه، والقراءة، والسن، والنسب، والهجرة، والورع، وإنه يلزم من الورع التقوى بلا عكس[٣].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب:

فقد جاء في المغني: (فإن استووا في هذه الخصل، قدم اتقاهم واورعهم؛ لأنه أشرف في الدين، وأفضل وأقرب إلى الإجابة)[٤].

وجاء في الإنصاف: (ثم اتقاهم يعني بعد الأسن والأشرف والأقدم هجرة الأتقى وهذا المذهب[٥])[٦].

وجاء في الدر المختار: (والأحق بالإمامة تقديماً بل نصباً الأعلم باحكام الصلاة فقط صحة وفساداً بشرط اجتنابه للفواحش الظاهرة فرض وقيل واجب

---

(١) كشاف القناع للبهوتي: (٤٧٢/١).

(٢) سورة الحجرات: آية (١٣).

(٣) ينظر: المجموع للنووي: (٢٤٣/٤)، وحاشية ابن عابدين: (٥٥٧/١).

(٤) المغني لإبن قدامة: (٧/٢).

(٥) أي الحنبلي.

(٦) الإنصاف للمرداوي: (٢٤٦/٢).

وقيل سنة ثم الأحسن تلاوة وتجويداً للقراءة ثم الأورع أي الأكثر اتقاء للشبهات والتقوى اتقاء المحرمات ثم الأسن أي الأقدم إسلاماً)[١].

وجاء في التنبيه: (السنة أن يؤم القوم أقرؤهم وأفقههم، فإن زاد واحد في الفقه والقراءة فهو أولى، وإن زاد واحد بالفقه وزاد آخر بالقراءة فالأفقه أولى، فإن استويا في ذلك قدم أقدمهما هجرة، فإن استويا في ذلك قدم أورعهما، وإن استويا في ذلك أقرع بينهما)[٢].

٤- التعاون على البر والتقوى

قال الله تعالى في محكم آياته: **﴿وتعاونُوا علَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى ولَا تَعَاونُوا علَى الْإِثْمِ والْعُدْوَانِ﴾**[٣]، وقد بنى الفقهاء على هذا الأصل أحكامهم في بعض المسائل الفقهية، وكما يأتي:

أ- (وإن وهبه (أي المال الحرام) لإنسان فيتوجه أن يلزمه قبوله لما فيه من المعاونة على البر والتقوى وفي رده إعانة الظالم على الإثم والعدوان)[٤].

ب- (ويستحب لرب السترة أن يعيرها لهم (أي للعراة) بعد صلاته؛ لقوله تعالى **﴿وتَعَاونُوا علَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾** ولا يجب عليه اعارتها لهم)[٥].

جـ- (وإن يوقظ من يطمع في تهجده ليتهجد، فاستحباب إيقاظ النائم للراتبة اولى،

---

(١) الدر المختار شرح تنوير الأبصار لعلاء الدين محمد بن الشيخ علي الحصكفي(ت ١٠٨٨هـ)/ دار الفكر/ ط٢/ بيروت- ١٣٨٦هـ/ ج١/ ص٥٥٧.

(٢) التنبيه لإبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزأبادي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)/ تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر/ دار عالم الكتب/ ط١/ بيروت- ١٤٠٣هـ/ ج١/ ص٣٩.

(٣) سورة المائدة: آية (٢).

(٤) الفروع لإبن مفلح: (٢/٥٠٧).

(٥) كشاف القناع للبهوتي: (١/٢٧٤).

قال الله تعالى ﴿وتعاونوا على البرِّ والتَّقْوى﴾)[1].

د- (فيستحب إلصاق المناكب مع التسوية بحيث لا يكون أحد متقدما على أحد ولا متأخرا عنه فذلك هو السنة، ويتأكد الاعتناء بذلك والأمر به من الأئمة وهم به أولى من غيرهم من المسلمين، فإنهم أعوان على البر والتقوى وبذلك أمروا، قال تعالى: **﴿وتَعاونُوا على البرّ والتَّقْوى ولا تعاونُوا على الإثْم والعُدْوان﴾**)[2].

هـ- (فإن لم يجد السعة (أي في الصف عند الصلاة جماعة) أحرم ثم بعده جر إليه شخصا من الصف ليصطف معه، وسن لمجروره مساعدته بموافقته، فيتفق معه صفاً لينال فضل المعاونة على البر والتقوى)[3].

و- (إن مشايخنا[4] قالوا لا بأس بالتثويب[5] المحدث في سائر الصلوات، لفرط غلبة الغفلة على الناس، وشدة ركونهم في الدنيا وتهاونهم بأمور الدين مثل الفجر في زمانهم، فكان زيادة الإعلام من باب التعاون على البر والتقوى، فكان مستحسناً)[6].

ز- (ولا بأس بإعلام الناس بموته- أي الميت- من أقربائه وأصدقائه وجيرانه؛ ليؤدوا حقه بالصلاة عليه، والدعاء، والتشييع، لأن في الإعلام تحريضاً على

---

(١) مغني المحتاج للشربيني: (١/٢٢٩).

(٢) إعانة الطالبين للدمياطي: (٢/٢٣).

(٣) إعانة الطالبين للدمياطي: (٢/٢٤).

(٤) أي علماء الحنفية.

(٥) التثويب: هو تكرير النداء، وثوّب الداعي تثويبا ردد صوته، ومنه التثويب في الأذان وهو أن يقول المؤذن في أذان الصبح (الصلاة خير من النوم) مرتين بعد الحيعلتين. التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)/ تحقيق: محمد رضوان الداية/ دار الفكر المعاصر- دار الفكر/ بيروت- دمشق/ ط١/ ١٤١٠هـ/ ص١٥٩.

(٦) بدائع الصنائع للكاساني: (١/١٤٨).

الطاعة وحثاً على الإستعداد لها، فيكون من باب الإعانة على البر والتقوى والتسبب إلى الخير والدلالة عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾)[1].

ح- (وأداء الزكاة إنفاق في سبيل الله وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وإيتاء الزكاة من باب الإحسان والإعانة على البر والتقوى)[3].

ط- (وكل منكر رآه المرء في الصلاة ففرضٌ عليه انكاره ولا تنقطع بذلك صلاته؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق وفاعل الحق محسن ما لم يمنع من شيء منه نص أو اجماع، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ومن جملة ذلك إطفاء النار المشتعلة، وإنقاذ الصغير والمجنون والمقعد والنائم من نار أو من حنش أو سبع أو إنسان عاد)[4].

ي- (قال الله عزوجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ولا بر أبر من الصلاة وجمعها في المساجد، فمن دعا إليهما ففرض إجابته وعونه على البر والتقوى الذي دعا إليهما ولا إثم بعد الكفر آثم من تعطيل الصلوات في المساجد، فحرام علينا أن نعين على ذلك، وكذلك الصيام والحج والجهاد من عمل شيئاً من ذلك عملناه معه، ومن دعانا إلى إثم لم نجب ولم نعنه عليه، وكل هذا قول أبي حنيفة والشافعي)[5].

(١) بدائع الصنائع للكاساني: (٢٢٩/١).
(٢) سورة البقرة: آية (١٩٥).
(٣) بدائع الصنائع للكاساني: (٢/٢).
(٤) المحلى لابن حزم: (٩١/٣).
(٥) المصدر نفسه: (٢١٤/٤).

ك- (وأما إمامتها (أي المرأة) النساء، فإن المرأة لا تقطع صلاة المرأة إذا صلت أمامها أو إلى جنبها ولم يأتِ بالمنع من ذلك قرآن ولا سنة، وهو فعل خير وتعاون على البر والتقوى)[1].

ل- (وأما قولنا[2] يوضع على بطنه (أي الميت) فلقول الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ وكل ما فيه رفق بالمسلم ودفع للمثلة عنه فهو بر وتقوى)[3].

م- (ثم يخرجها (أي زكاة الفطر) عن الصغير والمجنون؛ لقول الله تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾)[4].

المبحث الرابع

مجاهدة النفس

البداية الصحيحة في السير إلى الله تعالى هي المجاهدة، فبها تتحقق أهم أهداف الدين الإسلامي وهي وقاية الإنسان من نزعات نفسه الأمارة بالسوء المصغية لوساوس الشيطان ومكائده، فتحولها شيئا فشيئاً إلى نفس مطمئنة بالإيمان يفيض منها نور الهداية والتقوى، وتنعم بطاعة الله تعالى مستلذة عبادته والقيام بكل ما أمر به، ومستقبحة معصيته وكل ما نهى عنه.

ولمّا كان علم التصوف ينصب على إصلاح الباطن والمتمثل بالنفس والقلب، كانت المجاهدة واحدة من أهم ركائز التصوف والتي يظهر أثرها واضحا في جميع ميادين هذا العلم، وتزداد أهميتها بمعرفة أثرها في مسائل الفقه التعبدية؛ لاستناد شرعيتها على الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ**

---

(١) المحلى لإبن حزم: (٢١٩/٤).

(٢) أي قول ابن حزم.

(٣) المحلى لابن حزم: (١٤٦/٥).

(٤) المصدر نفسه: (١٤٦/٥).

اجْتَباكُمْ وَما جَعلَ عليْكُمْ في الدِّين منْ حرجٍ﴾[١]، وقال(عز وجل): ﴿**والَّذين جاهدُوا فِينا لنَهْدينَّهمْ سُبُلَنا وإنَّ اللَّه لمع الْمُحْسنين**﴾[٢]، وقال(جل جلالــه): ﴿**فأمّــا مَــنْ طَغَى* وآثَر الْحياةَ الدُّنْيا* فإنَّ الْجحيم هيَ الْمأْوى* وأمّا منْ خــاف مقــام ربِّــه ونهى النَّفْسَ عنْ الْهَوَى* فإنّ الْجنَّةَ هِي الْمــأْوى**﴾[٣]، وقــال رســول الله (ﷺ): ((**المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل**))[٤]، وقال عليــه الــصلاة والــسلام: ((**الجهاد عمود الإسلام وذروة سنامه**))[٥]، وروي عن الفاروق عمر بن الخطــاب (رضوان الله تعالى عليه) قوله (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبــل أن توزنوا وتهيؤا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"[٦]، وهذه الأدلة خير شاهد على وجوب مجاهدة النفس وحسابها وكبح جماحها، فمفتاح باب الجنــة هو في منع النفس عن أغراضها، يقول الهجويري (رحمه الله تعالى): (كل عمــل يدخل فيه الغرض النفساني تزول منه البركة، وينحرف القلب عن الطريق المستقيم إلى محل الإعوجاج والإنشغال، وهذا لا يخرج عن أمرين: أما أن يتحقق غرضه، وأما ألاّ يتحقق، فإذا تحقق غرضه يكون في ذلك هلاكه وليس لباب الجحيم مفتــاح غير حصول هوى النفس، وإذا لم يتحقق غرضه، فالأغلب أن يكون قد محاه مــن قلبه؛ لأن في ذلك نجاته، ومفتاح باب الجنة ليس سوى منع النفس عن اغراضــها،

---

(١) سورة الحج: آية (٧٨).

(٢) سورة العنكبوت: آية (٦٩).

(٣) سورة النازعات: الآيات (٣٧-٤١).

(٤) رواه الترمذي في سننه: (١٦٥/٤ رقم ١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فــضل من مات مرابطا وقال عنه: حسن صحيح، وأحمــد فــي مــسنده: (٢١/٦)، والحــاكم فــي المستدرك: (١٠/١).

(٥) رواه أحمد في مسنده: (٢٣٤/٥).

(٦) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٢٨٢.

كما قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1][2] فأعدى عدو للإنسان هي نفسه التي بين جنبيه وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر، ومجبولة على حب الجاه والرياسة، وجميع همتها الترفع على جميع الأقران، ومتمناه بالذات أن يكون الخلائق كلهم محتاجين إليها ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها، ولا تريد ان تكون هي محتاجة إلى الشئ ومحكومة لأحد أبداً[3]، يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى) عنها: (النفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عزوجل)[4] ففيها صفتان مانعتان عن الخير هما: الإنهماك في الشهوات والإمتناع عن الطاعات[5]، لذا وجب تقويمها وتزكيتها وفطامها عن مواردها وقيادتها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها، [6] قال مالك بن دينار[7] (رحمه الله تعالى): (جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعدائكم)[8].

والمجاهدة هي فطام النفس عن الشهوات، ونزع القلب عن الاماني والشبهات، وعرفها جعفر الصادق (ﷺ) بقوله: المجاهدة بذل النفس في رضا

(١) سورة النازعات: الآيتان (٤٠-٤١).

(٢) كشف المحجوب للهجويري: (١/١٩٢-١٩٣).

(٣) ينظر: مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٢٨٥، والمكتوبات الربانية للسرهندي: (١/١٤٣).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم: (٢/٧).

(٥) الرسالة القشيرية: ٨٢.

(٦) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٢٨٥.

(٧) مالك: بكنى أبا يحيى، مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي، كان ثقة قليل الحديث وكان يكتب المصاحف، أسند عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين، توفي- رحمه الله تعالى- قبل الطاعون بيسير، وكان الطاعون سنة (١٣١هـ).ينظر: طبقات ابن سعد: (٧/١٨٠)، وصفة الصفوة لابن الجوزي: (٣/١٨٤-١٩٤)، والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٣٧).

(٨) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٢٤٨).

الحق[1]، وهي شاقة على النفس، وتزداد المشقة كلما ازدادت عداوة النفس لصاحبها وتحكم الأهواء فيها، ولكن مع ما فيها من مكابدة وألم إلا أن فوائدها متعددة، فهي تورث زيادة في البصيرة، وكيس في الفطنة، وسرعة إلى إثبات الحجة، واتساع في المعرفة، ورحمة في القلب، واندثار لمعنى الطمع[2]، قال الدقاق(رحمه الله تعالى): (من زين ظاهرة بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة)[3].

والباعث على المجاهدة هو الخوف من عذاب الله سبحانه، والطمع في رضوانه، فالنفس لا تصبر على حرمانها مما تشتهي إلا إذا أيقنت بوعد صادق أنها ستعوض بما هو خير وأبقى، ومثلها في ذلك كمن افتقد دراهمه فاشتد حزنه وضاق ذرعا، فإذا أتاه من يخبره بأنه سيعطيه أضعاف ما فقد اطمأن وانشرح صدره وتحول الحزن إلى سرور، وهكذا شأن المجاهدة يعاني صاحبها من شدائدها في بادئ الأمر، فإذا ارتقى إيمانه وازداد يقينه بوعد الله سبحانه عظيم أجره سارع بنشاط إلى متابعة الطريق حتى ينتصر على نفسه فيحس بلذة الظفر ويتذوق حلاوة الإيمان[4]، وقد سئل المحاسبي(رحمه الله) عن مخرج المحاسبة فقال: (من مخاوف النقص، وشين البخس، والرغبة في زيادة الأرباح؛ لأن الشريك إنما يحاسب شريكه مخافة البخس والخسران، أمل رجاء كثرة الأرباح، وكثرة زيادة البضاعة)[5].

---

(١) المصدر نفسه: (١/٢٤٦-٢٤٧).

(٢) ينظر: الوصايا للمحاسبي: ٢٣٠، وشفاء النفس لكرزون: ٢٠٧.

(٣) الرسالة القشيرية: ٨١.

(٤) ينظر شفاء النفس لكرزون: ٢٣٣.

(٥) الوصايا للمحاسبي: ٢٢٩.

وأول المجاهدة الإيمان بالله تعالى ووحدانيته وأن محمدا (ﷺ) رسوله وخاتم أنبيائه، فالإيمان الصادق هو قائد الإنسان إلى حظيرة الآخرة وهو مفتاح الطريق، وبدونه لا تنفع المجاهدة ولا تتم[1]، يقول المحاسبي (رحمه الله تعالى): أول ما يلزمك في صلاح نفسك الذي لا صلاح لها في غيره أن تعلم أنها مربوبة متعبدة، وأنه لا نجاة للمربوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الدليل على طاعة ربه (عز وجل) هو في العلم ثم العمل بأمره ونهيه في مواضعه وعلله واسبابه، ولن يجد ذلك إلا في كتاب ربه وسنة نبيه (ﷺ)[2]، وليس المراد بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وأخلاص، ولكنه كما حكي عن بعض المشايخ: (أن يكون الكل منك مستجيبا في الدعوة مع حذف خواطر الإنصراف عن الله بسرك، فتكون شاهدا لما له، غائبا عما ليس له)[3]، كما ينبغي على من يؤدب نفسه ويهذبها أن يبدأ بمعرفتها أولا، فلا يصح له- كما يقول التستري- أدب النفس والضبط الا بعد المعرفة بنفسه ومساوئها، فعندما يؤدب نفسه يصلح له الأدب[4]، وقد وضع الغزالي- رحمه الله تعالى- طرقا أربعة يمكن لمن أراد أن يعرف عيوب نفسه أن يتبعها[5]:

أولها: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشاراته في مجاهدته وهذا هو شأن المريد مع الشيخ.

---

(١) ينظر: تربيتنا الروحية لسعيد حوى/ دار الكتب العربية/ ط١ / بيروت- دمشق/ ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م/ ص١٤٦، والتصوف السني لمجدي إبراهيم: ٥٦٩.

(٢) ينظر: الرعاية لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ)/ تحقيق: عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي/ دار الكتب الحديثة- ١٩٥٨م/ ص٣٥.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلباذي: ٩٤.

(٤) من التراث الصوفي للتستري: (٢/٣٢٣).

(٥) ينظر: مكاشفة القلوب للغزالي: ٢٠٧-٢٠٩.

والطريق الثاني: أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا علـى نفسه فيلاحظ أحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهـه عليها كما كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين.

والطريق الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عـين السخط تبدي المساوئ، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثـر مـن انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد، ولكن البصير لا يخلو عن الإنتفـاع بقول أعدائه فإن مساويه لابد وأن تنتشر على ألسنتهم.

الطريق الرابع: أن يخالط الناس، فكل من رآه مـذموما فيمـا بـين الخلـق فليطالب نفسه به وينسبها إليه، فالطباع متقاربة في اتباع الهوى، فما يتـصف بـه واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن شيء منه، فليتفقـد نفـسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره.

أما كيفية المجاهدة، فلها أساليب كثيرة وسبل متعددة يمكن استخلاصها مـن موروث السنة النبوية وتعاليم الشريعة الإسلامية التي أوضحت معـالم المجاهـدة وأرشدت إلى ما يسهل مشقتها ويخفف عناءها، إذ تبـدأ بالمداومـة علـى العمـل الصالح الذي يمد العبد بالهمة على مجاهدة نفسه ويبعد الغفلة عن قلبه، وكلما ازداد تمسك المسلم بالفرائض ومسارعته إلى النوافل كان ذلك زادا لـه علـى طريـق المجاهدة وغذاءً يشحن قلبه بالعزم والتصميم على مواصلة الطريق، فتمام المجاهدة

أن يكون العبد متيقظا لنفسه في جميع الأحوال، فإن غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات[1].

كما يجب عليه أن يبتعد عن مواطن المعاصي والمنكرات، ومجالس اللهو ورفاق السوء، فهي كالأمراض المعدية إذا خالطها تأثر بها ولو بعد حين، وينبغي على المجاهد نفسه أن يتدرج في المجاهدة، فلا يحاسب نفسه الأمارة في ساعة من الزمن، كأنه يريد أن ينقض عليها انقضاضا حتى تتخلى عن جميع الصفات المذمومة وتتحلى بالخصال المحمودة دفعة واحدة، فإن هذا مخالف لطبيعة البشر، بل لا بد له أولا من تقوية الهدف الباعث لذلك ثم العزم والتصميم والثقة في النفس، وعدم التردد حتى يحصل الهدف ويصبح ذلك ملكة وطبعا مالوفا، وهذا الأسلوب في المجاهدة هو الذي اتبعه الإسلام في تحريم الخمر والربا وغيرهما من المنكرات التي كانت متأصلة في النفوس. أما إذا رأى العبد من نفسه ميلا إلى المعاصي وتقصيرا في الطاعات ولم تطاوعه نفسه على سلوك طريق الحق، فعليه المبادرة إلى معاقبتها بعقوبة مشروعة حتى تنزجر وتستقيم كما يعاقب الأب ولده العاصي لتأديبه وتربيته[2]، يقول إبراهيم بن أدهم (رحمه الله تعالى): (لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات، أولها أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة، والثاني أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل، والثالث أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد، والرابع أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر، والخامس أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر، والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ) / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب / دار المعرفة/ بيروت-١٣٧٩هـ /ج١١/ص٣٣٨.

(٢) ينظر: شفاء النفس لكرزون: ٢١٧-٢٢٥.

للموت)[١]، وقد سئل المحاسبي (رحمه الله) عن كيفية معاقبة النفس على ما جنت فاجأب قائلاً: (تفرق بينها وبين محابها، وتأخذ سوط الخشية لها، بدوام الرعاية لها في سعيها، وتضاعف عليها أورادها، وتزيد كدَّها، وتنقص من غذائها، وتقطعها عن ملاذها، وتجرعها غيظ التهديد زجرا لها، حتى يغلب سلطان رعايتك سلطان كبرها)[٢]، وقد روي عن أحد الصالحين أنه مرَّ بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عما لايعنيك! لأعاقبنك بصوم سنة، فصامها[٣].

والمؤمنون إذ يجاهدون أنفسهم، فإنهم لا يستعذبون شيئا أكثر من استعذابهم حلاوة المجهود الذي يبذلونه عن طيب خاطر فريضة من الله تعالى، فنفوسهم قد سئمت من جميع ما ظهر من نعوتها وصفاتها، واستقبحت كل بادٍ بدا منها، وانقطعت عن الشواهد والعوائد والفوائد [٤]، وعجزت عن إظهار الدعوى بين يديه لمّا سمعت قوله (عز وجل): ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٥].

وللمجاهدة خصال بيّنها الشيخ عبد القادر الجيلاني(رحمه الله تعالى) وعدّها عشرة ودعا تلاميذه والسالكين من أهل الطريق إلى إقامتها وتطبيقها على أنفسهم وهي: عدم حلف المريد بالله مطلقا صادقا ولا كاذبا، وإجتناب الكذب هازلا وجادا، وعدم إخلاف الموعد، والحذر من إيذاء الخلق ولعنهم، وتحمل ظلم الخلق واجتناب الدعوة عليهم، وإحسان الظن بأهل القبلة والحذر من الشهادة على أحد منهم بكفر أو نفاق، وكفّ القلب والجوارح عن المعاصي طلبا لمرضاة الله تعالى، ورفع المؤنة

---

(١) الرسالة القشيرية: ٨٢.

(٢) الوصايا للمحاسبي: ٢٣١.

(٣) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٢٨٤.

(٤) ينظر: التعرف للكلاباذي: ١٦٠، والتصوف السني لمجدي إبراهيم: ٥٧١.

(٥) سورة الكهف: آية (١١٠).

عن الخلق والإستغناء عما في أيديهم وأن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكـــر، وقطع الطمع عن النفس والإنقطاع إلى الله، والتواضع[1].

ومن المهم أن ينتبه السالك في طريق المجاهدة على ضرورة الإعتدال فـــي المجاهدة وعدم إرهاق النفس بما يؤدي بها إلى السامة والملل، وذلك بترويحها بين الحين والآخر ببعض المباحات للتقوى بها على الطاعات كما كان رسول الله (ﷺ) يفعل مع اصحابه عند موعظتهم[2]، فقد روي عن ابن مسعود[3] (ﷺ) أنـــه قـــال: (كان النبي (ﷺ) يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السامة علينا)[4].

ولابد لمعركة المجاهدة بين المسلم ونفسه أن تنتهي بإحدى الحالات التالية[5]:

الأولى: تغلب داعي الدين على داعي الهوى، وهذا الظفر لا يصل العبد إليـــه إلا بدوام المجاهدة والصبر حتى تتزكى النفس وتسمو.

الثانية: تغلب داعي الهوى على باعث النفس، وذلك عندما تكون المجاهـــدة متراخية أو ضعيفة، فتكون الغلبة لداعي الهوى، ويستسلم البائس للشيطان وجنـــده

---

(١) الغنية للطالبي طريق الحق عز وجل في معرفة الآداب الشرعية للشيخ عبد القادر الجيلانـــي (ت٥٦١هـ)/ تحقيق: د. فرج توفيق الوليـــد/ دار الحريـــة للطباعـــة/ بغـــداد- العـــراق/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م/ ج٢/ ص١٦٢.

(٢) ينظر شفاء النفس لكرزون: ٢٢٦.

(٣) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة أبـــو عبد الرحمن الهذلي، أسلم بمكة قديما وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمـــشاهد كلهـــا وكـــان صاحب نعل رسول الله (ﷺ)، روى عن النبي عليه الصلاة والسلام، وعن سعد بـــن معـــاذ، وعمر، وصفوان بن عسال، ورور عنه كثيرون، توفي (ﷺ) بالمدينة المنورة سنة (٣٢هـــــ) وقيل (٣٣هـ). ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: (٣/٢٥٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: (٢٥/١) باب ما كان النبي (ﷺ) يتخولهم بالموعضة والعلم.

(٥) عدة الصابرين لابن القيم: ٢٧-٣٠.

حتى يكون تابعا لهم، وقد تغلب عليه شهوته ويشتري الحياة الدنيا بالآخرة حتى يصير الشيطان من جنده، وهذه حال الفاجر القوي المتسلط والمبتدع الداعية لبدعته وضلاله.

الثالثة: أن تكون الحرب سجالا بين المرء وهواه، فتارة له وتارة عليه، هذه حال اكثر المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، وعندها ينبغي عليه ألا ينفذ صبره ويستسلم لشرور نفسه، وإنما يصر على المضي إلى هدفه، ويسارع إلى الإستقامة كلما تعثر، ويضع نصب عينيه عقبى المتقين وعقبى الفجار في دار الآخرة، مما يزيد صبره على المجاهدة خوفا من عذاب الله تعالى ورجاء لرحمته.

ومجاهدة النفس لا تؤتي أكلها ما لم ترتكز على مقومات أساسية أهمها الشيخ، والذكر، والخلوة، والصبر، وفيما يأتي بيان لكل منها:

١- الشيخ المرشد:

طريق المجاهدة- كما علمنا- شاق ووعر ومحفوف بالمخاطر، وسبل الشيطان إليه كثيرة وظاهرة، فإن لم يكن لسالكه شيخ يهديه سواء السبيل، قاده الشيطان إلى طرقه وسلك به نحو الهلاك، فالتزام شيخ مرشد في طريق المجاهدة شرط هام لا غنى للمريد عنه، يقول بعض المشايخ: (لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ واعظ، أو عالم رباني، أو مؤدب ناصح، أو رفيق متنسك)[١]، فطريق القوم كلها مجاهدة ومكابدة، وليس فيها راحة أبدا، ومن شأن المريد أن يوفى بكل شيء شرطه عليه الشيخ سواء أكان صعبا عليه أم سهلا[٢]؛ لما في ملازمته من نجاة للمريد من أهواء نفسه

(١) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٢٢٥).

(٢) ينظر: التصوف السني لمجدي إبراهيم: ٥٧٣.

ومكائد الشياطين، ولذلك يشترط الغزالي (رحمه الله تعالى) على المريد (أن يتمسك بشيخه تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية)[١].

والشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ حد التكميل فيها؛ لعلمه بآفات النفوس وأمراضها، ومعرفته بدوائها، وقدرته على شفائها، أو القيام بهديها ان استعدت ووفقت لأهتدائها[٢].

فينبغي على المريد أولا أن يتحرى عن صفات الشيخ المرشد، فإنه يجب أن يجتمع فيه جملة من الصفات التي تؤهله ليكون مرشدا، وأولها أن يتطابق سلوكه مع ميزان الشرع، وأن يكون فقيها عالما بالشريعة الاسلامية وبالكتاب والسنة، قادرا على تربية النفس البشرية، محيطاً بعلوم الإسلام والثقافة الإسلامية، عارفاً بعصره وبالتاريخ، حكيما يدعو إلى طريق الله تعالى بالحكمة، متسماً بسمات الخير والتذلل لله والتواضع للناس والإحسان إليهم والعفو عن مسيئتهم، وأن يكون عفيفاً، حليماً، كريماً، لبيباً، حسن الخلق، صاحب بشاشة، ظريفاً، وقوراً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، شفيقاً على تلامذه ومريديه، صادقاً في أقواله وافعاله، عادلاً في أحكامه، مخالفاً لهواه، ويشترط أيضاً أن يكون قد تخرج على يد مرشد بصير[٣].

فشيخ هذه صفاته من شأنه أن يهدي المريد بإذن الله إلى سواء السبيل، ويجنبه مواقع الغلط والضلال؛ لأن(النقص غالب على أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط، فلا بد من كامل يقتدي به الناقص

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: (٣/٧٦).

(٢) اصطلاحات الصوفية للقاشاني: ١٥٤.

(٣) ينظر: أيها الولد لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)/ ترجمة توفيق الصالح/ اللجنة الدولية للترجمة/ ط٢/ بيروت-١٩٥٩م/ ص٣٧، والغنية للجيلاني: (٢/١٦٨)، وتربينا الروحية لسعيد الحوى: ٢٢٤-٢٢٥، وما هو التصوف للنقشبندي: ٧٤.

حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور الكمال، فحين إذ يصل إلى مدارج السعادات ومعارج الكمالات)[1].

لكن إيجاد شيخ يتحلى بمثل هذه الصفات في زماننا ليس بالأمر السهل، بل يستلزم من المريد أن يجتهد في البحث ويسأل بدقة وانتباه، ويمكن له أن يستعين ببعض العلامات المتوفرة في المشايخ المرشدين والتي تسهل عليه معرفته، ومنها: أنه يشعر بنفحة إيمانية ونشوة روحية عند مجالسته، فهم لا يتكلمون إلا لله، ولا ينطقون إلا بخير، ولا يتحدثون إلا بموعظة أو نصيحة، كما يمكن له أن يلاحظ في إخوانه من تلاميذ هذا الشيخ صور الإيمان والإخلاص والتقوى والتواضع، ويتذكر وهو يخالطهم المثل العليا من الصدق والحب والإيثار والاخوة الصالحة، كما يرى تلاميذه يمثلون مختلف طبقات الأمة كما كان أصحاب رسول الله (ﷺ)[2]، فكل هذا من شأنه أن يولد الثقة في نفس الباحث ويجعله مطمئناً له، في صفوف مريديه ويواضب على حظور مجلسه والعمل بنصحه وارشاده، فيتعلم منه أصول الطريق وكيفية مجاهدة النفس التي تمكنه من الاستمرار عليها والنجاح فيها.

٢- الذكر:

مبنى المجاهدات والرياضيات قائم على ذكر الله تعالى، فهو عماد التصوف وهيكله، وبه يتوصل العابد إلى كل مقام وحال، فالتوبة والرضا والتوكل والمراقبة والقرب والمحبة والأنس لا تكون إلا بالمداومة على ذكر الله تعالى وإفراغ القلب مما سواه، يقول القشيري (رحمه الله تعالى): (الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا

---

(١) التفسير الكبير للرازي: (١/١٨٣-١٨٤).

(٢) ينظر: حقائق عن التصوف لعيسى: ٥٤-٥٥، واسئلة واجوبة عن التصوف لحازم نايف أبي غزالة/ دار الامام النووي/ ط١/عمان- الأردن/ ١٤١٢هـ-١٩٩١م/ ص١٤-١٥.

بدوام الذكر)[1] فشيوخ الصوفية قد وجدوا في الذكر العلاج المناسب لصفاء النفوس وتنقية القلوب من الأدران المجتمعة على جدرانها، فالذي يذكر ربه ويتصور عظمته يخشع قلبه ويلين فلا يصدر عنه من الأفعال إلا كل خير، لأنه يعلم ان الله مطلع عليه، بينما الذين يعرضون عن تذكر خالقهم وينزلقون في غمرة الحياة يكون ذلك داعياً لقسوة قلوبهم فلا ينتج عنهم إلا الشر[2]، ولذلك حذر الله تعالى من الوصول إلى هذه الحالة المقيتة بقوله: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[3]، فالذكر هو الدواء المجرب الذي يجلي الرين عن القلوب، ويزيل ما علق بها من الصفات الرذيلة كالحسد والحقد والنفاق والكذب، ويحل محلها الطمأنينة والصفات المحمودة كما وعد الله تعالى عباده المؤمنين بقوله **﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[4]، يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى): (ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء)[5].

ومن نعم الله وعظيم فضله على عباده أنه لم يجعل للذكر وقتا مخصوصاً أو حالة معينة كبقية العبادات، بل جعله مطلقا في عموم الأوقات والحالات، فأمكن للعبد أن يذكره في طاعته ومعصيته، وغناه وفقره، وسره و جهره، فذكره وقت

---

(١) الرسالة القشيرية: ١٧٣.

(٢) ينظر: روح الدين الإسلامي لطبارة: ١٧٥.

(٣) سورة الحديد: آية (١٦).

(٤) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)/ تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان/ دار الرائد العربي/ بيروت–لبنان/ ص٥٢.

الطاعة يزيد العبد نوراً على نور، وذكره وقت المعصية يكون سبباً في تقليل حدة المعصية شيئاً فشيئاً فيزول نهائياً[١].

وللذكر آداب بينها العارفون، في مقدمتها: النظافة الجسمية والوضوء، وحظور القلب، فليس معنى الذكر أن يحرك المرء لسانه والغفلة تعم قلبه، بل يجب عليه أن يدرك كل كلمة يقولها بالتفكر والذكرى والإعتبار، وكلما كان المكان خالياً كان الذكر افضل؛ لتحقق التركيز، لكن الشرط الأساسي هو التوبة، فانه لا تكتمل له فوائد الذكر إلا بعد الإقلاع بالتوبة عن كل سوء[٢].

٣- الخلوة :

ومن وسائل المجاهدة الناجحة والتي تعين على شفاء القلب من علله وأمراضه وترفع عنه آفات العلائق وشواغل الدنيا وتجعله موصولا بذكر الله تعالى هي الخلوة، إذ تتيح للمرء مواجهة نفسه والتفتيش فيها وتنقيتها وتهيئتها لأن تصفو وتنجلي، فإذا أراد الله بالعبد خيرا بنقله من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه[٣] لأن القلب إذا اشتغل بشيء خلا عن غيره، فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود، خلا لا محال من غيره، وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب، والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما مضى من أحواله فيبدأ بمجاهدتها حتى يتخلص منها[٤].

والخلوة هي انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك الأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من

(١) ينظر: معالم الطريق لمنوفي: ١٠٥.

(٢) ينظر: ما هو التصوف للنقشبندي: ١٧٣.

(٣) ينظر: الرسالة القشيرية: ٨٧.

(٤) ينظر: إحياء لعلوم الدين للغزالي: (٣/٦٦).

المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكر الله تعالى بقلب حاضر خاشع، وتفكر في آلائه تعالى آناء اليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف يعلمه إذا جهل، ويذكره إذ أغفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس[1].

وقد اكد كثير من الزهاد على ضرورة الخلوة وأهميتها في التأثير على النفس البشرية وأبرزهم سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي(رحمهم الله تعالى) وغيرهم محتجين بما ورد في السنة المطهرة من أحاديث تدل على فضلها، فقد روي أن رجلا سئل رسول الله (ﷺ) أي الناس أفضل، فقال: **((مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قال: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره))**[2]، كما سئله رجل آخر، ما النجاة ؟ فقال(ﷺ): **((املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكي على خطيئتك))**[3].

والتصوف إذ يؤكد على ضرورة ان يختلي المرء بنفسه لعبادة ربه، فلما في إدامة الأختلاط من اضعاف صفاء القلب وتسرب الغفلة نحوه ومقابلة مثيرات الشهوات التي قد تستميل قلبه تجاه الباطل[4]، أما الخلوة فاثارها عظيمة وفوائدها جليلة، فهي سبب لتهذيب النفس وتزكيتها ورياضتها على طاعة الله تعالى والاستئناس بمجالسته والتفرغ لعبادته، وبها يتم التخلص من المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبا بالمخالطة كالغيبة والنميمة والرياء والتأثر بالأخلاق

(١) حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ١٦٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: (١٠٢٦/٣) رقم ٢٤٣٤، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد، كتاب الجهاد والسير.

(٣) رواه أحمد في مسنده: (١٨٤/٤).

(٤) ينظر: تربيتنا الروحية لحوى: ١٥٠.

الرديئة، فضلا عن الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين عن الخوض فيها[1] وقد روي أن النبي (ﷺ) قد ذكر الفتن ووصفها وحذر المؤمن من مخالطة الناس وقتها فقال: ((**إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفت اماناتهم، فكانوا هكذا، شبك بين أصابعه، فقيل: ما تأمرنا؟، فقال: إلزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، و عليك بامر الخاصة ودع امر العامة**))[2].

وتكون الخلوة بان يتجرد العبد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه، ويغتسل غسلا كاملا، ويحتاط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة، ويصلي ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع واستكانة وتخشع، ويسوي بين السريرة والعلانية، ولا ينطوي على غل و غش وحقد وحسد وخيانة، ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة، وعليه أن يتقي في خروجه استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بجلوسه في خلوته، ويجعل وقته كله موهوباً لله (عزوجل) بإدامة فعل الرضا أما تلاوة أو ذكراً أو صلاة أو مراقبة، ويلازم إدامة الوضوء، ولا ينام إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات، فيكون هذا شغله ليله ونهاره[3].

٤- الصبر:

كل طريق يشق على سالكه قطعه يستلزم نوعاً من الصبر لبلوغه، ولما لم يكن فوق مشقة المجاهدة مشقة تفوقها، كان لزاماً على العبد أن يتحلى بالصبر والمصابرة؛ ليفلح في مجاهدة نفسه والتغلب عليها، وكلما ازداد تعلق النفس بحظوظها وأهوائها ازدادت حاجة العبد إلى الصبر في مجاهدتها والمصابرة على

---

(١) ينظر: مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٨٥-٨٦، وحقائق عن التصوف لعيسى: ١٧٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده: (١٦٢/٢)، والحاكم في المستدرك: (٢٨٢/٤).

(٣) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ١٣٢.

عنادها حتى يلزمها بطاعة الله سبحانه ويحملها على الاستقامة على شرع الله تعالى ويحصنها من الإنزلاق في مهاوي الفساد والضلال، فالمجاهد نفسه لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال، فهو يحتاج إلى الصبر عن المعاصي وخصوصا تلك التي تيسر فعلها لديه كمعاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء ونحوها، كما يحتاج إلى الصبر على الطاعات؛ لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسبب جميعها كالحج والجهاد، ويحتاج المريد إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال، حال قبل العبادة وهي تصحيح النية والإخلاص والصبر على شوائب الرياء، وحال في نفس العبادة وهي أن لا يغفل عن الله تعالى أثناء عبادته، ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ من العمل، وحال بعد الفراغ من العبادة وهي الصبر عن افشائها والتظاهر بها لأجل الرياء والسمعة وعن كل ما يبطل عمله[1].

فالصبر خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها[2]، وبه يتم التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة[3].

ومما يهون أمر الصبر في نفوس المجاهدين، علمهم أنهم يصبرون لثواب الله عز وجل، معرفتهم بعظيم قدر الصابرين عند الله تبارك وتعالى، قال تعالى:

---

(١) ينظر: مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٢٠٥-٢٠٦، وحقائق عن التصوف لعيسى: ٢٢٤.

(٢) عدة الصابرين لابن القيم: ١٥.

(٣) ينظر الرسالة القشيرية: ١٤٤.

﴿ولنجْزينَ الّذين صبرُواْ أجْرهُم بأحْسن ما كانُواْ يعْملُون﴾[1]، فإذا استوطن علم هذا في قلوبهم، تحملت الصبر، وسهلت عليهم السياسة، وسقط عنهم عظيم طول المكابدة، ودخلت الجوارح في الطاعة بعذوبة وسماحة[2].

ويتفرع عن مبحث المجاهدة ومقوماتها الأساسية مسائل فقهية أذكر منها ما عثرت عليه بحسب القدرة البشرية المحدودة، وكما يأتي:

١- لا يمكن إخفاء بعض الطاعات والإسرار بها كإقامة الجمعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشييع الأموات وغير ذلك، فان خاف فاعلها الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية إخلاصه[3]، يقول عز الدين بن عبد السلام في هذه المسألة: (ان الطاعات ثلاثة اضرب، احدها ما شرع به كاقامة والتكبير والجهر بالقراءة في الصلاة والخطب الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الجمعة والجماعات والأعياد والجهاد وعيادة المرضى وتشييع الأموات، فهذا لا يمكن اخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية إخلاصه. فيأتي به كما شرع فيحصل على أجر ذلك الفعل وعلى أجر المجاهدة؛ لما فيه من المصلحة المتعدية)[4].

٢- يكون التقرب بالصوم من حيث مجاهدة النفس، والمجاهدة تحصل بمنع النفس من الطعام وقت الاشتهاء، وبالقيام بالليل وقت حبها المنام[5]، يقول السرخسي في هذه المسألة: (إن المعتاد في الناس أكلتان الغداء والعشاء، فكان التقرب

(١) سورة النحل: آية (٩٦).

(٢) ينظر: الوصايا للمحاسبي: ٢٧٠.

(٣) قواعد الأحكام لعز الدين بن عبد السلام: ١٢٨.

(٤) قواعد الأحكام لعز الدين بن عبد السلام: ١٢٨.

(٥) المبسوط لأبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٨٣هـ)/ دار المعرفة/ بيروت ١٤٠٦هـ/ ج٣/ ص٥٤-٥٥.

بالصوم في الإبتداء في ترك الغداء والإكتفاء بأكلة واحدة وهي العشاء، ثم ان الله تعالى أبقى لهذه الأمة الأكلتين جميعا وجعل معنى التقرب في تقديم الغداء عن وقته كما أشار إليه رسول الله (ﷺ) في السحور أنه الغـــذاء المبـــارك[1] والتقرب بالصوم من حيث مجاهدة النفس، والمجاهدة في هذا مـــن وجهـــين أحدهما بمنع النفس من الطعام وقت الإشتهاء، والثاني بالقيـــام وقـــت حبهـــا المنام، ومن المجاهدة حفظ اللسان وتعظيم ما عظم الله تعالى)[2].

٣- **ومن الفروع الأخرى:** دخول الخلاء بـــشيء عليـــه ذكـــر الله، يمنـــع عنـــد المالكية[3]، ويكره عند الحنفية[4]، لما روي عن النبي(ﷺ) **((أنه كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه))**[5]، وإنما وضعه لأنه كان منقوشاً عليه محمـــد رســـول الله[6]، ولأن الخلاء موضع القاذورات فشرع تعظيم اسم الله وتنزيهه عنه[7]، ويكره كذلك عند الحنابلة إلا أنهم قالوا: ان من احتاج إلى دخوله به كـــدنانير

---

(١) روى الامام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية السلمي قال "ثم سمع رســـول الله (ﷺ) وهو يدعونا إلى السحور في شهر رمضان هلموا إلى الغذاء المبارك/ مسند أحمـــد: ١٢٧/٤ رقم ١١٧٢.

(٢) المبسوط للسرخسي: (٥٦٥٥/٣).

(٣) مواهب الجليل للمغربي: (٢٧٢/١).

(٤) ينظر: البحر الرائق لابن نجيم: (٢٥٦/١).

(٥) رواه الترمذي في سننه: (٢٢٩/٤ رقم ١٩٤٦) وكتاب اللباس، باب ما جاء في خاتم الفضة، وقال عنه حديث حسن غريب.

(٦) سنن النسائي: (١٧٢/٨ رقم ٥١٧٦)، باب صنعة خاتم النبي (ﷺ).

(٧) كشاف القناع البهوتي: (٥٩/١).

عليها اسم الله تعالى بأن لم يجد من يحفظه وخاف ضياعه فلا بـأس[1]، أمـا الشافعية فقالوا باستحباب تنحية ما فيه ذكر الله تعالى للحديث المذكور[2].

وفيما يلي ذكر ما جاء عن هذه المسائلة في كتب المذاهب:

جاء في مواهب الجليل: (وكلام هؤلاء[3] صريح في المنع ومقتضاه حرمـة الذكر ووجوب تنحية كل ما فيه ذكر)[4].

وجاء في البحر الرائق: (ويكره أن يدخل الخلاء ومعه خاتم مكتوب عليه اسم الله تعالى أو شيء من القرآن)[5].

وجاء في حاشية الطحطاوي: (ويكره الدخول للخلاء ومعه شيء مكتوب إلخ، لما روي عن أنس[6] قال كان رسول الله (ﷺ) إذا دخل الخلاء نزع خاتمـه أي لأن نقشه محمد رسول الله قال الطيبي[7] فيه دليل على وجوب تنحية المستنجي اسم الله

---

(١) ينظر: المبدع لابن مفلح (١/٨٠).

(٢) ينظر: المجموع للنووي: (٢/٩٢).

(٣) أي علماء المالكية.

(٤) مواهب الجليل للمغربي: (١/٢٧٢) .

(٥) البحر الرائق لابن نجيم: (١/٢٥٦).

(٦) أنس: هو أنس بن مالك بن النظر بن ضمضم بن زيد بن حرام أبو حمزة الأنصاري المـدني خادم رسول الله (ﷺ) نزيل البصرة، روى عن رسول الله (ﷺ)، وعن أبي بكر وعمر وعثمان وابن رواحة وفاطمة وابن مسعود وغيرهم، وروى عنه كثيرون، توفي (ﷺ) سنة (٩٣هـ) وقيل (٩٢هـ) وقيل (٩١هـ) وعمره (١٠٣) سنة. ينظر: تهذيب التهـذيب لابـن حجـر: (١/٢٩٦-٢٩٧) .

(٧) الطيبي: هو أبو الفضل الطيبي الأديب الفقيه، تفقه بمرو على القاضي محمـد بـن حـسين الارسانيدي. ينظر: طبقات الحنفية: (١/٢٧٤-٢٧٥).

تعالى واسم رسوله والقرآن وقال ابن حجر[١] استفيد منه أنه يندب لمريد التبرز أن ينحى كل ما عليه معظم من اسم الله تعالى أو نبي أو ملك، فان خالف كره لترك التعظيم وهو الموافق لمذهبنا[٢])[٣].

وجاء في المبدع: (والمذهب[٤] أنه يكره دخوله بما فيه ذكر الله تعالى بلا حاجة فلو لم يجد من يحفظه له أو خاف ضياعه فلا بئس حيث أخفاه، قال أحمد: الخاتم إذا كان فيه اسم الله تعالى يجعله في باطن كفه، وقال في الرجل يدخل الخلاء ومعه الدراهم أرجو أن لا يكون به بئس)[٥].

وجاء في مغني المحتاج: (ولا يحمل في الخلاء ذكر الله تعالى أي مكتوب ذكر من قرآن أو غيره حتى حمل ما كتب من ذلك في درهم أو نحوه تعظيماً له واقتداء به (ﷺ) فإنه كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه وكان نقشه ثلاث أسطر محمد سطر ورسوله سطر والله سطر[٦])[٧].

---

(١) ابن حجر: هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن حجر الكناني الشافعي ولقب بالعسقلاني نسبة إلى عسقلان (من مدن فلسطين) وابن حجر لقب لبعض آبائه ولد سنة ٧٧٣هـ بالقاهرة، شافعي المذهب برع في علوم الحديث بجميع فنونه وله مصنفات كثيرة منها (الإصابة في أسماء الصحابة)، و(تهذيب التهذيب)، و (بلوغ المرام) وغيرها، توفي سنة ٨٥٢هـ ودفن في القاهرة رحمه الله – ينظر: البدر الطالع للشوكاني: (٨٧/١)، والأعلام للزركلي، (١٧٤/١).

(٢) أي المذهب الحنفي.

(٣) حاشية الطحطاوي: (٣٥/١-٣٦).

(٤) أي مذهب الحنابلة.

(٥) المبدع لابن مفلح: (٨٠/١).

(٦) صحيح ابن حبان: (١٠٨/١٢ رقم ٥٤٩٦).

(٧) مغني المحتاج للشربيني: (٤٠/١).

وجاء في المجموع: (وأما حكم المسألة فاتفق أصحابنا[١] على استحباب تنحية ما فيه ذكر الله تعالى عند إرادة دخول الخلاء ولا تجب التنحية)[٢].

٤- **ومن الفروع الأخرى:** لا يقطع الصلاة شئ من ذكر الله تعالى، وبه قال الشافعي وأبو يوسف[٣] ومالك وأحمد؛ لأنه من جنس الصلاة، وقد ذكر صاحب كتاب نهاية الزين: (وخرج بكلام المخلوق كلام الله تعالى ومثله الذكر فلا بطلان به وكذا الدعاء ما لم يخاطب الله ورسوله ولم يكن محرما وإلا بطلت صلاته كأن قال لغيره رحمك الله أو دعا بإثم أو قطيعة رحم أو دعا على إنسان بما لا يجوز، ولو تكلم بنظم القرآن ﴿**يَايَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ**﴾[٤] الآية مفهما به من استأذن ان يأخذ شيئا لا تبطل صلاته إن قصد التلاوة فقط أو مع الافهام أو الشك في ذلك، فإن قصد الإفهام فقط أو اطلق بطلت صلاته، وتبطل بما لا يعقل كأن قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك، ولو قال أمامه ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[٥] الآية فقالها أو قال استعنا بالله أو استعنت بالله ففيه التفصيل المتقدم، ولو قال

(١) أي علماء الشافعية.

(٢) المجموع للنووي: (٢/٩٢).

(٣) أبو يوسف: هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حميد الانصاري من اولاد أبي دجانة الصحابي، ولد سنة (١١٣هـ) كان من اصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي واخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة وولي القضاء لهارون الرشيد، توفي- رحمه الله تعالى- في بغداد سنة (١٨٢هـ). ينظر: طبقات الفقاء للشيرازي: (١/١٤١).

(٤) سورة مريم: آية (١٢).

(٥) سورة الفاتحة: آية (٥).

للأمامه صدقت حين نطق بالثناء في القنوت بطلت صلاته؛ لأنه خطاب، وإذا قال أشهد ففيه التفصيل المتقدم)[١].

أما أبو حنيفة فقد قال بأن ذكر الله تعالى في الصلاة يفسدها، وخالفه أبو يوسف في ذلك فذهب إلى أن الصلاة لا تفسد بشيء من ذكر الله تعالى حتى وان قصد به خطاب الناس، وعن خلافهم هذا يقول صاحب تحفة الفقهاء: (كل ما كان نظير الكلام معنى بأن ذكر الله تعالى وأراد به خطاب إنسان أو زجره عن شيء أو أراد به بجوابه عن شيء فانه يفسد صلاته عند أبي حنيفة ويقطع البناء، وقال أبو يوسف كل ما كان من ذكر الله فيه في الوضع لا تفسد به الصلاة ولو نوى خطاب الناس به، وعلى هذا الخلاف إذا عطس إنسان فقال الحمد لله فشمته رجل فقال يرحمك الله تفسد صلاته عندهما[٢] وعند أبي يوسف لا تفسد)[٣].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب الفقهية:

جاء في الأم: (وإن قال غيره من ذكره الله وتعظيمه لم يكن عليه فيه شيء إن شاء الله تعالى وكذلك إن قال حيث لا أمر أن يقوله ولا يقطع ذكر الله الصلاة في أي حال ذكره، قال الشافعي ويقول هذا في الفريضة والنافلة)[٤].

وجاء فيه أيضاً: (قال الشافعي: ولو قال مع آمين رب العالمين وغير ذلك من ذكر الله كان حسناً ولا يقطع الصلاة شيء من ذكر الله)[٥].

---

(١) نهاية الزين للجاوي: ٩١-٩٢.

(٢) أي عند أبي حنيفة ومحمد.

(٣) تحفة الفقهاء للسمرقندي: (٢٢١/١).

(٤) الأم للشافعي: (١٠٦/١).

(٥) المصدر نفسه: (١٠٩/١).

وجاء في الإقناع: (ولا تبطل بالذكر والدعاء وإن لم يندبا إلا أن يخاطب بـــه كقوله لعاص رحمك الله)[1].

وجاء في الإنصاف: (وقال أحمد إذا قرأ أليس ذلك ﴿**بِقَادِرٍ عَلَـى أَنْ يُحْيِـيَ الْمَوْتَى**﴾[2]. في الصلاة وغيرها قال سبحانك فبلى في فرض ونفل)[3].

وفيه أيضاً: (إذا قرأ اليس ذلك ﴿**بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَـوْتَى**﴾ هـل يقـول سبحان ربي الأعلى ثلاثا! قال إن شاء قال في نفسه ولا يجهر به)[4].

وجاء في التمهيد: (ويذهبون[5] إلى جواز الكلام في إصلاح الصلاة للمنفـرد والجماعة ويقولون لا فرق بين ان يكلم الرجل في اصلاح الصلاة من معـه فيهـا وبين ان يكلم من ليس معه فيها إذا كان ذلك في شأن إصلاحها وعملها)[6].

٥- **ومن الفروع الأخرى:** ذكر الله تعالى للمحدث والجنب جـائز عنـد جمهـور الفقهاء؛ لحديث عائشة (رضي الله عنها) ((**كان رسـول الله (ﷺ) يـذكر الله على كل أحيانه**))[7]، فإنه مقرر للأصل وهو ذكر الله تعالى على كل حال من الأحوال، قال تعالى ﴿**يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾[8] وقد ذكـر

(١) الإقناع للشربيني: (١/١٤٩).

(٢) سورة الأحقاف: آية (٣٣).

(٣) الإنصاف للمرداوي: (٢/١١٠).

(٤) المصدر نفسه: (٢/١١٠).

(٥) أي علماء المالكية.

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بـن عبـد البـر النميري الأندلسي (ت٤٦٣هـ)/ تحقيق: مصطفى العلوي ومحمـد البكـري/ وزارة عمـوم الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المغرب- ١٣٨٧هـ/ ج١/ ص٣٤٧.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: (١/٢٢٧)، ومسلم في صحيحه: (١/٢٨٢ رقم ٣٧٣).

(٨) سورة آل عمران: آية (١٩١).

مسلم[1] هذا الحديث في صحيحه وأسماه (باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها)[2].

أما البخاري[3] في صحيحه فجعله في (باب تقضي الحائض المناسك كلها)[4] وقد جاء في شرحه: (ومقصود البخاري بما ذكر في هذا الباب من الأحاديث والآثار أن الحيض وما في معناه من الجنابة لا ينافي جميع العبادات بل صحت معه عبادات بدنية من أذكار وغيرها)[5].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من الكتب الفقهية:

جاء في شرح العمدة: (وأما ذكر الله سبحانه ودعاؤه ونحو ذلك فهو جائز)[6].

---

(١) مسلم: هو مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسن القشيري النيسابوري أحد الائمة من حفاظ الحديث وهو صاحب المسند الصحيح رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وآخر قدومه بغداد كان سنة ٢٥٩هـ، توفي عشية يوم الأحد ودفن يوم الأثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١هـ(رحمه الله). ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (١٣/١٠٠-١٠٣).

(٢) صحيح مسلم: (١/٢٨٢).

(٣) البخاري: هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ولد في شوال سنة (١٩٤هـ)، طلب العلم وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وكان حسن الحفظ، وهو صاحب الجامع الصحيح، توفي يوم السبت لغرة شوال سنة (٢٥٦هـ)، وعاش اثنتين وستين سنة (رحمه الله). ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: (٥/٣٠).

(٤) صحيح البخاري: (١/١١٦).

(٥) شرح فتح الباري: (١/٤٠٨).

(٦) شرح العمدة لإبن تيمية: (١/٣٧٨).

وجاء في المبسوط: (والجنب والمحدث لا يمنعان من ذكر الله تعالى)(١).

وجاء في التاج والإكليل: (فلا ينبغي أن يمتنع من ذكر الله على كل حال إلاّ بنص ليس فيه احتمال)(٢).

وجاء في مواهب الجليل: (ولا يمنع الحيض السعي ولا الوقوف بعرفة ولا يمنع ذكر الله كالتسبيح والإستغفار وإن كثر وهذا ظاهر)(٣).

وجاء في إعانة الطالبين: (أو جنباً أو حائضا أي ولو كان جنباً أو حائضاً فإنه يسن له أن يقول مثل قولهما- في إجابة الأذان-)(٤).

وجاء في المحلى: (ويستحب الوضوء للجنب إذا أراد الأكل أو النوم ولرد السلام ولذكر الله تعالى وليس ذلك بواجب، فإن قيل فهلا أوجبتم ذلك كله لقول رسول الله (ﷺ) إني كرهت أن أذكر الله إلاّ على طهر(٥)، قلنا وبالله التوفيق أما الحديث في كراهة ذكر الله تعالى إلاّ على طهر فإنه منسوخ بحديث النبي (ﷺ) قال: **((من تعار من الليل فقال لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله لاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ثم قال اللهم اغفر لي أودعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته))**(٦)، قال علي فهذه إباحة لذكر الله تعالى بعد الإنتباه من النوم في الليل وقبل الوضوء نصاً وهي فضيلة والفضائل لا تنسخ)(٧).

(١) المبسوط للسرخسي: (١/١٣٢).

(٢) التاج والإكليل للمواق: (١/٢٧٠).

(٣) مواهب الجليل للمغربي: (١/٣٧٥).

(٤) إعانة الطالبين للدمياطي: (١/٢٤٠).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه: (١/٨٦-٨٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: (١/٣٨٧، رقم ١١٠٣)، باب فضل من تعار من الليل فصلى.

(٧) المحلى لإبن حزم: (١/٨٦-٨٧).

٦- **ومن الفروع الأخرى:** يستحب ذكر الله تعالى عقب الصلاة المفروضة للإمام والمأموم والمنفرد والرجل والمرأة والمسافر وغيره، وعند جمهور الفقهاء[١]؛ لما روي عن النبي (ﷺ) أنه ((**كان إذا أسلم في دبر الصلاة يقول لا إله إلاَّ الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، ولانعبد إلاّ إياه وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لاإله إلاّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**))[٢]، وأيضاً لما روي عنه (ﷺ) أنه رد إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: ((**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام**))[٣]. ويستحب من الذكر ما ورد به الأثر[٤] مثل ما روي عن النبي (ﷺ) أنه ((**كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**))[٥].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب الفقهية:

(١) ينظر: المجموع للنووي: (٣/٤٤٧)، والفواكه الدواني للنفراوي: (١/١٩٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (٤/٥).

(٣) راوه مسلم في صحيحه: (١/٤١٤ رقم ٥٩١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٤) المغني لإبن قدامة: (١/٣٢٧)، وروضة الطالبين: (١/٢٦٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه: (١/٢٨٩ رقم ٨٠٨)، باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم في صحيحه: (١/٤١٤ رقم ٥٩٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

جاء في الكافي: (ويستحب ذكر الله تعالى بعد انصرافه من الصلاة ودعاؤه واستغفاره)[1].

وجاء في كشاف القناع: (ويسن ذكر الله تعالى والدعاء والإستغفار عقب الصلاة المكتوبة كما ورد في الأخبار)[2].

وجاء في المجموع: (اتفق الشافعي والأصحاب [3] وغيرهم رحمهم الله على أنه يستحب ذكر الله تعالى بعد السلام)[4].

وجاء في الفواكه الدواني: (ويستحب الذكر بأثر الصلاة المفروضة)[5].

وجاء في حاشية الطحطاوي: (من سبح الله في دبر كل صلاة يشمل الفرض والنفل لكن حمله أكثر العلماء على الفرض)[6].

وجاء في روضة الطالبين: (السنة أن يكثر من ذكر الله تعالى عقب الصلاة وقد جاءت في بيان ما يستحب من الذكر أحاديث كثيرة صحيحة)[7].

٧- **ومن الفروع الأخرى:** ذكر الله تعالى على سبيل التعظيم هو الركن في افتتاح الصلاة عند أبي حنيفة ومحمد[8] رحمهما الله، فهو الثابت بالنص بقوله تعالى:

---

(١) الكافي لإبن قدامه: (١/١٤٤).

(٢) كشاف القناع للبهوتي: (١/٣٦٥).

(٣) أي علماء الشافعية.

(٤) المجموع للنووي: (٣/٤٤٨).

(٥) الفواكه الدواني للنفراوي: (١/١٩٢).

(٦) حاشية الطحطاوي: (١/٢١٢).

(٧) روضة الطالبين للنووي: (١/٢٦٨).

(٨) محمد: هو محمد بن الحسن بن أبي عبد الله الشيباني الإمام صاحب الامام أصله من دمشق قدم أبوه من العراق فولد محمد بواسط، وصحب أبا حنيفة وأخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف وصنف الكتب ونشر علم أبي حنيفة، ويروي الحديث عن مالك ودون الموطأ وألف كتاب السير=

﴿**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾[١] لذلك يجوز عندهما افتتاح الصلاة بالتسبيح والتهليل والتحميد، ولما روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((**كان الأنبياء يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل**))[٢]. فإذا قال المصلي عند افتتاحه للصلاة الله أعظم أو الله أجلّ فقد وجد ما هو الركن، أما لفظ التكبير (الله أكبر) فقالا بأن الأخبار قد وردت به فيوجب العمل به حتى يكره افتتاح الصلاة بغيره لمن يحسنه ولكن الركن ما هو ثابت بالنص[٣].

وذهب مالك والشافعي وأحمد وداود وابن حزم وأكثر أهل العلم الى إيجاب لفظ التكبير في افتتاح الصلاة[٤]، لأن النبي(ﷺ) قال: ((**والتكبير تحريمها**))[٥].

وقال للمسيء في الصلاته ((**إذا قمت الى الصلاة فكبر**))[٦]، ولقوله عليه الصلاة والسلام ((**لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء يعين**

=الكبير، وولي القضاء للرشيد بالرقة وعزل منها ثم ولاه قضاء الري فتوفي بها سنة (١٨٧هـ) وهو أبن (٥٨) سنة(رحمه الله) ينظر طبقات الحنفية: (١/٤٣-٤٤).

(١) سورة الأعلى: آية (١٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (١/٢١٥ رقم ٢٤٦٣)، كتاب الصلاة في التعوذ كيف هو القراءة أو بعدها.

(٣) المبسوط للسرخسي: (١/٣٥- ٣٦).

(٤) المغني لإبن قدامة: (١/٢٥٧- ٢٧٦)، والمجموع للنووي: (٣/٢٤٩- ٢٥٠).

(٥) وتمامه. (ثم مفتاح الصلاة والوضوء والتكبير تحريمها والتسليم تحليلها)، سنن البيهقي الكبرى: (٢/٣٨٠ رقم ٣٧٨٦)، باب وجوب التحليل من الصلاة بالتسليم

(٦) رواه مسلم في صحيحه: (١/٢٩٨ رقم ٣٩٧)، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

مواضعه ثم يكبر))[1].

أما أبو يوسف فقال: (إذا كان يحسن التكبير ويعلم أن الصلاة تفتتح بـــالتكبير لايصير شارعاً بغيره، وإن كان لايحسنه أجزأه)[2].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب:

جاء في البحر الرائق (غاية ما هنا أن الثابت بالنص ذكر الله تعـــالى ســـبيل التعظيم ولفظ التكبير ثبت بالخبر، فيجب العمل به حتى يكره افتتاح الصلاة بغيـــره لمن يحسنه)[3].

وجاء في تحفة الفقهاء :(ثم عند أبي حنيفة ومحمد يصح الشروع بكل ذكـــر هو ثناء خالص لله تعالى مراد تعظيمه نحو أن يقول الله أكبر، الله أعظم)[4].

وجاء في المجموع: (الصلاة بقوله الله اكبر بالأجماع، وتنعقد بقوله عنـــدنا[5] وعند الجمهور، فلو قال الله اجلّ، أو الله أعظم، أو الله الكبير ونحوها لاتنعقد بقوله عندنا وعند مالك وأحمد وداود والعلماء كافة الأ أبا حنيفة فإنه قال بكل ذكر يقصد به تعظيم الله تعالى كقوله الله أجلّ، أو الله أعظـــم، أو الحمـــد لله ولا إلـــه إلاّ الله وسبحان الله وبأي أسمائه شاء كقوله الرحمن أكبر، أو أجلّ، أو الـــرحيم أكبـــر أو أعظم، والقدوس أو الرب أعظم ونحوها، بقوله يا الله ارحمني، أو اللهم اغفرلي، أو بالله استعين، وقال أبو يوسف بألفاظ التكبير كقوله الله أكبر أو الله الكبير)[6].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٢٢٦/١ رقم ٨٥٧)، باب صلاة من لايقيم صلبه فـــي الركـــوع والسجود.

(٢) المبسوط للسرخسي: (٣٥/١).

(٣) البحر الرائق لإبن نجيم: (٣٢٣/١).

(٤) تحفة الفقهاء للسمر قندي :(١٢٣/١).

(٥) أي علماء الشافعية.

(٦) أي علماء الشافعية.

٨- **ومن الفروع الأخرى:** في التذكية الواجب في صفة التسمية هو ذكر الله تعالى، لقوله عزوجل: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾**[١]، لذا إذا قال الذابح عند شروعه بالذبح بسم الله والله أكبر فقد جاء بالوجه الأكمل، وإذا قال بسم الله فقط أو الله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، أو سبحان الله، أو لا إله إلاّ الله أجزأه ذلك عند المالكية، لأنه أتى بالواجب[٢] ووافقهم في هذا الحنيفة[٣].

وقال الشافعي: (فإن زاد شيئاً من ذكر الله فالزيادة خير فالأكمل أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم، ويسن في الأضحية أن يكبر قبل التسمية وبعدها ثلاثاً وأن يقول اللهم منك وإليك وأن يصلي على النبي (ﷺ) عند ذلك، لأنه كل شرع فيه ذكر الله فشرع فيه ذكر نبيه عليه السلام كالأذان والصلاة)[٤].

أما الحنابلة فقالوا بأن التسمية المعتبرة أن يقول الذابح بسم الله ولا يقوم غيرها مقامها؛ لأن المقصود ذكر اسم الله[٥]، وقد ثبت أن رسول الله (ﷺ) كان إذا ذبح قال ((**بسم الله والله أكبر**))[٦].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من الكتب الفقهية:

جاء في حاشية العدوي[٧]: (لا يشترط باسم الله؛ لأنه لو قال الله أكبر أو لا حول ولا قوة إلاّ بالله أو سبحان الله أجزأ، بل لو قال الله مقتصراً على لفظ الجلالة

---

(١) المجموع للنووي: (٢٤٩/٣).

(٢) سورة الأنعام: آيه (١٢١)

(٣) الفواكه الدواني للنفراوي: (٣٨٢/١).

(٤) البحر الرائق لإبن نجيم: (١٩٢/٨).

(٥) المغني لإبن قدامة: (٢٩٣/٩)، والإنصاف للمرداوي: (٣٩٩/١٠).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٢٦٠/٤ رقم ٧٥٧١)، كتاب الذبائح.

(٧) العدوي: هو أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي الملقب بالعدوي نسبة إلى بني عدي (بالقرب من منفلوط) حيث ولد، كان فقيهاً محققاً مجتهداً مالكي المذهب، من مصنفاته:=

أجزأ لأن الواجب ذكر الله)[1].

وجاء في الشرح الكبير: (والمراد بالتسمية ذكر الله من حيث هو لا خصوص باسم الله ولكنه الأفضل وكذا زيادة والله أكبر)[2].

وجاء في مواهب الجليل: (وإن قال بسم الله فقط أو الله أكبر فقط أو سبحان الله تسمية أجزأه وكل تسمية ولكن ما مضى عليه الناس أحسن وهو بسم الله والله كبر)[3].

وجاء في حاشية ابن عابدين: (في التسمية هو الذكر الخالص بأي اسم كان مقروناً بصفة كالله أكبر أو أجل أو أعظم أو كالله أو الرحمن وبالتهليل والتسبيح جهل التسمية أو لا بالعربية أو لا ولو قادراً عليها ويشترط كونها من الذابح لا من غيره)[4].

وجاء في مغني المحتاج: (ليس المراد بالتسمية خصوص هذا اللفظ بل لو قال الرحمن الرحيم كان حسناً)[5].

وجاء في المبدع: (أن يذكر اسم الله عند الذبح، وهو أن يقول بسم الله لا يقوم غيرها مقامها إلاّ الأخرس فإنه يومئ إلى، فحمل المطلق على المقيد وهو أن يقول بسم الله؛ لأن اطلاق التسمية تنصرف إليها ولو بغير العربية؛ لأن المقصود ذكر

=(حاشية على كفاية الطالب)، و (حاشية على شرح العزية للزرقاني) وغيرها، توفي- رحمه الله- في القاهرة سنة (١١٨٩هـ). ينظر: الأعلام للزركلي: (٢/٢١٤).

(١) حاشية العدوي: (١/٧٢٢).

(٢) الشرح الكبير للدردير: (٢/١٠٧).

(٣) مواهب الجليل للمغربي: (٣/٢١٩).

(٤) حاشية ابن عابدين: (٦/٣٠١).

(٥) مغني المحتاج للشربيني: (٤/٢٧٣).

اسم الله وقد حصل بخلاف التكبير والسلام فإن المقصود لفظه، ولا يقوم غيرها كالتسبيح والتهليل والتكبير مقامها)[١].

٩- **ومن الفروع الأخرى:** يستحب للمريض أن يصبر على مرضه كما نص على ذلك الشافعية والحنابلة، وكذا من به سقم وغيره من عوارض الأبدان، بترك التضجر وكثرة الشكوى[٢]؛ لقوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[٣] ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٤]، ولما روي ((**أن امرأة جاءت إلى رسول الله (ﷺ) فقالت يارسول الله ادع الله أن يشفيني فقال إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك، فقالت أصبر ولا حساب علي**))[٥].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من الكتب الفقهية:

جاء في كشاف القناع: (ويستحب له أي المريض أن يصبر وكذا كل مبتلى؛ للأمر به كما في قوله تعالى: ﴿**واصبر وما صبرك إلا بالله**﴾ وقوله (ﷺ): ((**والصبر ضياء**))[٦] والصبر الجميل صبر بلا شكوى إلى المخلوق والشكوى إلى الخالق لا تنافيه)[٧].

---

(١) المبدع لابن مفلح: (٩/٢٢٣).

(٢) ينظر: المهذب للشيرازي: (١/١٢٦)، والمغني لابن قدامة: (٢/١٦٠)، والمجموع للنووي: (٥/٩٦).

(٣) سورة النحل: آية (١٢٧).

(٤) سورة الزمر: آية (١٠).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه: (٧/١٦٩ رقم ٢٩٠٩)، ذكر تفضل الله على من امتحنه باللمم في الدنيا برفع الحساب عنه في العقبى إذا صبر على ذلك.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: (١/٢٠٣ رقم ٢٢٣)، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

(٧) كشاف القناع للبهوتي: (٢/٧٩).

وجاء في حاشية البجيرمي: (ويسن له- أي المريض- الصبر على المـرض أي ترك التضجر منه ويكره كثرة الشكوى نعم إن سأله نحو طبيب أو قريب أو صديق عن حاله فأخبره بما هو فيه من الشدة لا على صورة الجزع فلا بأس)[1].

وجاء في روضة الطالبين: (ويستحب له الصبر على المرض وترك الأنين ما أطاق)[2].

١٠- **ومن الفروع الأخرى:** ويسن للمسلم المصاب بالميت الصبر على مصيبته، كما نصَّ على ذلك جمهور الفقهاء[3]؛ لما روي عن النبي (ﷺ) **((أن بنتاً له أرسلت إليه تدعوه وتخبره أن ابنها في الموت، فقال (ﷺ) للرسول إرجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فالتصبر ولتحتسب))**[4] فيقول، المصاب: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها[5]، لحديث أم سلمة- رضي الله عنها- أن رسول الله (ﷺ) قال: **((من أصابته مصيبة فقال كما أمره الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها))**[6]. ويسن تعزية المصاب، أي حثه على التزام

---

(١) حاشية البجيرمي: (١/٤٤٧).

(٢) روضة الطالبين للنووي: (٢/٩٦).

(٣) المبدع لإن مفلح: (٢/٢٨٦)، وإعانة الطالبين للدمياطي: (٢/١٦٤).

(٤) رواه مسلم في صحيحه: (٢/٦٣٥ رقم ٩٢٣)، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت.

(٥) الروض المربع للبهوتي: (١/٣٥٦)، وحاشية الطحطاوي: (١/٤١٠).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢/٦٣٢ رقم ٩١٨)، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله.

الصبر واحتساب الأجر لما فيه من البر واظهار المحبة لأهل الميت[1]، لقوله (ﷺ) **((من عزى مصاباً له مثل أجره))**[2].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب الفقهية:

جاء في الروض المربع: (ويسن الصبر والرضى والإسترجاع فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون)[3].

وجاء في إعانة الطالبين: (ويندب الصبر على المصائب)[4].

وجاء في حاشية الطحطاوي: (وقد حث الشارع المصاب على الصبر والإحتساب وطلب الخلف عما تلف)[5].

وجاء في المحلى: (والصبر- أي للمصاب- واجب)[6].

وجاء في الفواكه الدواني: (وما يندب فعله من أهل الميت تعزيتهم وحملهم على الصبر والرضى بمصيبتهم)[7].

وجاء في روضة الطالبين: (معنى التعزية الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر والتحذير من الوزر)[8].

١١- ومن الفروع الأخرى: من أراد الصدقة بماله كله، فإن علم من نفسه حسن التوكل والصبر على المسألة فله ذلك، وإلا فلا يجوز، نص على ذلك جمهور

---

(١) المبدع لإبن مفلح: (٢/٢٨٦)، والتاج والإكليل للمواق: (٢/٢٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣/٣٨٥ رقم ١٠٧٣)، باب ما جاء في أجر من عزى مصاباً.

(٣) الروض المربع للبهوتي: (١/٣٥٧).

(٤) إعانة الطالبين للدمياطي: (٢/١٤٦).

(٥) حاشية الطحطاوي: (١/٤١٠).

(٦) المحلى لإبن حزم: (٥/١٤٦).

(٧) الفواكه الدواني للنفراوي: (١/٢٨٥).

(٨) روضة الطالبين للنووي: (٢/١٤٤).

العلماء لقوله تعالى: ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]، ولما روي عن أبي بكر الصديق (ﷺ) **((أنه جاء بجميع ما عنده فقال له النبي (ﷺ) ما أبقيت لإهلك فقال: الله ورسوله))**[2]، ثم قالوا: بأنه يكره لمن لا صبر له على الضيق ولا عادة له به أن ينقص نفسه عن الكفاية التامة؛ لأن التقتير والتضييق مع القدرة شح وبخل نهى الله عنه وتعوذ النبي (ﷺ) منه، وفيه سوء الظن بالله تعالى[3].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من كتب المذاهب:

جاء في حاشية ابن عابدين: (ومن أراد نظير بماله كله وهو يعلم من نفسه حسن التوكل والصبر عن المسألة فله ذلك، وإلا فلا يجوز ويكره لمن لا صبر له على الضيق أن ينقص نفقة نفسه عن الكفاية التامة)[4].

وجاء في المجموع: (وهل يستحب له نظير بجميع الفاضل عن دينه ونفقته ونفقة عياله وسائر مؤنهم؟ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: نعم، والثاني: لا، وأصحها إن صبر على الإضافة فنعم وإلا فلا، وبهذا قطع الجمهور[5])[6].

وجاء في المغني: (فإن كان الرجل وحده أو كان لمن يمون كنايتهم فأراد الصدقة بجميع ماله وكان ذا مكسب أو كان واثقاً من نفسه بحسن التوكل والصبر

---

(١) سورة الحشر: آية (٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (١/٥٧٤ رقم ١٥١٠).

(٣) الفروع لإبن مفلح: (٢/٤٩٠).

(٤) حاشية ابن عابدين: (٢/٣٥٧).

(٥) أي جمهور الشافعية.

(٦) المجموع للنووي: (٦/٢٢٩-٢٣٠).

على الفقر والتعفف عن المسألة فحسن، ويكره لمن لا صبر له على الإضافة أن ينقص نفسه من الكفاية التامة)[١].

وجاء في الروض المربع: (ومن أراد الصدقة بماله كله وله عائلة لهم كفاية أو يكفيهم بمكسب فله ذلك لقصة الصديق، وكذا لو كان وحده ويعلم من نفسه حسن التوكل والصبر على المسألة وإلاّ حرم)[٢].

١٢- **ومن الفروع الأخرى:** لو أزدحم جمع على بئر لا يمكن الإستقاء منها إلا بالمناوبة، أو كانوا عراة ليس معهم إلا ثوب يتناوبونه وعلم أن النوبة لا تصل إلا بعد الوقت فأنه لا يتيمم ولا يصلي عاريا بل يصبر ليتوضأ وليستر بعد الوقت، عند الحنفية والشافعية[٣].

وفيما يلي ذكر هذه المسألة من الكتب الفقهية:

جاء في البحر الرائق: (لو ازدحم جمع على بئر لا يمكن الإستقاء منها إلا بالمناوبة لضيق الموقف أو لاتحاد الآلة للإستقاء ونحو ذلك فإن كان يتوقع وصول النوبة إليه قبل خروج الوقت لم يجز له التيمم بالأتفاق وإن علم أنها لا تصير إلا بعد خروج الوقت يصبر عندنا[٤] ليتوضأ بعد الوقت، ولو كان جمع من العراة وليس معهم إلا ثوب يتناوبونه وعلم أن النوبة لا تصل إليه إلا بعد الوقت فأنه يصبر ولا يصلي عارياً)[٥].

---

(١) المغني لإبن قدامة: (٢/٣٦٨-٣٦٩).

(٢) الروض المربع للبهوتي: (١/٤٠٩).

(٣) المجموع للنووي: (٢/٢٧٥)، وحاشية ابن عابدين: (١/٢٣٣).

(٤) أي علماء الحنفية.

(٥) البحر الرائق لإبن نجيم: (١/١٤٧).

وجاء في روضة الطالبين: (أن يكون الماء حاضراً بأن يزدحم مسافرون على بئر لا يمكن أن يستقي منها إلا واحد بعد واحد لضيق الموقف أو اتحاد الآلة فأن توقع حصول نوبته قبل خروج الوقت لم يجز التيمم وإن علم أنها لا تحصل إلا بعد الوقت فنص الشافعي رحمه الله أنه يجب الصبر ليتوضأ، ونص في عراة معهم ثوب واحد يتناوبونه أنه يصبر ليستر بعد الوقت)[1].

المبحث الخامس

العلم

لا يستقيم الكلام عن التصوف وأهله وذكر أسسه وأركانه إلا بذكر العلم كأساس يدور عليه هذا الفن، فالتصوف- كما علمنا- هو التطبيق العملي للإسلام في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة، ولا يمكن للعمل أن يحقق فوائده بلا علم، إذ العلم أساس الأعمال وإمامها كما أنه لا فائدة للعلم بلا عمل فهما قرينان كمقارنة الروح والجسد، فلا نفع لأحدهما إلا بالآخر، ولهذا اعتبر اكتساب العلم الضروري من أهم النقاط الأساسية في المنهج العملي للتصوف[2].

ومن جانب آخر فإن العلم والعبادة جوهران لأجلهما خلقت السموات والأرض وما فيهما، وأنزلت الكتب وأرسلت الرسل، يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾[3] ويقول(عز ثناؤه): ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[4]، وكفى بهاتين الآيتين دليلاً على شرف العلم والعبادة

---

(١) روضة الطالبين للنووي: (٩٦/١).

(٢) ينظر حقائق عن التصوف لعيسى: ٧٠.

(٣) سورة الطلاق: آية (١٢).

(٤) سورة الذاريات: آية (٥٦).

ولزوم الأقبال عليها، ويعد العلم أشرف الجوهرين وأفضلهما، قال رسول الله (ﷺ): **((فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))**[1] وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: (مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة)[2]، وعلى هذا الأئمة الأربعة فإن مالكاً وأبا حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله- ذهبوا إلى أن الإشتغال بالعلم خير من الاشتغال بالنوافل[3].

ومع هذا فلابد للعبد من الجمع بين العلم والعبادة وإلا كان علمه هباءً منثوراً، فالعلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها، فالشرف للشجرة إذهي الإصل، ولكن الانتفاع يحصل بثمرتها، فلابد للعبد أن يكون له من كلا الأمرين حظ، يقول الحسن البصري (رحمه الله تعالى) (اطلبوا هذا العلم طلباً لا يضر بالعبادة، واطلبوا هذه العبادة طلباً لايضر بالعلم)[4].

ومما يجب على العبد معرفته هو أن العلم أولى بالتقديم لامحالة، لأنه الأصل والدليل، والعبادة نابعة له، وإنما صار العلم أصلاً متبوعاً يلزم تقدمه على العبادة لأمرين[5]:

أحدهما: لتحصل العبادة وتسلم، فيجب على العبد أولاً أن يعرف المعبود ثم يعبده إذ كيف يعبده وهو لا يعرف أسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته، فربما يعتقد فيه وفي صفاته شيئاً مما يخالف الحق، فتكون عبادته هباءً منثوراً، كما يجب عليه أن يعلم ما يلزمه فعله من الواجبات الشرعية، ليفعلها، وما

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٧/٣ رقم ٣٦٤١)، كتاب العلم/ باب الحث على طلب العلم.

(٢) تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدرآباد- الهند/ ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م/ ج١/ ص٤١.

(٣) ينظر: رسالة المسترشدين للمحاسبي: (ص٢٣٠ هامش رقم ٣)

(٤) منهاج العابدين للغزالي: ٦٠

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠-٦٤

يلزمه تركه من المناهي، ليتركها، فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلاة والصوم وغيرها، يجب أن يعلمها بأحكامها وشرائطها، حتى يقيمها فقد يكون مقيماً على شيء سنين وأزماناً مما يفسد طهارته وصلواته وهو لا يشعر بذلك، وربما يعترض له مشكل ولا يجد من يسأله عنها.

ثم مدار هذا الشأن أيضاً على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب، فيجب أن يعلمها من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة والاخلاص، كما يجب أن يعلم مناهيها التي هي اضدادها كالسخط، والأمل والرياء والكبر والعجب، ليتجنبها، فإنها فرائض نص الله تعالى على الأمربها والنهي عن أضدادها في كتابه العزيز، فمن لم يعلم هذه المساعي الباطنة ووجوه تأثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الإحتراز منها وحفظ العمل عنها، فقلما يسلم له عمل الظاهر أيضاً، فتفوته طاعات الظاهر والباطن فلا يبقى في يده غير الشقاء والكد وهذا هو الخسران المبين، وبهذا يتبين لنا أن الطاعة لا تحصل للعبد ولا تسلم له إلا بالعلم، فيلزم إذا تقديمه في شأن العبادة.

الأمر الثاني: ان العلم النافع يثمر خشيه الله تعالى ومهابته، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**(1) وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته، ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته، فبالعلم يعرفه ويعظمه ويهابه، فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها.

وللعلم ثمار أخرى بينها أحد المشايخ بقوله: (ثمرة العلم أربعة: أحدها فيما بينه وبين الله تعالى وهو الخشية، والثاني فيما بينه وبين الخالق وهو الشفعة،

---

(1) سورة فاطر: آية (28).

والثالث فيما بينه وبين نفسه وهو الصبر، والرابع فيما بينه وبين دنياه وهو الزهد)[1].

وينقسم العلم من حيث حكمه الشرعي إلى ثلاثة أقسام:مأمور به، ومنهي عنه، ومندوب إليه، فأما العلوم المأمور بها فهي صنفان:

الأول: فرض عين، وهو ما يجب على كل مكلف القيام به بنفسه وهو في الجملة ثلاثة: علم التوحيد، وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب ومساعيه، وعلم الشريعة، فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما يعرف به العبد أصول الدين وهو أن يعلم أن له إلها عالماً قادراً حياً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً واحداً لاشريك له متصفاً بصفات الكمال، منزهاً عن دلالات الحدوث، منفرداً بالقدم عن كل محدث، وأن محمداً (ﷺ) عبده ورسوله، الصادق فيما جاء به عن الله سبحانه، وفيما ورد على لسانه من أمور الآخرة، وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ تركه.

وأما ما يتعين من علم الشريعة، فكل ما يتعين فرض فعله تجب معرفته لتأديته كالطهارة والصلاة والصيام، أما الحج والزكاة والجهاد فإن تعينت وجب علمها لتأديتها وإلا فلا،ومن تعاطى شيئاً من المعاملات كالبيوع والأجارة والنكاح والطلاق يفترض عليه تعلم ما يتمكن معه من تجنب الحرام والتزام حدود الشرع[2].

الصنف الثاني: فرض كفاية، وهو ما إذا قام به البعض سقط التكليف عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد فالكل آثمون، فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب، فإنه ضروري

(١) تهذيب خالصة الحقائق للفاربي: (١/٥٣-٥٤)

(٢) ينظر: منهاج العابدين للغزالي: ٦٤-٦٥، وحقائق عن التصوف لعيسى: ٧٢-٧٣

في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها، فهذه العلوم لوخلا أهل بلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، وكذا أصول الصناعات فهي من فروض الكفايات أيضاً كالفلاحة والحياكة والخياطة(١).

ومن صور فروض الكفاية أن يتوفر في كل بلد مـن يعـرف فـروع علـم التوحيد ودقائقه، والإتيان على جميع مسائله، والتي تمكنه من أن ينقض بها جميـع ملل الكفر ويلزمهم حجة الإسلام، كما يلزم أن يتوفر في كل بلد داعٍ من دعاة أهل السنة يحلُّ الشبه، ويرد على أهل البدع، ويشتغل بهذا العلم، ويصفي قلـوب أهـل الحق عن وساوس المبتدعة، ليسقط الفرض عمن سواه، وكذا فـي معرفـة سـائر أبواب الفقه من البيوع والإجارات والنكاح والطلاق والجنايات لو علمها فرد سـقط الفرض عن الباقين(٢).

وأما القسم الثاني من العلم وهي العلوم المنهي عنها فمنها ما يكون مؤدياً الى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كالسحر والطلمسات والتلبيسات، ومنها مـا يكـون مضراً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم،فأنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هـو قسمان: قسم حسابي، وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محـسوب إذ قـال عز وجل: **﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾**(٣)

القسم الثاني: الأحكام، وحاصله يرجع إلى الإستدلال على الحوادث بالأسباب وهو معرفة مجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه وهو منهي عنه، قال عمر بـن الخطاب (ﷺ): (تعلموا من هذه النجوم ما تهتدون به في ظلمة البـر والبحـر ثـم

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (٢٧/١)، ومختصر منهاج القاصدين للمقدسـي: ١١-١٢ وحقائق عن التصوف: ٧٣.

(٢) ينظر: منهاج العابدين للغزالي: ٦٥.

(٣) سورة الرحمن: آية (٥)

أمسكوا)[١]، ومنها الخوض في دراسة المذاهب الضالة والأفكار المشككة والعقائد الزائغة لابنية الرد عليها ودفع خطرها[٢].

والقسم الثالث: هي العلوم الندوب إليها، ومنها معرفة فضائل الأعمال البدنية والقلبية، ومعرفة النوافل والسنن والمكروهات، ومعرفة فروض الكفايات والتعمق في علوم الفقه وفروعها والعقائد وأدلتها التفصيلية[٣].

والخوض في علوم الآخرة يكسب أهله صفاتاً منها أن يعلموا أن الدنيا حقيرة، وأن الآخرة شريفة وإنهما كالضرتين، فهم يؤثرون الآخرة، ولا تخالف أفعالهم أقوالهم، ويكون ميلهم الى العلم النافع في الآخره ويجتنبون العلوم التي يقل نفعها، ويكثر بحثهم عن أسرار الأعمال الشريعة والملاحظة لحكمها، فإن عجزوا عن الاطلاع على العلة كفاهم التسليم للشرع، كما يعرفون بشدة اتباعهم للصحابة وخيار التابعين(رضوان الله عليهم)، وعدم الشرع الى الفتوى، وعدم الإفتاء إلا بما يتيقنون صحته[٤].

وبعد الكلام عن مبحث العلم وأقسامه في علم التصوف، نشرع الآن في بيان أثره في العبادات، والذي يتضح لنا من خلال ما ذكره الامام ابن تيمية- رحمه الله- من مسائل فقهية، يمكننا تلخيصها بالنقاط الآتية:

١- (أما عدد الصلوات المكتوبات وعدد ركعاتها في حق المقيم الآمن فهو من باب العلم العام الذي توارثته الأمة خلفاً عن سلف عن رسول الله (ﷺ) المبلغ عن

---

(١) مصنف ابن شيبة: (٥/٢٤٠ رقم ٢٥٦٤٩)، في تعليم النجوم ما قالوا فيها

(٢) ينظر إحياء علوم الدين للغزالي (١/٤١)، ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ١١، وحقائق عن التصوف لعيسى: ٧٤.

(٣) ينظر: حقائق عن التصوف لعيسى: ٧٤.

(٤) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ١٧-١٨.

الله والمبين عنه معاني خطابه وتأويل كلامه الشارع عن الله بإذنه وبما أنزل إليه من الكتاب والحكمة)[1].

٢- (إن المحرم يحرم عليه ابتداء الطيب بإجماع المسلمين وهذا من العلم العام وقد قال النبي (ﷺ) في المحرم الذي أوقصته ناقته **((ولا تخمروا رأسه ولا تقربوه طيباً فإنه يبعث يوم القيامه ملبياً))**[2])[3].

٣- (إن الطائف يبتدء في مروره بوجه الكعبة فإذا استلم الحجر الأسود أخذ إلى جهة يمنيه فيصير البيت عن يساره ويكمل سبعة أطواف وهذا هو من العلم العام والسنة المتواترة الذي تلقته الأمة عن نبيها وتوارثته فيما بينها خلفاً عن سلف وهو من تفسير رسول الله (ﷺ) معنى قوله تعالى: **﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾**[4] وقوله: **﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**[5])[6].

٤- (أنه يرمي- أي الحاج- كل حجرة بسبع حصيات كما في حجرة العقبة وهذا من العلم العام والسنة المتواترة، قال رسول الله (ﷺ): **((الأستجمار توّ ورمي الحجار توّ والسعي بين الصفا والمروة توّ والطواف توّ وإذا استجمر أحدكم فلسيتجمر بتوٍ يعني الوتر**[7]**))**[8].

(١) شرح العمدة لأبن تيمية: (٤/٣٣).

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه: (٢/٨٦٥ رقم ١٢٠٦) باب جواز غسل المحرم بدنه ورأسه.

(٣) شرح العمدة: (٣/٧٨).

(٤) سورة البقرة: آية (١٢٥).

(٥) سورة الحج: آية (٢٩)

(٦) شرح العمدة: (٣/٤٣٩).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢/٩٤٥ رقم ١٣٠٠) باب بيان أن حصي الجمار سبع.

(٨) شرح العمدة: (٣/٥٥٨).

٥- (إن الحاج يرمي الجمرات الثلاث أيام منى الثلاثة بعد الزوال وهذا من العلم العام الذي تناقلته الأمة خلفاً عن سلف عن نبيها (ﷺ) عن عائشة قالت: ((**أفاض رسول الله (ﷺ) من آخر يومه حين صلى الظهر ثم إلى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف، عند الأول وعند الثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة ولا يقف عندها**[١])))[٢].

٦- (أن يبتدء- أي الحاج- بالجمرة الأولى وهي أقربهن إلى مسجد الحيف[٣]، وهي الجمرة الصغرى والجمرة الثانية وهي الجمرة الوسطى ثم بجمرة العقبة وهي الجمرة الكبرى وهذا من العلم العام)[٤].

٧- (والموجب له- أي الغسل- شيئان خروج المني وهو الماء الدافق والتقاء الختانين، وهذا من العلم العام الذي استفاضت به السنن واجتمعت عليه الأمة)[٥].

٨- (أما في السفر فقد سافر رسول الله (ﷺ)، قريباً من ثلاثين سفرة وكان يصلي ركعتين في أسفاره ولم ينقل عنه أحد من أهل العلم أنه صلى في السفر الفرض أربعاً قط حتى حجة الوداع وهي آخر أسفاره كان يصلي بالمسلمين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٢٣/٢ رقم ١٦٦٤) باب من رمى حجرة العقبة ولم يقف.

(٢) شرح العمدة: (٥٥٩/٣).

(٣) الحيف: هو ما ارتفع من مجرى السيل وانحدر، وهو مسجد منى، سمي بذلك لأنه في سفح جبلها. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٩٣/٢).

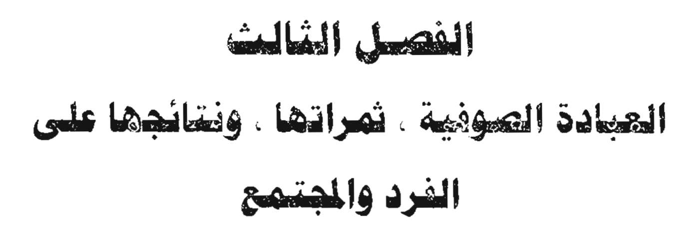
(٤) شرح العمدة: (٥٥٩/٣).

(٥) المصدر نفسه: (٣٥١/١).

بمنى الصلوات ركعتين ركعتين[1] وهذا من العلم العام المستفيض المتواتر الذي اتفق على نقله عنه جميع أصحابه ومن أخذ العلم عنهم)[2].

(١) روى مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله (ﷺ) (أنه صلى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين). صحيح مسلم: (٤٨٢/١ رقم ٦٩٤)، باب قصر الصلاة بمنى.

(٢) كتب ورسائل وفتاوى أبن تيمية في الفقه: (٧٨/٢٢).



الفصل الثالث

العبادة الصوفية ، ثمراتها ، ونتائجها على الفرد والمجتمع

ويشتمل على :

المبحث الأول: حقيقة العبادة الصوفية.

المطلب الأول: مفهوم العبادة في التصوف.

المطلب الثاني: درجة الإيمان الموصلة للعبادة الصوفية .

المطلب الثالث: كيفية العبادة الصوفية .

المبحث الثاني ثمرات العبادة الصوفية .

المبحث الثالث : آثار العبادة الصوفية على الفرد والمجتمع .

المبحث الأول

حقيقة العبادة الصوفية

المطلب الأول: مفهوم العبادة في التصوف

للعبادة في التصوف مفهوم يتميز عن المفاهيم التي تعارف عليها عامة الناس، وقد حصل هذا التميز نتيجة لاختلاف المنطلق الداعي للعبادة، فالصوفية لم يعبدوا الله (عز وجل) خوفاً من عذابه وناره، أو طمعاً في نعيمه وجنته، وإنما كانت محبتهم له سبحانه والتي وصلت إلى أعلى الدرجات، وعلمهم بأن السعادة الحقيقية إنما تكون في الإنضواء تحت اللواء الإلهي والدخول في الساحات الربانية، هو الدافع لأن يجعل العبادة قرة عيونهم وغذاء أرواحهم وراحة قلوبهم التي لا يصبرون على فراقها، فطبعوا حياتهم بطابع العبادة، وجعلوا جميع أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم بل وأنفاسهم عبادة؛ استدامة لصلتهم بالله تعالى، فكانت حياتهم ملئى بشتى صور العبادات من الصلاة والصيام والحج والتلاوة والذكر والإستغفار والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، وتطبيق الأخلاق الإسلامية المحمدية من محبة الله ورسوله والإخلاص في الدين والصبر على البلاء والشكر على النعم، والصدق والأمانة والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، من غير انتظار مقابل من أجر وثواب، فالعبادة عندهم هي إتيان ما وظّف الله على شرط الواجب من غير مطالبة عوض[1]، يقول بعض المشايخ: (احذر أيها المريد أن يكون قصدك من ذكرك وعبادتك الأجر والثواب، فإن ذلك حاصل لك لا محالة، وإنما ينبغي أن تكون همتك في التلذذ بمناجاته، والفوز بمجالسته، فإنَّ من عزم على مجالسة السلطان لا ينبغي له الإهتمام بما يأكل ويشرب ما دام في خدمته)[2]

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٥٩.

(٢) الأنوار القدسية للشعراني: ١٧٩.

ولهذا كانت جميع عباداتهم تؤدى بغاية الخشوع والخضوع لله تعالى والتضرع له سبحانه والخوف الدائم منه.

لقد وجد الصوفية في العبادة ما يخفف عليهم شدة شوقهم لخالقهم، فكانت للصلاة عندهم مكانة تميزت عن سائر العبادات؛ لما يجتمع فيها من التكبير والذكر والتلاوة والدعاء والإتصال بالله تعالى والإنقطاع عمّا، سواه ومناجاته سبحانه، فيؤدونها بغاية الخشوع وحضور القلب والتفهم لمعنى الكلام والتعظيم والهيبة لله، مسرورين فرحين لاتصالهم بمن أحبوه، يقول الجنيد (رحمه الله تعالى): (لا يكون همك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسرور بالإتصال بمن لا وسيلة إليه إلاّ به)[1] ومما روي عن أحوالهم في الصلاة قول بعض الصالحين: (صليتُ العصر خلف ذي النون، فلما أراد أن يكبِّر رفع يديه وقال: الله، فبُهِتَ! فبقي كأنه جسد ليس فيه روح، إعظاماً لربه، ثم قال: أكبر، فظننتُ أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره)[2]، كما حُكي أن عتبة الغلام[3](رحمه الله تعالى) كان إذا قام إلى الصلاة يعرق بدنه في الصيف والشتاء ويتقاطر، فقيل له في ذلك فقال: حياءً من الله[4]، وأمثال ذلك كثير.

والصلاة عند القوم لا تقتصر على ما افتُرِض على الجوارح الظاهرة، بل افترضوا على قلوبهم صلاة مؤبدة يؤدونها في كل حين هي صلاة الطريقة، ومسجدها القلب، وجماعتها اجتماع قوى الباطن على الإشتغال بأسماء التوحيد

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف: ١٦٠.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق للفارياني: (١/١٨٣-١٨٤).

(٣) الغلام: هو عتبة بن أبان بن صمعة البصري، الزاهد الخاشع الخائف، كان يُشبَّه في حزنه بالحسن البصري، وكان من نسّاك البصرة، ولقب بالغلام؛ لجده واجتهاده لا لصغر سنه. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (٧/٦٢)، وصفه الصفوة لإبن الجوزي: (٣/٣٧٠).

(٤) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/١٨٨).

بلسان الباطن، وإمامها الشوق في الفؤاد،وقبلتها الحضرة الأحدية وجمال الصمدية وهي قبلة الحقيقة، والقلب والروح مشغولان بهذه الصلاة على الدوام[1].

واهتمامهم بالصلاة لا يعني أنهم قصّروا في بقية العبادات، بل نجدهم قد اعطوا كل عبادة حقها على أكمل وجه، فصومهم مثلاً لم يقتصر على اجتناب المطاعم والمشارب والمناكح، وإنما شمل صوم الروح بأن قطعوا الأمل، وصوم العقل بأن خالفوا الهوى، وصوم القلب بأن باعدوا الهضم الدنية والأفكار الدنيوية والكف عما سوى الله (عز وجل) بالكلية، وهذا ما يعرف بصوم خصوص الخصوص[2]، ذلك أن معنى الصوم عندهم هو الغيبة عن رؤية الخَلْق برؤية الحق (عز وجل) فلا يستجيزون في صومهم أن يشغلهم عنه سبحانه شاغل أو يقطعهم قاطع[3]، فهو صوم الحقيقة[4].

وكان شيوخ التصوف كثيراً ما يوصون بالصوم؛ لما فيه من عظيم الفائدة على صاحبه، يقول بشر الحافي (رحمه الله تعالى): (الجوع يصفّي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق)[5]، وحُكي عن الداراني (رحمه الله تعالى) أنه قال: (عليك بالجوع، فإنه مذلة للنفوس، ورقة للقلوب، يورث العلم السماوي)[6] فمن

---

(١) ينظر: سر الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ)/ص٨٤.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/٢٧٧)، ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٣٠.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٦١.

(٤) ويراد به إمساك الفؤاد عن محبة ماسوى الله تعالى، وإمساك السر عن محبة مشاهدة غير الله تعالى، فليس له سواه محبوب ومرغوب ومطلوب في الدنيا والآخرة، فإذا وقعت فيه محبة غير الله فسد صوم الحقيقة، وله قضاء صومه، بأن يرجع إلى الله تعالى. ينظر: سر الأسرار للجيلاني: ٩١.

(٥) عوارف المعارف للسهروردي:١٩٣.

(٦) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٢١٨).

جملة ما عرفوا عن النفس الإنسانية، علمهم بأن الشبع يقوي النفس على صاحبها، والمداومة عليه تقسي القلب، فيكون صيداً سهلاً للشيطان ووساوسه، يقول يحيى بن معاذ (رحمه الله تعالى): (الشبع نهر في النفس ترده الشياطين، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة، وينهزم الشيطان من جائع نائم، فكيف إذا كان قائماً، ويعانق الشيطان شبعاناً قائماً فكيف إذا كان نائماً، فقلب المريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب)[1] ولذلك اعتبر شقيق البلخي(رحمه الله تعالى) الجوع آلة للعبادة فقال: (العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها الجوع)[2].

وفي الحج فإن أولى اهتماماتهم هي التوجه إلى بيت الله الحرام بأي وجه يجدون إليه السبيل والإستطاعة، باذلين في ذلك مهجتهم من دون الركون إلى طلب الرخصة في الجلوس عن الحج لا نعدام الزاد والراحلة؛ لأن من آدابهم أن يتمكسوا بالأحوط في الفرائض، ويأخذوا بالأتم من علم الشريعة[3].

أما الزكاة فإن الله تعالى قد زوى عنهم من أموال الدنيا ما يجب عليهم فيه الزكاة والصدقة، إلاّ أنهم جعلوا زكاة على حسناتهم، وهي إعطاء ثواب كسب الآخرة للعاصين؛ لرضاء الله تعالى، مثل ثواب الصلاة والحج والصوم وثواب التسبيح والتهليل وتلاوة القرآن والسخاوة وغير ذلك من الحسنات، فلا يبقي لنفسه شيئاً من ثواب حسناته؛ لأن الله تعالى يحب السخاوة والكرم، والصوفي لا يملك من المال ما يعطيه لغيره فيستعيض عن ذلك بماله من الحسنات لا منّة ولا طلب عوض في الدنيا[4].

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي: ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٤.

(٣) ينظر: اللمع للطوسي: ١٦٦-١٦٧.

(٤) ينظر: اللمع للطوسي: ١٥٧، وسر الأسرار للجيلاني: ٨٨- ٨٩.

كما بينوا أن في كل عضو في الجسم زكاة، فزكاة العين (كما يقول بشر الحافي رحمه الله تعالى) النظر بالعبرة، وزكاة اللسان كلمة الفطرة: لا إله إلا الله، وزكاة الحلق أن ينزّه عن الحرام والشبهة، وزكاة الوجه تعفيره بالسجدة بين يدي رب العزة، وزكاة اليدين رفعهما عند الحاجة بإظهار الخشوع والمسكنة، وزكاة الرجلين المشي بهما إلى طاعات، وزكاة القلب الوفاء بشرائط المعرفة، وزكاة السر حفظ حدود المحبة[1].

وهكذا نجد أن مفهوم العبادة في التصوف يسمو فوق كل المفاهيم، فأهل التصوف قد جاهدوا نفوسهم وهذبوها حتى انتفت عنها أكدارها وأدرانها، وارتقت في مستواها، ونالت من ربها الرحمة والرضوان، فأصبح أهلها لا يجدون في العبادة تكليفاً عليهم، بل لذة تملأ قلوبهم راحة وبهجة. رحمهم الله تعالى ونفعنا بعلمهم وجلعنا من السائرين على دربهم إنه هو السميع العليم.

المطلب الثاني

درجة الإيمان الموصلة للبعادة الصوفية

إن ما توصل إليه أهل التصوف من مفهوم للعبادة لا يمكن أن يدرك إلاّ بدرجة عالية من الإيمان، فالإيمان درجات، ومع كل درجة يصل إليها الإنسان يرتقي عنده مفهوم العبادة عمّا كان عليه في الدرجة السابقة، وهذا هو حال شيوخ التصوف، فهم (رحمهم الله) أخذوا يواصلون العبادة الليل بالنهار بإخلاص نقي عن الشوائب قلباً وقالباً حتى صار الإيمان عندهم (أن يكون الكل منك متسجيباً في الدعوة مع حذف خواطر الإنصراف عن الله بسرك، فتكون شاهداً لما له، غائباً عما ليس له)[2] وهذا هو تمام اليقين والذي أثمر في قلوبهم التوكل على الله (عز

(١) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/١٩٤).

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ٩٤.

وجل) والخوف منه سبحانه سراً وعلانية، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (ﷺ) رسولاً وقدوة، والشعور بقرب الله (تبارك وتعالى) فداوموا على استحضار هيبته في قلوبهم وآثروا محبته سبحانه على محبة ما سواه، ثم الحب في الله والبغض فيه، وجعلوا جميع حركاتهم وسكناتهم لوجهه(١)، فاليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، ومتى ما وصل إلى القلب امتلا نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهمٍّ وغم، وامتلأ محبة لله وخوفاً منه ورضى به وشكراً له وتوكلاً عليه وإنابة إليه، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، فهو روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهذا الذي يحمل السائرين إلى الله، ولولاه ما سار ركب إلى الله، ولا ثبت لأحد قدم في السلوك إلاّ به(٢).

وتتنوع أقوال العارفين في تعريف اليقين، فيعرفه السري السقطي(رحمه الله تعالى) بقوله: (اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك، لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك، ولا ترد عنك مقضياً)(٣)، ويعرفه الجنيد (رحمه الله تعالى) بقوله (اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول، ولا يتغير في القلب)(٤)، ويقول أبو بكر الوراق(٥)(رحمه الله تعالى) فيه (اليقين ملاك القلب، وبه كمال

---

(١) ينظر: معالم الطريق إلى الله للمنوفي: ١٢٤.

(٢) ينظر: مدارج السالكين لإبن القيم: (٢/٤١٣-٤١٤).

(٣) مدارج السالكين لإبن القيم: (٢/٤١٥).

(٤) الرسالة القشيرية: ١٤٢.

(٥) الوراق: هو أبو بكر محمد بن الفضل الورّاق الترمذي، من شيوخ الصوفية وكبارهم، أصله من ترمذ وأقام ببلخ، لقي أحمد بن خضرويه، وصحب محمد بن سعد الزاهد، ومحمد بن عمر البلخي، له تصانيف مشهورة في الرياضات والأدب والمعاملات. ينظر: حلية الأولياء=

الإيمان، وباليقين عُرف الله، وبالعقل عُقل عن الله)[1]، ويرى بعض المشايخ أن حدَّ اليقين هو دوام انتصاب القلوب لله (عز وجل) بما أورد عليها اليقيُن من حركات ما لاقى به الإلهام[2].

واختلفوا في اليقين هل هو كسبي أم وهبي؟ فأشار بعضهم إلى كونه وهبي بأن عرّفه بقوله: هو العلم المستودع في القلوب، بينما فُهم من التستري (رحمه الله تعالى) بأنه كسبي، حيث عرّفه بقوله: اليقين من زيادة الإيمان، ولا ريب أن الإيمان كسبي، والصواب أنه كسبي باعتبار أسبابه، وهبي باعتبار نفسه وذاته[3]، فالعمل هو الذي يوصل الإنسان إلى درجة اليقين بأن يقطع كل سبب بينه وبين الله تعالى من العرش إلى الثرى، ويكون مراده الله تعالى لا غير، ويؤثر رضاه على كل شيء سواه[4].

ولليقين علامات يعرف منها هي: قلة مخالطة الناس في العشرة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المنع، ومن علامات يقين اليقين: النظر إلى الله تعالى في كل شي، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال، وأن لا يساكن قلباً فيه سكون إلى غير الله[5].

=للاصفهاني: (١/٢٣٥- ٢٣٧) والطبقات الكبرى للشعراني: (١/٩١)، وصفة الصفوة لإبن الجوزي: (٤/١٤٤).

(١) الرسالة القشيرية: ١٤٣.

(٢) اللمع للطوسي: ٧١.

(٣) ينظر: مدارج السالكين لإبن الجوزي: (٢/٤١٤).

(٤) ينظر: اللمع للطوسي: ٧١.

(٥) ينظر: الرسالة القشيرية: ١٤٢، وتهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٥١٧).

وأول اليقين كما يقول التستري (رحمه الله تعالى) المكاشفة[1] ثم المعاينة والمشاهدة، ويقاربه في ذلك قول الوراق (رحمه الله تعالى): اليقين على ثلاثة أوجه: يقين خبر، ويقين دلالة ويقين مشاهدة[2]، فيقين الخبر هو سكون القلب إلى خبر المخبر وتوثقه به، ويقين الدلالة فوقه وهو أن يقيم له- مع توثقه بصدقه- الأدلة الدالة على ما أخبر به، ويقين المكاشفة أعلاها وهو أن يصير المخبر به لقلوبهم كالمرئي لعيونهم، فنسبة الإيمان بالغيب حينئذ إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، وهذا أعلى أنواع المكاشفة كما قال بعض السلف (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً)[3].

وقد حث النبي (ﷺ) على السعي لتحصيل اليقين؛ لما فيه من الخير، حيث قال: ((**يا أيها الناس، إن الناس لم يعطوا في الدنيا خيراً من اليقين والمعافاة، فسلوهما الله- عز وجل-**))[4]، وقد بيّن الله تعالى نوع الخير بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[5]، وقد وجد أهل التصوف أفضل الطرق لبلوغ درجة اليقين، وذلك بتزكية النفس والإخلاص في عبادته سبحانه، وذكره باللسان

---

(١) المكاشفة: هي ظهور الشيء للقلب بحيث تصير نسبته إليه كنسبة المرئي إلى العين، فلا يبقى معه شك ولا ريب أصلاً، وهذا نهاية الإيمان، وهو مقام الإحسان، وعلى ثلاثة أوجه: مكاشفة في الأخبار، ومكاشفة بإظهار القدرة، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان. ينظر: مدارج السلاكين لإبن القيم: (٢/٤١٥).

(٢) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٥١٨).

(٣) ينظر: مدارج السلاكين لإبن القيم: (٢/٤١٦).

(٤) رواه أحمد في مسنده: (١/٨)، وأورده الحاكم في المستدرك: (١/٥٢٩) بلفظ اليقين خير من العافية) وقال عنه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) سورة البقرة: الآيتان: (٤/٥).

والقلب، سابقاً ذلك بتوبة نصوح تجعله مستمراً في طاعة الله- تبارك وتعالى- حتى يشرح الله صدره بنوره ويصبح القلب بصيراً، فتزاح الأستار عن الأسرار ويشهد اليقين من الإيمان[1].

ويتعلق باليقين جملة أمور أهمها[2]:

أ- التوحيد: وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها، فالمصدق بهذا موقن.

ب- الثقة بضمان الرزق له من الله سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾[3] واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قُدِّر له سيساق إليه، ومهما غلب ذلك على قلبه، كان مجملاً على الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته، وأثمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة، وقد روي في ذلك عن أحد المشايخ أنه قال: رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد، فقلت: إن لم يكن معه يقين فقد هلك، فقلت: يا غلام، في مثل هذا الموضع بلا زاد! فقال: يا شيخ، ارفع رأسك هل ترى غير الله- عز وجل؟ فقلت: الآن اذهب حيث شئت[4].

جـ- أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وهو اليقين بالثواب والعقاب، حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع، ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك، فكما يحرص على تحصيل الخبز طلباً للشبع فيحفظ قليله وكثيره،

---

(١) ينظر: ما هو التصوف للنقشبندي: ٨١.

(٢) ينظر إحياء علوم الدين للغزالي: (١/٩٠).

(٣) سورة هود: آية (٦).

(٤) الرسالة القشيرية: ١٤٣.

فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها، فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها، فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين، أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ.

د- اليقين بأن الله تعالى مطلع عليه في كل حال، ومشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره وفكره، فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك، وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون، وثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدباً في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لا يزال مطرقاً متأدباً في جميع أعماله متماسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب، ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة، إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره، فتكون مبالغته في عمارة باطنة وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس، وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والإنكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة التي بدروها تورث أنواعاً رفيعة من الطاعات.

ولقد تيقنت قلوب أهل التصوف بهذه المعاني وأصبحت عندهم حقيقة لا يعتريها الشك، فاستنارت أرواحهم بنور اليقين الذي نما في قلوبهم كشجرة تتدلى منها أغصان الاخلاق الزاهية بثمار الطاعات والعبادات التي أنارت طريق سيرهم إلى الله (عز وجل).

وللإيمان في كل فرع من فروعه علوم تعرف بعلوم القلوب، ولهذه العلوم وصف خاص ووصف عام، فالوصف العام هو علم اليقين، وقد يتوصل إليه بالنظر والإستدلال، ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة، والوصف الخاص يختص به علماء الآخرة، وهي السكينة التي أنزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، فبالنظر إلى الوصف الخاص يكون اليقين ومراتبه من الإيمان، وبالنظر إلى وصفه العام يكون اليقين زيادة على الإيمان، والمشاهدة وصف خاص في اليقين، وهو عين اليقين، وفي عين اليقين وصف خاص هو حق اليقين، ونعلم من ذلك أن حق اليقين أعلى من المشاهدة، وموطنه ومستقره في الآخرة، وفي الدنيا منه لمح يسير لأهله، وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله؛ لأنه وجدان، فصارت نسبة علم الصوفية وزهّاد العلماء إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة تفاضل علم الوراثة على علم الدراسة[1].

ومما تقدم نعلم أن اليقين على ثلاث درجات:

الأولى: علم اليقين: وهو قبول ما ظهر من الحق- من اوامرٍ ونواهٍ وشرع ودين على ألسنة رسله- وقبول ما غاب للحق- من الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله كالجنة والنار والصراط والميزان، والوقوف على ما قام بالحق سبحانه- من أسمائه وصفاته وأفعاله ونعوت كماله وتوحيده[2]- وقد يحصل هذا العلم بالبراهين والنظر والإستدلال العقلي[3].

---

(١) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ٣٠.

(٢) مدارج السالكين لإبن القيم: (٤١٨/٢).

(٣) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ٣١٠، والسير والسلوك للخاني: ٥٠، وسراج الطالبين للكديري: (٤٥/١).

الثانية: عين اليقين: وهو المغني بالإستدلال عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيـان، وخرق الشهود[1] حجابَ العلم، فصاحبه مستغنٍ عن طلب الـدليل؛ لكونـه مشاهد للمدلول بإدراكه وكشفه، بعد أن أصبحت الشهود عنده خارقة لحجاب العلم، ومفضية إلى المعلوم بالمعاينة، ولا يكون ذلك إلاّ لخواص الأولياء[2].

الثالثة: حق اليقين: وهو إسفار صبح الكشف، ثم الخلاص من كلفـة اليقـين، ثـم الفناء في حق اليقين، بحيث يشاهد العيوب كما يـشاهد المرئيـات مـشاهدة عيان، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق، وهذه الدرجة لا تنال في هذا العالم إلاّ للرسل (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فنبينا (ﷺ) رأى بعينه الجنة والنار، وموسى(عليه السلام) سمع كلام الله تعالى منه إليه بلا واسطة وكلّمه تكليماً، أما غير الأنبياء من الأولياء والصالحين فقد يحصل لهم حق اليقـين من مرتبة، وهي ذوق ما أخبر به الرسول (ﷺ) من حقائق الإيمان المتعلقـة بالقلوب وأعمالها، فإن القلب إذا باشرها وذاقها صارت في حقه حق اليقـين أما أمور الآخرة كالمعاد ورؤية الله (عز وجل) جهرة عياناً، وسماع كلامـه حقيقة بلا واسطة، فحظ المؤمن منه في هذه الدار: الإيمان وعلم اليقين، أما حق اليقين فيتأخر إلى وقت اللقاء، ولكن لمّا كان السالك ينتهي إلـى الفنـاء عن الصفات الخُلقية الذميمة، فعندئذ يغلب نوره على ظلمة ليـل الحجـاب فيتخلص من كلفة اليقين، فاليقين له حقوق يجب على صـاحبه أن يؤديهـا ويقوم بها ويتحمل كُلَفها ومشاقها، فإذا فني في التوحيد حـصل لـه أمـور أخرى رفيعة عالية يصير فيها محمولاً بعد أن كان حاملاً، وطائراً بعـد أن

---

(١) الشهود: هو أن يرى العبد حظ نفسه بالله، لا بنفسه، فيأخذ ما يأخذ بحال العبودية وخضوع البشرية لا للذة والشهوة. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٢٧.

(٢) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم: (٢/٤٢٠).

كان سائراً، فتزول عنه كلفة حمل تلك الحقوق، فيبقى له كالنَفَس، وكالماء للسمك، فهم قد فنوا بحبه تعالى عن حب ما سواه، وبمراده منهم عن مرادهم وحظوظهم حتى ارتفعت عنهم كل كلفة يحس بها من هو دونهم درجة[١].

وهكذا تكتمل درجات اليقين الثلاث وهي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فعلم اليقين كعلم الموت والقبور للإحياء؛ لأنهم يعرفون بأن الأموات في القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها، وعين اليقين للأموات؛ لأنهم عاينوا القبور أما روضة من رياض الجنة وأما حفرة من حفر النار، وحق اليقين يوم البعث والحساب والعرض على الله سبحانه[٢].

لقد ارتقت عبادة أهل التصوف إنطلاقاً من عمق يقينهم بالله تعالى إلى أعلى الدرجات، وصاروا يعبدونه سبحانه كما لو كانوا يرونه، فبلغوا بعبادتهم من حيث لا يشعرون مقام الإحسان الذي هو أعلى مقامات اليقين، فشهدوا الله تعالى شهوداً كامل التنزيه عما لا يليق بعظمته تعالى، وصارت حياتهم تبعدية خالصة، بحيث لو انشغلوا في وقت من الأوقات بشيء من أمور الدنيا، تبقى قلوبهم عابدة، لا تغفل عن ذكر الله، فهم مؤمنون حقاً، مبادرون إلى الطاعة، مستكثرون من الخشية، عظيمو الذكر، شديدو الخوف، قائمون بالخشوع، لازمون للخضوع، وهم كما يصفهم الجنيد (رحمه الله تعالى) كالأرض يتحملون كل شيء، وكالسحاب إذا ظهر غطى كل شيء، وكالمطر إذا جاء أروى كل شيء[٣].

---

(١) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ٣١٠، ومدارج السالكين لإبن القيم: (٢/٤٢١).

(٢) ينظر: مكاشفة القلوب للغزالي: ١٤٣.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٨٥).

المطلب الثالث

كيفية العباده الصوفية

بعد أن تبين لنا مما تقدم مفهوم العبادة عند العارفين بالله من أهل التصوف والذي توصلوا إليه باليقين الصادق والنابع من استدامتهم للعبادة بأنواعها، يكون من الطبيعي أن تتميز طريقة عبادتهم وترتقي عن عبادة عوام الناس، فالعارفون بالله لا يشغلهم شاغل عن الله طرفة عين، ولا يفترون عن ذكره، ولا يمّلون من حبه، ولا يستأنسون بغيره، وأحب الاعمال عندهم- كما يقول يحيى بن معاذ رحمه الله- ذكر الله، وأحب الفوائد اليهم ما دلَّ على الله، وأحب الخلق إليهم من يدعوهم إلى الله، والعبادة عندهم أفضل من التيجان على رؤوس السلاطين(1)، إذ إن قلوبهم تحيا بحب الله سبحانه، والمحب مطيع لمن يحب، ولا شيء أظهر على طاعة العبد لله من أداء ما افترضه عليه، ولذلك فقد وجد العارفون في العبادة متنفساً لهم للتعبير عن حبهم وشوقهم لخالقهم ومحي قلوبهم التي استنارت بنور الله تعالى والذي يسكنه قلب من أحبه من عباده **﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾**(2) حتى صارت شمس قلب العارف أضوأ من شمس النهار، وأبهج منها في مطلع الأنوار، فتراه والهاً على باب أمره (تعالى) هائماً في ميدان بره، متدللاً تحت جميل ستره، فانياً تحت سلطان حكمه، باقياً على بساط لطفه(3).

ويظهر لنا هذا التميز من كيفية أدائهم للعبادة، ففي الصلاة يسير العارف إلى الله تعالى بقلبه، ويودع هواه ودنياه وكل شيء سواه، ويدعوه تعالى بجميع

---

(1) ينظر: تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (1/98، 100).

(2) سورة النور: آية (35).

(3) ينظر: حالة أهل الحقيقة مع الله لاحمد الرفاعي (ت 578هـ)/ جمع: أبو الشجاع بن منهج الشافعي الواسطي/ تقديم: محمد نجيب خياطة/ مكتبة بسام/ الموصل- العراق/ ص20.

جوراحه، حتى تصير أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهراً وباطناً ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والهيئات بحضور كامل مع الله (عز وجـل) واستـشراق للجبروت، وتذكر لجلال الله مع تعظيم ممزوج بمحبة وطمأنينة[1]، كما بيّن رسول الله (ﷺ) ذلك بقوله عن الإحسان: ((**أن تبعد الله كأنك تراه**))[2]، يمكّنهم مـن ذلـك تهيؤهم للصلاة قبل دخول وقتها والآداب التي يتبعونها أثناء الصلاة وبعدها، فحالهم قبل الصلاة كحالهم فيها، حيث يكون قيامهم إليها من حال لا يُـستغنى عنـه فـي الصلاة، ذلك أن من آدابهم قبل التكبير المراقبة، ومراعاة القلـب مـن الخـواطر والعوارض وذكر كل شيء غير ذكر الله تعالى، فإذا قاموا إلى الـصلاة بحـضور القلب، فكأنهم قاموا من صلاة إلى صلاة، فيبقون مع النية والعقد الذي دخلـوا بـه إليها، وإذا خرجوا منها رجعوا إلى حالهم من حضور القلب والمراقبة، فكأنهم فـي الصلاة وأن كانوا خارجين منها[3] كما قال (ﷺ): ((**لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة**))[4].

فإذا توجهوا إلى الصلاة، مشوا إليها بالخشوع والإجـلال لمـن يريـدون الوقوف بين يديه، يقول المحاسبي- رحمه الله تعالى: (وتقـوم إذا أردت الـدخول فيها- يعني الصلاة- وأنت عازم فيها لله تعالى، معظّم له، ذاكر لعظيم قدره والمقام

---

(١) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ١٧٩، وحجة الله البالغة للدهلوي: (١٢٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٧/١ رقم ٥٠) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان والإسلام والإحسان، ومسلم في صيحيه: (٣٧/١ رقم ٨) كتاب الإيمان والإسـلام والإحسان.

(٣) ينظر: اللمع للطوسي: ١٥٤-١٥٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧٦/١ رقم ١٧٤) كتاب الإيمان، باب من لم ير الوضـوء إلاّ من المخرجين من القبل والدبر، ومسلم في صحيحه بلفظ: (لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة): (٤٥٩/١ رقم ٦٤٩) باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

بين يديه، مُجلٌ لمن تناجي، ترجو أن يفيدك في مناجاتك ما تحيا بـه فـي دينـك، ويخبت له قلبك، وأنت مقبل بوجهك وقلبك على الله سبحانه)[1] كما قال (ﷺ) عـن المؤمن: ((**فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هـو لـه أهـل وفرّغ قلبه لله إلاَّ انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه**))[2]، فاستقبالهم للقبلة لا يقتصر على صرف ظاهر الوجه إلى جهة بيت الله الحرام، بل يصرفون قلوبهم عن سائر الأمور إلى الله (عز وجل) حتى يكون وجه قلوبهم مع وجه ابدانهم، ثـم يعتدلون قائمين بإطراق رؤوسهم وطأطأتها؛ تنبيهاً على إلـزام القلـب التواضـع والتذلل لمن يقومون بين يديه، فيكون حالهم كحال القائم بين يدي أحد ملوك الزمان الذي يعجز عن معرفة كنه جلاله، حتى إذا شرعوا في النية ارتعدت فرائصهم من الهيبة واصفرت وجوههم من الخوف وتعرق جبينهم من الخجل[3]، وعندما يرفعون أيديهم للتكبير، ذاكرين بقلوبهم أن الله تعالى أكبر من كل شيء في القدر والجـلال، يقول بعض العارفين عن التكبيرة الأولى: (ينبغـي إذا قلـت الله أكبـر أن يكـون مصحوبك في الله: التعظيم مع الألف، والهيبة مع اللام، والمراقبـة والقـرب مـع الهاء)[4]، ويقول أبو سعيد الخزار (رحمه الله تعالى) عن كيفية الدخول في الصلاة: (هو أن تقبل على الله تعالى إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي من انت واقـف فإنـه الملك العظيم)[5].

---

(١) الوصايا للمحاسبي: ٣٦٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (١/٥٧٠ رقم ٨٣٢) باب إسلام عمرو بن عبسة.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/١٩٦).

(٤) اللمع للطوسي: ١٥٢.

(٥) عوارف المعارف للسهروردي: ١٨٢.

وعند قرآءتهم للفاتحة وما بعدها من السور، فإنهم يتأملون ويتفهمون ما يتلون، فلا يغفلون عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه، ويرون في كل واحدة منها حق، فالرجاء حق الوعد، والخوف حق الوعيد، والعزم حق الأمر والنهي، والإتعاظ حق الموعظة، والشكر حق ذكر المنة، والإعتبار حق إخبار الأنبياء، مستعينين على الفهم بترك العجلة بالتثبت والترسل[1]، كما قال: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[2]، ومقتدين بقراءة رسول الله (ﷺ) التي كانت حرفاً حرفاً[3]، فهو أكثر فهماً، وأعظم عند الله قدراً.
ثم يكبرون للركوع بتجديد ذكر كبرياء الله سبحانه، والإستجارة بعفوه من سخطه، والاجتهاد بترقيق قلوبهم بترسيخ معاني الخشوع والتواضع والإخبات والتذلل والخضوع لله (عزوجل)، ثم يهوون ساجدين بأعلى درجات الإستكانة مكبرين مستيقظين حاضرين خاشعين عالمين بما يهوون فيه وإليه وله، ومنهم من يكاشف في سجوده أنه يهوي إلى تخوم الأرضين متغيباً في أجزاء الملك؛ لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء، ومنهم من يكاشف أنه يطوي بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه في فضاء الكشف والعيان، فتهوي دون هويه أطباق السموات، ويسجد على طرف رداء العظمة، وذاك أقصى ما ينتهي إليه طائر الهمة البشرية، ومنهم من يتسع وعاؤه، وينتشر ضياؤه، ويحظى بالصنفين

---

(١) ينظر: الوصايا للمحاسبي: ٣٦٨، وإحياء علوم الدين للغزالي: (١/١٩٨).

(٢) سورة ص: آية (٢٩).

(٣) سئلت السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) عن قراءة رسول الله (ﷺ) وصلاته فقالت: ومالكم وصلاته، كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح، ونعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءته حرفاً حرفاً- سنن أبي داود: (٧٣/٢ رقم ١٤٦٦) باب استحباب الترتيل في القراءة، ورواه الترمذي في سننه بلفظ مقارب (٨٢/٥ رقم ٢٩٢٣) باب ما جاء كيف كان قراءة النبي (ﷺ).

ويبسط الجناحين، فيتواضع بقلبه إجلالاً، ويرفع بروحه إكراماً، فيجتمع له الأنس والهيبة، والإسرار والإجهار، فيكون في سجوده، سابحاً في بحر شهوده، لم يتخلف منه عن السجود شعره[١]، وعند التشهد يجلسون متأدبين ومصرحين بأن جميع ما يدلون به من الصلوات والطيبات نابع من الاخلاق الطاهرة لله، ومحضرين في قلوبهم حضرة النبي (ﷺ) وشخصه الكريم، ملتزمين في جميع صلاتهم بالخشوع، فيحفظون السر عن الإلتفات إلى غير الصلاة كما يحفظون الرأس والعين عن الإلتفات إلى الجهات، فحياة الصلاة عندهم لا تتم إلاّ بستة معان هي: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء[٢]، يقول الخراز(رحمه الله تعالى) : وإذا ركع فالأدب في ركوعه أن يَنصب ويدنو ويتدلى حتى لا يبقى فيه مفصل إلاّ وهو منتصب نحو العرش، ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله عز وجل، ويصغّر نفسه حتى يكون أقل من الهباء، فإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه هو ذي يسمع ذلك، وإذا سجد فالأدب في سجوده أن لا يكون في قلبه عند السجود شيء أقرب إليه من الله تعالى؛ لأن أقرب ما يكون العبد من ربه عند السجود فيجب أن ينزهه عن الأضداد بلسانه ولا يكون في قلبه اجلّ منه ولا أعز منه، ويتم صلاته على هذا ويكون معه من الخشية والهيبة ما يكاد أن يذوب، ولا يكون له في صلاته شغل أكثر من شغله بها حتى لا يشتغل بشيء غير الذي هو واقف بين يديه حتى يخرج من الصلاة بالعقد الذي قد دخل فيها[٣]، وعند فراغهم من الصلاة، يسيطر على قلوبهم الشعور بالإشفاق والوجل والهم؛ خوفاً إلاّ

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١٩٩/١)، وعوارف المعارف للسهروردي: ١٨٥-١٨٦.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي: (١٩٩/١)، وطي السجل لمحمد مهدي بهاء الدين الرفاعي الشهير بالرواس/ تحقيق: عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط /ط١/ سنة ١٣١٩هـ/ ص١٨٣.

(٣) ينظر: اللمع للطوسي: ١٥٣- ١٥٤.

تقبل منهم صلاتهم، كما روي عن كثير منهم أنه كان إذا أنتهى من صلاته مكث ما شاء الله تعلوه الكآبة كأنه مريض، وقد أثار ذلك الحيرة لدى العامة، مما دفعهم لسؤال بعض الكبار: ما بال السلف إذا فرغوا من الصلاة أو غيرها من الطاعات يخافون عليها أنها قُلبت أم لا، ونحن نُسر بها ولا نخاف؟ فقال: لأن السلف يعملون عمل العبيد الطائعين لمولاهم، ونحن نعمل عمل المكرهين، والمكره إذا زال عنه الإكراه يُسر بذلك[1].

أما الصوم عندهم فتمامه يكون بإلزام أنفسهم بالمعاني التي أكد عليها الكتاب والسنة ، وهي[2]:

١- غض البصر وكفه عن الإتساع في النظر إلى كل ما يُذم ويُكره، وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله (عز وجل) قال (ﷺ): **((النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه الله (عز وجل) إيماناً يجد حلاوته في قلبه))**[3].

٢- حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء، وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن، فهذا صوم

(١) ينظر: الوصايا للمحاسبي: ٣٧٩.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/٢٧٧-٢٨٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/٣٤٩ رقم ٧٨٧٥) وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه.

اللسان، قال (ﷺ): **((الصيام جُنَّة**[1]**، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب**[2]**، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم))**[3].

٣- كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه؛ لأن كل ما حُرّم قوله حُرّم الإصغاء إليه، ولذلك سوّى (عز وجل) بين المستمع وآكل السحت، فقال تعالى ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾[4]، فالسكوت على الغيبة حرام، وقال تعالى ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ**﴾[5].

٤- كفُّ بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره، وكفّ البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام، فتارك الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيهاً، والحرام سم مهلك للدين، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره، وقد قال (ﷺ): **((رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع))**[6].

---

(١) جُنَّة: وقاية، أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات. ينظر: النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير: (٣٠٨/١).

(٢) يصخب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام. ينظر: المصدر نفسه: (١٤/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٧٣/٢ رقم ١٨٠٥) باب هل يقول إني صائم إذا شُتم؟، ومسلم في صحيحه بلفظ: (الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يؤمئذ ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم): (٨٠٧/٢ رقم ١١٥١) باب فضل الصيام.

(٤) سورة المائدة: آية (٤٢).

(٥) سورة النساء: آية (١٤٠).

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه: (٥٣٩/١ رقم ١٦٩٠) باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، وتمامه: (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلاّ السهر).

٥- أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فما من وعاء أبغض إلى الله (عز وجل) من بطن مليء من حلال، فعليه أن يقلل الطعام عند الحد الذي كان يأكله وهو مفطر، وإلاّ فإذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك ما فوّت، وعندها تهيج شهوة النفس وتقوى رغبتها، فتزداد لذتها، وتضاعف قوتها، وينبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها، فروح الصوم وسره ومقصود القوم منه قهر النفس ومنعها عن الإتساع[١] وتضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور، بل من الأداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده، يقول أبو طالب المكي[٢](رحمه الله تعالى): (مَثَل المؤمن مَثَل المزمار، لا يحسن صوته إلاّ بخلاء جوفه)[٣].

٦- أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين.

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا أفطروا فربما وجدوا باطنهم متغيراً عن هيئتهم ونفوسهم متثبطة عن أداء وظائف العبادة، فيعالجوا مزاج قلوبهم المتغيرة بإذهاب

(١) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ١٩٧.

(٢) المكي: هو أبو طالب محمد بن علي بن عطيه الحارثي المكي، نشأ بمكة وتزهد وصنف ووعظ، وكان صاحب رياضة ومجاهدة، وعلى نحلة أبي الحسن بن سالم البصري شيخ الساليمة، من أشهر مؤلفاته: (قوت القلوب في معاملة المحبوب) توفي(رحمه الله تعالى) سنة (٣٨٦هـ) ينظر: العبر في أخبار من غبر للإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ)/ تحقيق: د. صلاح الدين المنجد/ دائرة المطبوعات والنشر/ ط٣/ الكويت- ١٩٦١م/ ج٢/ ص١٧٠.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق: (١/٢١٣).

التغير عنه ويذيبوا الطعام بركعات يصلونها أو بأيات يتلونها أو بأذكار واستغفار يأتون به[1].

وأفضل صيام التطوع عند كثير منهم هو صوم يوم وإفطار يوم؛ لأنه أشد الصيام على النفس، فالنفس إذا ألفت الصوم على الدوام اشتد عليها الإفطار وإذا ألفت الإفطار وتعودت عليه أشتد عليها الصوم، أما صوم يوم وإفطار يوم فلا تتعود فيه النفس على الصيام ولا الإفطار[2].

وعند خروجهم إلى الحج وقصدهم الكعبة فإنهم لا يعدلون عن الطريق ومن آدابهم أنهم إذا دخلوا البادية أن يتموا الفرائض ولا يقصرون الصلاة ولا يتيممون ولا يتركون شيئاً مما كانوا يعملون في أوطانهم ما أطاقوا ذلك وإن إباح لهم الشرع ترك ذلك؛ لأن السفر والحضر عندهم سواء، فإذا بلغوا الميقات غسلوا أبدانهم بالماء وغسلوا قلوبهم بالتوبة، وإذا نزعوا ثيابهم للإحرام، نزعوا كذلك عن أسرارهم عوالق الدنيا وحلّوها عن قلوبهم، وتكون التلبية لهم توبة عن إجابة أي داعٍ من دواعي النفس والشيطان والهوى، فإذا نظروا إلى البيت بأعين رؤوسهم، نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إليه[3]، حتى إذا طافوا بالبيت أحضروا في قلوبهم التعظيم والخوف والرجاء والمحبة، والعلم بأنهم في هذا الحال يشبهون الملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله، فإن طواف الملائكة بالبيت المعمور في السموات كطواف الإنس بهذا البيت، ولمّا قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن **((من تشبه**

---

(١) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ١٩٩.

(٢) ينظر: اللمع للطوسي: ١٦٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٧١- ١٧٢.

بقوم فهو منهم))[١]، فإذا سعوا بين الصفا والمروة تذكروا ترددهم بين كفتي الميزان في عرصات القيامة، ناظرين إلى الرجحان والنقصان ما بين العذاب والغفران، كما يمثل عندهم الوقوف بعرفة بما فيها من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات، عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم، فيلزمون قلوبهم الضراعة والإبتهال إلى الله (عز وجل) ومما يروى عن ذلك حجُ عبد الله بن جعفر[٢](رضي الله عنه) ومعه ثلاثون راحلة، وهو يمشي على رجليه حتى وصل إلى عرفات فوقف بها، فأعتق ثلاثين مملوكاً وحملهم على ثلاثين راحلة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم وقال: أعتقتكم لوجه الله تعالى، لعله أن يعتقني[٣]، وعند كسرهم الحجارة للرمي فإنهم يكسرون معها إرادات بواطنهم وشهوات أسرارهم، حتى إذا رموها أحسنوا الأدب ونظروا إلى أعمالهم وتذكروا حال إبراهيم الخليل (عليه السلام) حين عرض له الشيطان- لعنه الله- فرماه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله، فإذا حلقوا رؤوسهم فأدبهم أن يحلقوا عن بواطنهم حب الثناء والمحمدة، وصولاً إلى ذبح الهدي الذي يبدعون فيه بذبح نفوسهم، فهذا هو حالهم في سائر شعائر الحج[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٢/٢٦١ رقم ٤٠٣١) كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة.

(٢) عبد الله: هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي، صحابي، ولد بارض الحبشة لمّا هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، وأتى البصرة والكوفة والشام، وكان كريماً يعرف ببحر الجود، توفي (رضي الله عنه) بالمدينة سنة (٨٠هـ) ينظر: الأعلام للزركلي: (٤/٢٠٤).

(٣) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٢٣٠).

(٤) ينظر: اللمع للطوسي: ١٧١- ١٧٤، وإحياء علوم الدين للغزالي: ٣١٤- ٣٢٠، ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٣٢-٣٤.

وجعلوا على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف استنتجوها من سيرة النبي المصطفى (ﷺ) وأصحابه (رضوان الله عليهم)، ومنها[1]: التعجيل عن وقت الوجوب؛ إظهاراً للرغبة في الإمتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء، ومبادرةً لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات، والإسرار في الزكاة، فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة، قال تعالى ﴿**وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾[2]، فلا يظهرها إلاَّ إذا علم أن في إظهارها ترغيباً للناس في الإقتداء به فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾[3]، وعليه أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى كما قال تعالى ﴿**لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾[4]، وأن يستصغر عطيته، فإنه أن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا**﴾[5]، وأن ينتقي من ماله أجوده واحبه إليه وأجله وأطيبه، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلاَّ طيباً، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**﴾[6]، ثم أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة من الأتقياء المعرضين عن الدنيا والمتجردين لتجارة الآخرة كما قال (ﷺ): ((**لا تصاحب إلاَّ مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**))[7]، والصادقين في

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/٢٥٢-٢٦٠)، ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٢٦-٢٨.

(٢) سورة البقرة: آية (٢٧١).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٧١).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٦٤).

(٥) سورة التوبة: آية (٢٥).

(٦) سورة البقرة: آية (٢٦٧).

(٧) أخرجه أبو داود في سننه: (٤/٢٥٩ رقم ٤٨٣٢) باب من يؤمر أن يجالس، والترمذي في سننه: (٤/٦٠٠ رقم ٢٤٩٥) باب ما جاء في البغوي المؤمن.

تقواهم وعلمهم بالتوحيد، والطالبين للعلم خاصة، فإن المال إعانة لهم على العلم، كما حُكي عن عبد الله بن المبارك (رحمه الله تعالى) أنه كان يجعل معروفه في أهل العلم خاصة، فقيل له: لو ضممت به غيرهم؟ فقال: لا اعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلم، فإذا اشتغل أحدهم بالحاجة لم يتفرغ للعلم[١].

وحياة أهل التصوف التعبدية لا تقتصر على أداء أركان الإسلام فحسب، فهم قد توسعوا في العبادة وعمموها على سائر أعمالهم حتى صارت جميع حركاتهم وسكناتهم بل وحتى أنفاسهم عبادة، فهم من ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾[٢]، وأحسن الامور وأولاها عندهم أن يكون ذكر الله أول كلامهم وآخره، فنجد كل واحد منهم يقوم بشتى أنواع العبادات في ليله ونهاره، تتنوع بين تسبيح وتهليل وتحميد، اقتداءً بقول نبيهم المصطفى(ﷺ) ((**إن مما تذكرون من جلال الله: التسبيح والتهليل والتحميد، ينعطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، تُذَكِّر بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له- أو لايزال له- من يُذَّكر به**))[٣]، ومراقبة الله تعالى على دوام الأوقات؛ لكونها- كما يقول ابن عطاء رحمه الله تعالى- من أفضل الطاعات[٤]، مع المداومة على الإستغفار والتوبة تنفيذاً لقوله تعالى ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾[٥] والشكر على نعمه حد التحير، فشكر الله تعالى عندهم نعمة توجب الشكر عليها وهذا لا يتناهى[٦]، والمواظبة على أدعية، وأذكار، وأوراد، وأحزاب تفرد كلٌ منهم بنوع خاص منها بشكل لا يمكن حصره في هذا

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٢٠٢).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٩١).

(٣) اخرجه ابن ماجة في سننه: (٢/١٢٥٢ رقم ٣٨٠٩) كتاب الادب، باب فضل التسبيح.

(٤) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (٢/٦٠٨).

(٥) سورة هود: آية (٥٢).

(٦) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١١٨.

المقام[1]، فضلاً عن حياتهم العملية التي تزخر بمعاني الإيمان والإخلاص والتقوى والإحسان والخشية من الله تعالى والتوكل عليه، والصبر والعفو والحلم، والتعاون والإيثار، وحسن الخلق، حتى صاروا يرون حالهم- كما يقول أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى- في قالب للعبودية إذا خرجوا منه صُنع بهم ما يصنع بالعبد الآبق[2]، فكانت حياتهم بحق تعبدية روحية خالصة مجردة عن كل أمر مادي دنيوي يعكر صفو نفوسهم الزكية بحب الله تعالى، فهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

المبحث الثاني

ثمرات العبادة الصوفية

لابد بعد كل ما تقدم من عظيم صدق وإخلاص عبادة أهل التصوف لله تعالى أن تكون لهم عند الباري (عز وجل) مكانة وقربة يتميزون بها عن غيرهم من عوام الناس، مصداقاً لقول الله- تبارك وتعالى: **﴿إلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[3]، وحديث رسول الله (ﷺ) **((وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي**

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/٣٧٢- ٣٧٨)، والغنية للجيلاني: (٢/١٥٠- ١٥٥)، ولطائف المنن للسكندري: ٦٢، والكواكب الدرية لعبد الرؤوف المناوي/ المطبعة التيجانية/ ج٢/ ص٧٥-٩٠.

(٢) ينظر: تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٥٠٥).

(٣) سورة يونس: الآيات (٦٢- ٦٤).

بها وإن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه))[١]، حتى تتبلور هـذه المكانـة والقربة إلى ثمرات تعود على أهلها بحيث لا يعلم بكنهها سواهم بعـد الله تعـالى، والتي يمكن حصرها على حد علمنا بما يأتي:

أولاً: المحبــة

من عظيم نعم الله تعالى والتي أنعم بها على خواص عباده من اهل التصوف الذين أفرغوا قلوبهم من كل شيء سوى ذكر الله (عز وجل) ومحبته، أنـه قابـل إخلاص أعمالهم وصدق توجههم له سبحانه بمحبته لهم ورضوانه عليهم، بعـد أن وجد فيهم شدة الحرص على تحصيل كل ما من شأنه أن يؤدي إلى طاعتـه (جـل ثناؤه) والفوز برضاه، فهم (رحمهم الله) قد تابعوا النبي (ﷺ) فـي جميـع أقوالـه وأفعاله وأخلاقه، ومتابعته(عليه الصلاة والسلام) سبب كبير لاستجلاب محبـة الله تعالى والفوز برضوانه، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**[٢]، كما أكثروا من النوافل وأنواع العبادات التي من شـأنها أن تقرب العبد من ربه، قال رسول الله (ﷺ) فيما يرويه عن ربه: **((وما يزال عبـدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه))**[٣]، مستصحبين ذلك بأنكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى والخضوع له سبحانه والتذلل والإخبات بين يديه، والإستسلام لـه، مـع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥/٢٣٨٤ رقم ٦١٣٧) باب التواضع، وتمامه: (إن الله قـال: من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ ممـا افترضـته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يـسمع بـه وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنـا أكره مساءته).

(٢) سورة آل عمران: آية (٣١).

(٣) مرّ تخريجه: ص ( ) هامش رقم ( ).

الخلوة به وقت النزول الإلهي وتلاوة كلامه ومناجاته واستغفاره والتوبة إليه[1]، كما أصّلوا في نفوسهم معاني التوكل والإحسان والصبر والتطهر التي من شأنها أن تكون مكملة لأسباب استحقاقهم للمحبة الإلهية، فقد قال تعالى ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[2]، وقال عز وجل- ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3]، وقال سبحانه ﴿**وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾[4]، وقال تبارك اسمه ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[5]، فليس شيء أعظم من ذلك عند الله (عز وجل) كي يحظى العبد بمحبته (تبارك وتعالى).

ومحبة الله تعالى للمؤمنين المخلصين من عباده هي إرادته لإنعام مخصوص عليهم بدرجة رفيعة كحفظهم وتقربهم منه وثنائه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته وتوفيقه، وعدواته لمن يعاديهم[6]، فضلاً عن ذكره لهم ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾[7]، ورضاه عنهم ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[8] وأمره لأهل السماء والأرض بمحبتهم كما أخبر بذلك رسول الله (ﷺ) عن الله تعالى بقوله:

---

(١) ينظر: قاعدة في المحبة لأحمد بن عبد الحليم بن تيمة (ت ٧٢٨هـ)/ تحقيق: فواز أحمد زمرلي/ المكتب الإسلامي- دار ابن حزم/ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٠م/ ص٢٣.

(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٩).

(٣) سورة المائدة: آية (١٣).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٤٦).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٢٢).

(٦) ينظر: الرسالة القشيرية: ٢٤٧، ومكاشفة القلوب للغزالي:٢٢.

(٧) سورة البقرة: آية (١٥٢).

(٨) سورة البينة: آية (٨).

((إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض))[1].

ومن أبرز العلامات الدالة على محبة الله تعالى لهم، قذفه للأنس به وحده في قلوبهم، ووحشتها عن غيره (تبارك وتعالى) فيجلعها مبسوطة إليه، غائبة عن رؤية غيره[2]، كما يقول المحاسبي (رحمه الله تعالى): (لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدتُ بهم أمناً، ولو أن نصف الخلق الآخر نأى عني ما استوحشت لبعدهم)[3]، وشغله لجميع وقتهم بذكره والتنعم بطاعته والتلذذ بخدمته، كما يقول الجنيد (رحمه الله تعالى) (علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه)[4]، وتوليه لأمر ظاهرهم وباطنهم وسرهم وجهرهم، فهو المشير عليهم المدبر لأمرهم والمستعمل لجوارحهم، يؤنسهم به، ويعرفهم عليه، ويدخلهم في خضرته[5].

وأحباب الله تعالى هم- كما يقول المحاسبي- الأبرار من العمال، والزهاد من العلماء، والفقهاء من الحكماء، والحكماء من النجباء، همومهم في الجد والطلب، وأرواحهم في النجاة والقرب، يستقلون الكثير من أعمالهم، ويستكثرون القليل من نعم الله (عز وجل)، إن أنعم عليهم شكروا، وإن مُنعوا صبروا، دعاهم إليه فاجابوه بالجد ودوام السير، وغابت عن قلوبهم أسباب الفتنة بدواهيها، وظهرت أسباب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨٣/٧) كتاب الأدب، باب المقَة من الله.

(٢) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٢٥، والمحبة الإلهية في الإسلام لحامد نايف أبي غزالة/ دار الإمام النووي/ط٢/ عمان- الأردن/١٤١١هـ-١٩٩١م/ ص٥٦.

(٣) صفة الصفوة لإبن الجوزي: (٤٥٤/١).

(٤) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ٢٦٥.

(٥) ينظر: المحبة الإلهية لحامد أبي غزالة: ٥٧.

المعرفة بما فيها، فصارت مطيتهم إليه تعالى الرغبة، وسائقهم الرهبة، وحاذيهم الشوق من المحبة، فلا تلحقهم فترة في نية ، ولا وهن في عزيمة، ولا ضعف في خدمة، ولا تأويل في رخصة، ولا ميل إلى دواعي غرة[1].

ثانياً: الطمأنينة

إن المنهج الصحيح المقتبس من سنة رسول الله (ﷺ) الذي سار عليه أهل التصوف في العبادة قد أثمر فيهم من جملة ما أثمر طمأنينة وراحة نفسية عميقة، وسكينة قلبية لا يمكن أن يشعر بها الاّ من عاش مثلهم، فالطمأنينة حال رفيعة لا يحظى بها إلاّ عبد قد رجح عقله وقوي إيمانه ورسخ علمه وصفا ذكره وثبتت حقيقته وضبطت دواعي شهوته[2]، فاستحق لذلك سكوناً يعضده أمن صحيح شبيه بالعيان[3] يأنس به كل من حوله، يقول التستري (رحمه الله تعالى) (إذا سكن قلب العبد إلى مولاه واطمأن إليه، قويت حال العبد، فإذا قويت أَنس بالعبد كلُّ شيء)[4] يدل على ذلك قوله تعالى **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[5]، كما وردت نصوص قرآنية أخرى تشير إلى الطمأنينة، منها قوله تعالى **﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾**[6]، وقوله (جل جلاله) حاكياً عن إبراهيم الخليل (عليه السلام) **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾**[7].

---

(١) الوصايا للمحاسبي: ٣٠٧- ٣٠٨.

(٢) ينظر: اللمع للطوسي: ٦٧.

(٣) ينظر: مدارج السلاكين لإبن القيم: (٢/٥١٢).

(٤) اللمع للطوسي: ٦٧.

(٥) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٦) سورة الفجر: آية (٢٧-٢٨).

(٧) سورة البقرة: (٢٦٠).

وتتدرج الطمأنينة وتتنوع، أما درجاتها[١] فهي: طمأنينة القلب بذكر الله، وطمأنينة الروح في القصد إلى الكشف، وطمأنينة شهود الحضرة إلى اللطف، وطمأنينة الجمع[٢] إلى البقاء، وطمأنينة المقام إلى نور الأزل، وأما أنواعها فهي على ثلاثة ضروب[٣]، فضرب منها للعامة؛ لأنهم إذا ذكروه سبحانه اطمأنوا إلى ذكرهم له، فحظهم منه الإجابة للدعوات باتساع الرزق ودفع الآفات، والضرب الثاني للخصوص؛ لأنهم رضوا بقضائه وصبروا على بلائه وأخلصوا واتقوا وسكنوا واطمأنوا إلى قوله (عز وجل): **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**[٤]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[٥]، فكانت طمأنينتهم ممزوجة برؤية طاعتهم، والضرب الثالث لخصوص الخصوص وهو اطمئنان يختلف عن سابقيه، فأصحابه يعلمون أن سرائرهم لا تقدر أن تطمئن إلى الله تعالى ولا تسكن معه، هيبةً وتعظيماً؛ لأنه ليس له غاية تدرك إذ **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**[٦]، **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾**[٧] فهم مشغولون بجلال الله وجماله وعظمته عن رؤية أعمالهم وكل شيء آخر.

---

(١) ينظر: منازل السائرين لعبد الله الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)/ مطبعة منير/ بغداد- العراق/ ص١١٥.

(٢) الجمع: هو ما يكون من قِبَل الحق- تبارك وتعالى للعبد من إبداء معانٍ وإسداد لطف وإحسان، فيتصرفون بأنفسهم لا لإنفسهم، بل للحق. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٤٠، والرسالة القشيرية: ٦٠.

(٣) ينظر : اللمع للطوسي: ٦٧-٦٨.

(٤) سورة النحل: آية (١٢٨).

(٥) سورة الأنفال: (٤٦).

(٦) سورة الشورى: آية (١١).

(٧) سورة الإخلاص: آية (٤).

وأهل التصوف قد حظوا بأعلى هذه الدرجات وخير أنواعها وعبّر بعضهم عن هذه الطمأنينة بالفرح، فهو عندهم- أي الفرح- شهود الله تعالى في حركاتهم وسكناتهم، ورؤية المنعم الوحيد عليهم، فأعمال طاعاتهم وعباداتهم ليست إلاَّ فضلاً منه ورحمة[1]، وهذا هو المشار إليه في قوله تعالى **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**[2].

ثالثاً: المعرفة بالله

من أشرف وأعظم الهدايا التي يتلقاها الأولياء الصالحون والعابدون المؤمنون من رب العالمين نتيجة اجتهادهم في عبادته بإخلاص نقي سليم هي معرفتهم بالله تعالى والتي لا ينالها إلاَّ الأتقياء المخلصون، بأن يفتح لهم أبواب الهداية ويكرمهم بالإنتباه واليقظة من نومة الغافلين، وينعم ويمنَّ عليهم بشرح القلب وإشراقه وجلاء الحجب عنه، ويكرمهم بالحياء والخوف واليقين، ويفيض عليهم من بحار رحمته، فتتلألأ فيهم حقائق الأمور الإلهية، فالله- عز وجل- يتولى قلب عبده ويتكفل له بتنويره بأنوار العلم حين يجده زاهداً في الدنيا، متبرئاً من علائقها، ومفرغاً قلبه من شواغلها، ومالئاً إياه بمحبة الله تعالى، وملقياً زمام اختياره إليه سبحانه، وتاركاً حكمه بيد علم الله، ومجتهداً ومجاهداً هواه، ومعانداً نفسه وشيطانه لأجل مولاه، محافظاً لحركاته وسكناته عن أن يظهر منه سوء أدب، عازلاً تدبيره واختياره

---

(١) ينظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي للغنيمي التفتازاني: ١٣٥.

(٢) سورة يونس: آية (٥٨).

وإرادته فلا تبقى له مطالبة من الله (عز وجل) سواه[١] فبهذا ينالون من الله تعالى ما وعدهم به بقوله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٢].

فالمعرفة هي فقدان رؤية ما سوى الله سبحانه، بحيث يصير ما دونه تعالى عند العبد أصغر من خردلة، وللمعرفة خمس طرائق أولها الخشية في السر والعلانية، والثانية الإنقياد في العبودية، والثالثة الإنقطاع إليه تعالى بالكلية، والرابعة الإخلاص له بالقول والفعل والنية، والخامسة المراقبة في كل خطرة ولحظة[٣]، وبناؤها على خمس كلمات: أن يعرف العبد أن جميع الأشياء بالله ابتداءً، ومن الله كوناً، وإلى الله رجوعاً، وعلى الله قواماً، ولله ملكاً[٤].

وللمعرفة أمارات يمكن من خلالها الحكم على العبد بأنه عارف بالله، وأهمها حصول الهيبة والخوف والحياء من الله تعالى، وانبعاث السكينة في القلب، والأنس بالله سبحانه وحده والوحشة من غيره، وذهاب رغبة الأشياء عنه، وحب فراق الدنيا، وصفاء العيش له، وهيبة كافة الخلق منه، والعارف لا يطفيء نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم، وهو كما يقول الشبلي (رحمه الله تعالى) لا يكون لغيره تعالى لاحظاً، ولا بكلام غيره لافظاً، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً[٥].

والمعرفة معرفتان، معرفة تَعرُّف، ومعرفة تعريف، فمعنى التعرف أن يعرفهم الله (عز وجل) نفسه، ويعرفهم الأشياء به، فيرى العبدُ المُنعِمَ من غير أن

---

(١) ينظر: بهجة الطائفة للبدليسي: ٨٩، وحالة أهل الحقيقة مع الله للرفاعي: ٢٥، وأبحاث في التصوف لعبد الحليم محمود: ٣١٩.

(٢) سورة العنكبوت: آية (٦٩).

(٣) ينظر: حالة أهل الحقيقة للرفاعي: ١٩، ٢٣.

(٤) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (٩٨/١).

(٥) ينظر: الوصايا للمحاسبي: ٢٨٠، والرسالة القشيرية: ٢٤٢- ٢٤٥.

يلتفت إلى النعمة، فيزيد شوقه إلى المنعم ويقوم بحق معرفته ومحبته، وهذه معرفة الخواص، ومعنى التعريف أن يريهم آثار قدرته في الأفاق والأنفس ، ثم يُحدث فيهم لطفاً بأن تدلهم الأشياء أن لها صانعاً، فيعرفون أن النعمة من الله تعالى كما قال سبحانه ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1]، فيشكرونه عليها، فتزيد النعمة من الله تعالى كما وعد بقوله ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2] وهذه معرفة عامة المؤمنين[3].

وتتوقف المعرفة على إرادة الله تعالى فلا وصول إلى الله إلاَّ به كما قال بعض المشايخ: (إن الله تعالى عرَّفنا نفسه بنفسه، ودلنا على معرفة نفسه بنفسه، فقام شاهد المعرفة من المعرفة بعد تعريف المعرِّف بها)، وأداة المعرفة الصوفية هي القلب تلك اللطيفة الربانية الروحانية التي هي حقيقة الإنسان وليس اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر[4]، جاء في الأثر المشهور: (ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)[5].

رابعاً: الكشف والإلهام

جاء في القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة ومآثر صحابة رسول الله (ﷺ) وأتباعهم ومن تبعهم من عباد الله المخلصين وأولياء الله المهتدين بنور هديهم المبين ما يدل على أن واحدة من الثمرات التي ينالها خواص عباد الله الذين صفت قلوبهم ووصلت إلى مرتبة الإخلاص الكامل لله تعالى، هي الكشف والذي يفارق فيه الكاشف عالم الظلمة وينطلق من حبسه فيه ويُزال عنه حجاب الحس وأسباب

---

(١) سورة النحل: آية (٥٣).

(٢) سورة إبراهيم: آية (٧).

(٣) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ٧٠، وحالة أهل الحقيقة للرفاعي: ٢٢-٢٣.

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف: ٧١، وإحياء علوم الدين للغزالي: (٣/٣).

(٥) جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٥٠هـ)/ دار المعرفة/ ط١/ بيروت- ١٤٠٨هـ/ ص٣٦٥.

المادة، فتنعكس أبصارهم في بصائرهم، فينظرون بنــور الله، وتتمحــي أمــامهم مقاييس الزمان والمكان، فيطلّعون على عوالمٍ من أمر الله اطلاعاً لا تتسع لــه إلاّ تلك القلوب النيرة السليمة التي زالت عنها ظلمات الدنيا، وانقــشعت عنهــا غيــوم الشكوك ووساوسها، ويرون ضياء الأنوار الإلهية التي تقذف في قلوبهم وعقــولهم ألواناً من المعرفة العليا سواء آخروية أو دنيوية لم تكن معروفة عندهم من قبل[1]، وذلك نتيجة لرجوع الروح عن الحس الظاهر إلى الباطن والذي يــضعف أحــوال الحس، ويقوي أحوال الروح ويغلب سلطانه ويجدد نشوءه، مــستعيناً علــى ذلــك بالذكر كغذاء لتنمية الروح حتى يصير شهوداً بعد أن كان علماً، فيتعــرض حينئــذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها مــن الأفق الأعلى أفق الملائكة[2]، كما يقول الغزالي (رحمــه الله تعــالى) (ومــن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكــة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد)[3].

ومن أمثلة الكشف الوارد في القرآن قوله تعالى عن إبــراهيم الخليــل (عليه السلام) **﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْــأَرْضِ وَلِيَكُــونَ مِــنْ الْمُــوقِنِينَ﴾**[4]، وإخباره (جل شأنه) عما حدث لموسى (عليه السلام) مع العبد الصالح الذي خرق الــسفينة وقتل الغلام وبنى الجدار من غير أجر نتيجة ما كُشف له عن ذلك والذي أُخبر بــه موسى (عليه السلام) فيما بعد بقوله: **﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُــونَ فِــي الْبَحْــرِ**

---

(١) ينظر: حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ٢٨٨، والتصوف الإسلامي في مراحل تطوره د. عبد المحسن سلطان/ دار الآفاق العربية/ القاهرة- مصر/ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م/ ص٨١.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٤٦٩.

(٣) المنقذ من الضلال للغزالي: ١٣٣.

(٤) سورة الأنعام: آية (٧٥).

فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا* وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[1]، وأما الكشف عند رسول الله (ﷺ) فمنه ما قاله (عليه الصلاة والسلام) لمن وراءه من المصلين ﴿**أقيموا صفوفكم وتراصوا،فإني أراكم من وراء ظهري**﴾[2]، ومما روي عن كشف الصحابة (رضوان الله عليهم) كثير، منه كشف عمر بن الخطاب (ﷺ) لمن يكذبه الحديث[3]، وقول علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) لأهل الكوفة (سينزل بكم أهل بيت رسول الله (ﷺ)، فيستغيثون بكم فلم يغاثوا) فكان منهم في شأن ولده ما كان[4]، أما مكاشفات العارفين من أولياء الله الصالحين فمنها ما روي أن نصرانياً وقف على الجنيد (رحمه الله تعالى) وهو يتكلم في الجامع على الناس، فقال: أيها الشيخ ما معنى حديث ((**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**))[5]، فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: أسلم فقد جاء

---

(١) سورة الكهف: الآيات (٧٩- ٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٥٣/١ رقم ٦٨٧) باب إقبال الإمام على الناس ثم تسوية الصفوف.

(٣) ينظر: تاريخ الخلفاء الراشدين لجلال الدين السيوطي/ مطبعة المدني/ القاهرة-١٣٨٣هـ/ ص١٢٧.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي/ مطبعة مصطفى محمد/ القاهرة- ١٣٥٦هـ/ ج١/ص١٤٣.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: (٢٩٨/٥ رقم ٣١٢٧) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، وقال عنه/ حديث غريب.

وقت إسلامك، فأسلم الغلام[1]، والفراسة هي مكاشفة اليقين، ومطالعة الأسرار بعين القلب، فكل من غضَّ بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال، لا تخطئ له فراسة[2]، كما نُقل عن بعض المشايخ أنه أتى بشراب في قدح فوضعه من يده وقال: قد حدث في العالم حدث، ولا أشرب هذا دون أن أعلم ما هو، فانكشف له أن قوماً دخلوا مكة وقتلوا فيها[3].

والكشف أنواع، فما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج يسمى كشفاً عقلياً، وما يترسم في الخيال مطلقاً عن قيود المزاج في أزمان المجاهدات والرياضات يسمى كشفاً نفسانياً، والكشف الروحاني هو الذي يكون بعد كشف الحجب العقلية والنفسانية ومطالعة الأنفاس الروحانية، والرباني وهو أعلى أنواع الكشف يكون بطرقٍ بالعروج أو التنزل[4] وهذا هو أعلى التجليات[5].

ويبدأ الكشف عند الأولياء في منامهم، إذ للقلب- كما يقول الغزالي- بابان واحد للأحلام والثاني لعالم اليقظة، وهو الباب الظاهر إلى الخارج، فإن نام غُلق باب الحواس، فيفتح له باب الباطن، ويكشف له غيبٌ من عالم الملكوت ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء، ولا يفتح باب الباطن إلاَّ إذا كان القلب فارغاً من

---

(١) الفتاوى الحديثية لإبن حجر الهيثمي/ المطبعة الميمنية/ مصر-١٣٠٧هـ/ ص٢٢٩.

(٢) ينظر: تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٥٥٧- ٥٥٩).

(٣) ينظر: عوارف المعارف للسهروردي: ١٣٠.

(٤) ينظر: التصوف النفسي للنجار: ١٢٧ نقلاً عن إنشاء الدوائر لإبن عربي: ٣٥.

(٥) التجليات: جمع تجلي، وهو كل ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب، وهو على ثلاثة أحوال: تجلي ذات وهي المكاشفة، وتجلي صفات الذات وهي موضع النور، وتجلي حُكم الذات وهي الآخرة وما فيها ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ١٤٠، واصطلاحات الصوفية للقاشاني: ١٥٥.

الشهوات، فإن كان مشغولاً بها، كان عالم الملكوت محجوباً عنه، وإن كان في حال النوم فارغاً من علائق الحواس، طالع جواهر عالم الملكوت، وتجلّت له حقائق العلوم من مرآة اللوح المحفوظ في مرآة قلبه، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم، تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حدٍ ما، ودوامه في غاية الندور[1]، فإذا ازدادت قوة العلاقة بين العبد وربه بازدياد التعبد والذكر والاستغفار وتطهير القلب وصقله وتوجيهه نحو الله تعالى بالكلية بحيث لا يشغله شيء عن الإتجاه إليه في كل وقت، حدثت له صورُ أخرى من الكشف والمشاهدات أثناء اليقظة[2] كما في الأمثلة سالفة الذكر.

وعند الكشف يتلقى العبد واردات الإلهام والتي تعطيه أمراً أو نهياً أو ترغيباً أو ترهيباً من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة، والإلهام أما من قبل الله تعالى أو من قبل ملائكته[3]، فمثال الإلهام من قبل الله تعالى، قوله (عز وجل): ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[4]، ومثال الإلهام من قبل الملائكة قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾[5]، وهناك كثير من الصالحين قد كلمتهم الملائكة (عليهم السلام) بطريق الإلهام[6]

---

(١) ينظر: كيمياء السعادة للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ تحقيق: محمد مصطفى أبو العلاء، ومحمد محمد جابر/ مكتبة الجندي- ١٩٤٩م/ ص٨٧- ٨٨، ١٢٣-١٢٤، وإحياء علوم الدين للغزالي: (٣/٢٠-٢١).

(٢) التصوف الإسلامي لعبد المحسن السلطان: ٨٦.

(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني: ٢٣، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ٣٠١.

(٤) سورة القصص: آية (٧).

(٥) سورة آل عمران: آية (٤٢).

(٦) ينظر: التفسير الكبير لفخر الدين الرازي: (٢/٦٦٩).

تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[١]، وقوله(ﷺ) **((وأما لمَّة[٢] الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله))[٣].**

خامساً: الكرامة

اختص أولياء الله تعالى بنوع فضلٍ وعظيم كرمٍ ورفيع درجة من الله (عز وجل)؛ نتيجة كثرة أجتهادهم، ودقيق اتباعهم للسنة، وعظيم صدقِ إيمانهم، بأن أجرى على أيديهم أنواعاً من خوارق العادات تعرف بالكرامات، تأييداً لهم في جهادهم ونصرتهم لدين الله، وإظهاراً لقدرة الله تعالى، وزيادة لهم في أمورهم، وقوةً على مجاهداتهم،و عطية تزيد شكرهم لله تعالى، فالأولياء من عباد الله إذا ظهر لهم من الكرامات شيء أزدادوا لله تذللاً وخضوعاً وخشية واستكانة وإيجاباً لحق الله عليهم[٤].

(١) سورة فصلت: الآيتان (٣٠-٣١).

(٢) لمَّة: اللمة هي الهمة والخطرة تقع في القلب. ينظر: النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير: (٢٧٣/٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: (٢١٩/٥ رقم ٢٩٨٨) وقال عنه: حديث حسن غريب وتمامه: (إن للشيطان لمة بإبن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد لله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف لكلاباذي: ٨١.

والكرامة هي أمر خارق للعادة تظهر علي يد الوليّ من غير اقتران بدعوى النبوة، سببها الإيمان والتقوى[1]، يقول تعالى في وصف الأولياء **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**[2] وهي ثابتة في الكتاب والسنة وآثار الصحابة (رضوان الله عليهم) ومن بعدهم، كما أقرها جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدِّثين والأصوليين ومشايخ الصوفية، ومؤلفاتهم دالة على ذلك[3]، فمن الأدلة عليها من كتاب الله تعالى قوله (عز وجل) مخبراً عن مريم (عليها السلام) **﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾**[4]، وتساقط الرطب الجني من النخلة اليابسة عليها **﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾**[5]، وإتيان وزير نبي الله سليمان (عليه السلام) عرش ملكة سبأ بطرفة عين مع بعد المسافة **﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾**[6]،

---

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لأحمد بن تيمة الحراني (ت٧٢٨هـ)/دار النذير/ بغداد- ١٩٦٩م/ ص٨٩، وشرح العقائد النسفية لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩١هـ)/ تركيا- ١٣٢٦هـ/ أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى- بغداد/ ص١٣٩.

(٢) سورة يونس: الآيتان (٦٢-٦٣).

(٣) ينظر: العقائد النسفية للتفتازاني: ١٣٩، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لمحمد بن أحمد السفّاريني الأثري الحنبلي/ مطابع دار الأصفهاني وشركاه/ جدة- ١٣٨٠هـ/ ج٢/ ص٣٩٣- ٣٩٧، والرسالة القشيرية: ٢٨٦، وحجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ليوسف بن اسماعيل النباهي/ الطبعة المصورة- بيروت/ص٨٤، واليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، مصر- ١٩٥٩م/ ج١/ ص١٦٠-١٦٢.

(٤) سورة آل عمران: آية (٣٧).

(٥) سورة مريم: آية (٢٥).

(٦) سورة النمل: آية (٤٠).

ومن أدلة السنة قصة البقرة التي كلمت صاحبها[1]، والعابد الذي كلّمه الطفل في المهد[2]، ومن آثار الصحابة الشيء الكثير، منها: تكثير طعام أبي بكر (رضي الله عنه) مع ضيوفه حتى صار بعد الأكل أكثر مما كان[3]، ونداء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقائده وهو على المنبر: يا سارية الجبل[4]، وشرب خالد بن الوليد (رضي الله عنه) السم من غير أن

---

(١) روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله: (بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إلتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خُلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله- تعجباً وفزعاً- أبقرة تتكلم! فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر). رواه مسلم في صحيحه: (١٨٥٧/٤ رقم ٢٣٨٨) كتاب فضائل الصحابة (رضي الله عنهم)، باب من فضائل أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

(٢) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لم يتكلم في المهد إلاَّ ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جُريح، كان يصلي فجاءته أمه، فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لاتمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريح في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته، فأبى، فأتت راعياً، فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريح، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبّوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي، قالوا نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلاَّ من طين) وراه البخاري في صحيحه: (١٩٧٦/٤ رقم ٢٥٥٠) كتاب بر الوالدين.

(٣) روي أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان عنده أضياف، فقدم لهم الطعام فلما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته: (يا أخت بني فارس ما هذا؟ فقالت: وقرة عيني أنها الآن- تعني الصومعة- لأكثر قبل أن نأكل) رواه البخاري في صحيحه: (٢٢٧٤/٥ رقم ٥٧٩٠) باب قول الضيف لصحابه لا آكل حتى تأكل فيه.

(٤) روي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان قد أمّر سارية الخلجي على جيش من جيوش المسلمين، وجهزه على بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر (رضي الله عنه) بالمدينة، فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث أثناء خطبته بأعلى صوته (يا سارية الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم)=

يضره[1]، وأما آثار من بعدهم من الأولياء فهي أكثر من أن تحصى، أذكر منها: ما حكي عن إبراهيم بن أدهم (رحمه الله تعالى) أنه كان في رفقة، فعرض لهم السبع، فقالوا: يا أبا إسحق عرض لنا السبع، فجاء إبراهيم وقال: يا أسد، إن كنت أمرتَ فينا بشيء فامضِ، وإلاَّ فارجع، فرجع الأسد ومضوا[2]، وقال ذو النون المصري- رحمه الله تعالى: رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود، فدنوت منه وقلت: إنك تكثر الصلاة، فقال: أنتظر الإذن من ربي في الإنصراف، فقال: فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها: من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك[3]، وعن السري أنه قال: رأيت زاهداً في صومعة فقلت له: مذكم وأنت في صومعتك هذه؟ قال: منذ ثلاثين سنة. قلت: ماذا أفادك الله تعالى في طول خلوتك هذه؟ قال: أخذ مني شهوة الطعام، لا أحتاج إليه إلاَّ في كل شهر مرة[4].

وتقسم الكرامة على قسمين، حسية ومعنوية، فالحسية هي التي تعرفها العامة من الناس كالإخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية، والمشي على الماء واختراق الهواء، وطي الأرض، والإحتجاب عن الأبصار، وإجابة الدعاء في الحال، أما المعنوية فلا يعرفها إلاَّ الخواص من عباد الله تعالى، وهي أن يُحفظ

=فاسمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين صوت عمر، فلجأوا إلى الجبل، وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا. ينظر: تهذيب التهذيب لإبن حجر: (٢/٣٨).

(١) روي أن خالد بن الوليد (ﷺ) نزل الحيرة، فقالوا له: أحذر السم لا تسقيكه الأعاجم، فقال: أئتوني به، فأخذه بيده، وقال: بسم الله وشربه فلم يضره شيئاً. ينظر: تهذيب التهذيب: (٣/١٢٥).

(٢) تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي: (١/٣٩٩).

(٣) الرسالة القشيرية: ٢٨٦.

(٤) تهذيب خالصة الحقائق: (١/٤٠١- ٤٠٢).

على العبد آداب الشريعة، ودوام أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها، والمسارعة إلى الخيرات، وإزالة الغل والحقد من صدره للناس، وطهارة القلب من كل صفة مذمومة، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله تعالى مع نفسه وفي الأشياء، والتوفيق لأن يتحلى بمكارم الأخلاق(١)، يقول التستري (رحمه الله تعالى): (ما الآيات وما الكرامات؟! أشياء تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خُلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود)(٢)، فمن كان بهذا الوصف لم يكن للعدو إليه طريق بمعنى الإغواء؛ لقوله (عز وجل) **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾**(٣)، ومع هذا فهو ليس بمعصوم من صغيرة ولا كبيرة، فإن وقع في أحديهما قارنته التوبة الخالصة(٤).

المبحث الثالث

آثار العبادة الصوفية على الفرد والمجتمع

إن التطبيق الحرفي لمثالية عبادة رسول الله (ﷺ) وأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) الذي اعتمده أهل التصوف في مسيرتهم العبادية جعل آثار عبادتهم على الفرد والمجتمع تسمو إلى حدٍ قريب جداً من آثار عبادة السلف الصالح، فعبادةٌ الإخلاص شعارها، والصدق أساسها، والمحبة الإلهية عمادها، والتقوى لباسها، من الطبيعي أن تلقي أفضل الآثار على أفرادها ثم مجتمعها المكون منهم، فمن جملة هذه الآثار على الفرد إنها رسخت فيه ثروة أخلاقية كبيرة

(١) ينظر: الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي/ مطبعة الميمنة/ مصر- ١٣٢٩هـ/ ج٢/ ص٣٦٩.

(٢) اللمع للطوسي: ٣٢٤.

(٣) سورة الحجر: آية (٤٢).

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: ٣٨.

مليئة بمعاني الرضا بالقضاء والتسليم له، والتوكل علـى الله (عزوجـل)، والثقـة بوعده، وترك التدبير للغد، والإستقامة في دينه ولسانه وقلبه كمـا قـال (ﷺ) **((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يـستقيم لـسانه))**[1]، وشكر الله تعالى في السراء والضراء؛ لعلمه بخير كليهما عليه كمـا اخبـر بـذلك المصطفى (ﷺ) **((عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك إلاَّ للمـؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له))**[2]، كما تعمّق في نفسه فضيلة الصدق وحفظ اللسان عن كل خلق سـيء مـن كـذب ونميمة ونفاق ونحوها، مع التواضع لله والعزة به سبحانه، وعدم التذلل والاستكانه لغيره (عز وجل)، ومن شأن العبادة الصوفية أيـضاً أن تجعـل صـاحبها أمـراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حليماً، عفيفاً، عدلاً مشفقاً على إخوانه، غيوراً علـى دينه، غاضاً لبصره، حافظاً جوارحه عن الآثام، واصلاً رحمه، مؤدياً ما عليه مـن واجبات، مجاهداً في سبيل الله، باذلاً مجهوده لإعلاء كلمة الله في أرضه.

وفضلاً عما تقدم فإن هناك من الآثار الأخرى مالا يمكن أن نجدها إلاَّ فـيمن عبد الله تعالى عبادة صوفية خالصة أبرزها الحكمة والتي تورث حـسن التـدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وإصابة الظن، والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا أفـات النفوس، والشجاعة التي تورث الكرم، والشهامة، وكسر النفس، والاحتمال والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار وامثالها من الأخلاق المحمودة، والعفة والتي تورث السخاء والحياء والـصبر، والمـسامحة، والقناعـة، والـورع، وقلـة الطمـع، والمساعدة[3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٣/١٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (٨/٢٢٧) كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن كله خير.

(٣) الأربعين في أصول الدين للغزالي: ١٣٥-١٣٧.

وحين يتواجد في المجتمع أفراد يتحلون بمثل هذه الأخلاق والمبادئ، يتكون المجتمع الذي يهدف إليه الإسلام ويرضاهُ الله ورسوله، فبهؤلاء الأفراد وعن طريق دعوتهم وأساليب غرسهم للآداب والأخلاق، تُبنى المجتمعات على أساس منهجي إسلامي قائم على السلوك والتوجيه والمتابعة، والشعور بالمسؤولية، ومراقبة الله تعالى وخشيته، فتسود القيم الأصيلة، والفضائل الأخلاقية، والمبادئ الإسلامية المثالية السامية، كالأخوة، والمساواة، والإيثار، والتعاون، والتواد، والتراحم، والمحبة في الله، والإتحاد وجمع الكلمة، ومن شأن هذا كله أن يكون سداً منيعاً وقوة تكبح جماح ما يواجهه المجتمع من تيارات مادية وتحديات فكرية تحاول تفكيك أواصر هذا المجتمع الإسلامي المتوحد بأفراده، فضلاً عن أن هذا يؤدي إلى حل المنازعات والقضاء على السلوك السلبي بين بعض الأفراد، وإصلاح نفوسهم، وتهذيبهم، وتحويلهم من عناصر شر داخل المجتمع إلى عناصر خير، فيقام السلام والأمن في ربوع البلاد.

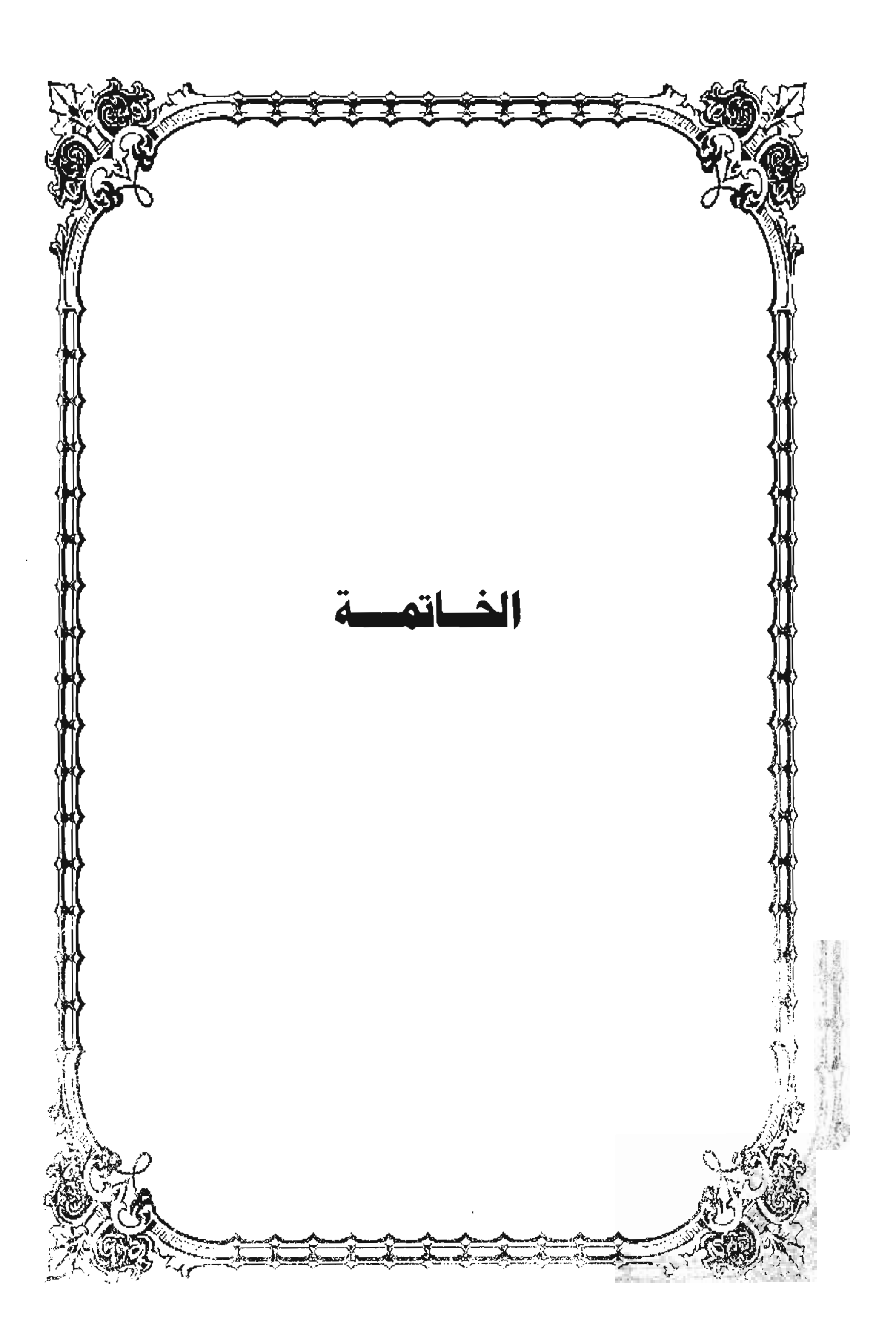
ومن جملة الآثار الطيبة التي تركها أهل التصوف، نشرهم لدين الله تعالى وجذب طوائف كثيرة من غير المسلمين إليه، والذي تمخض عنه بناء المساجد في مختلف بقاع الأرض؛ لربط قلوب المسلمين الجدد[١].

---

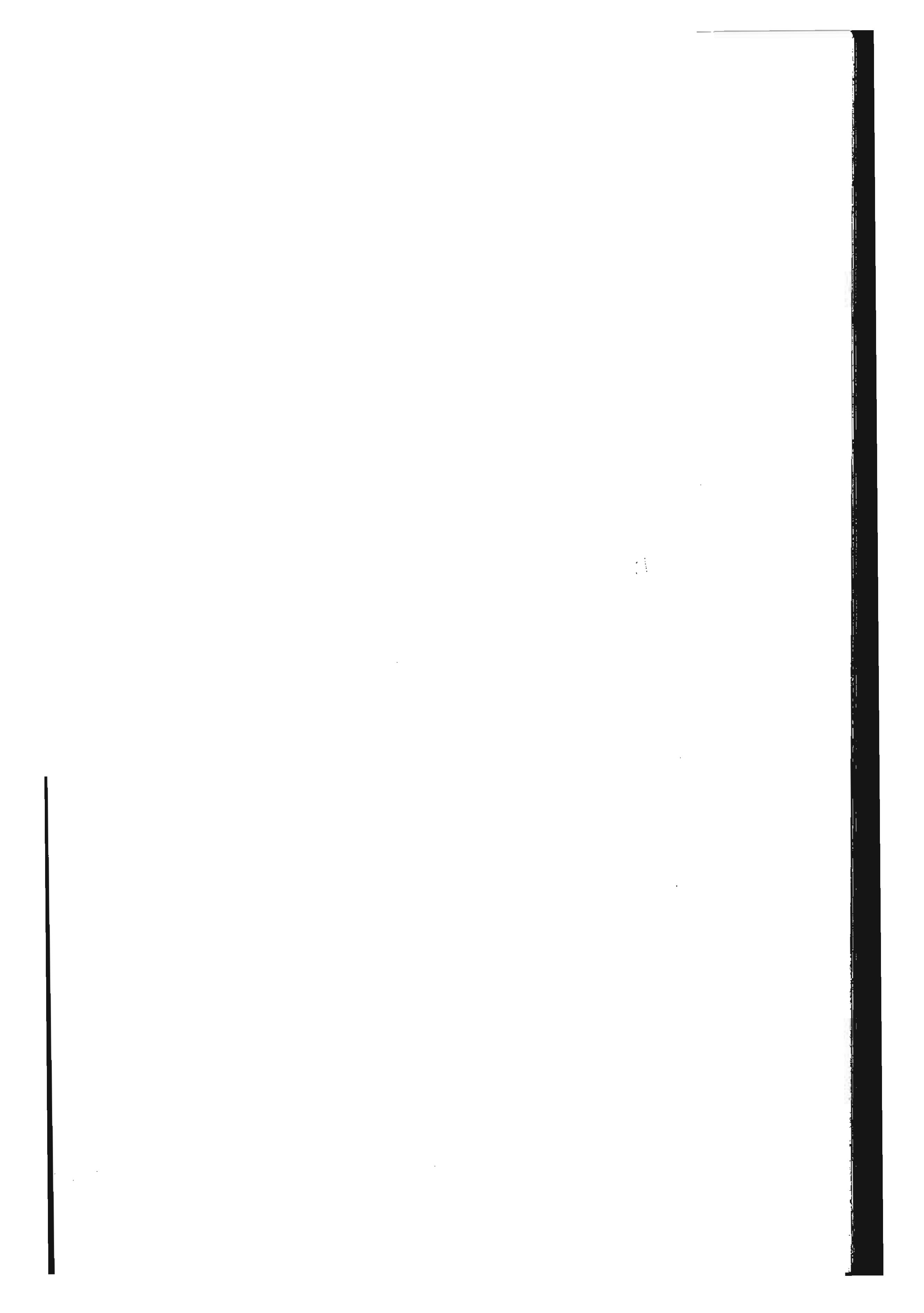
(١) ينظر: العبادة وآثارها النفسية والإجتماعية لنظام الدين عبد الحميد/ مكتبة القدس/ بغداد- ١٩٨٥م/ ص٦٢-٦٣، والتربية الصوفية وأثرها في الفرد والمجتمع رسالة دكتوراه تقدم بها وليد حسن العلاوي إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد- قسم أصول الدين/ سنة ١٤٢٥-٢٠٠٤/ ص١٩٣-١٩٥.

وبعد كل ما تقدم نجد أن العبادة الصوفية والسالكين لها هي أساس متين لقيام مجتمع إسلامي أصيل يهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة وتحقيق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).



الخـــاتمـــة



الخـــاتـمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين (ﷺ) وعلى ألـه وصحبه أجمعين.

وبعد فقد أسفر البحث في (علم التصوف وأثره في العبـادات) عـن النتـائج الآتية:

١- إن علم التصوف هو التخلي عن الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه النـاس من لذه ومال وجاه، والانقطاع لله تعالى والعكوف على عبادته، وتصفية القلوب من كدورها، ومنع النفوس حظوظها وملازمة الكتاب والـسنة والعمـل فـي حدودهما.

٢- غاية علم التصوف تكوين شخصية اسلامية مثالية تجتمع فيها جميـع معـاني الصلاح للوصول الى السمو والكمال الروحي المفضي إلى معرفته تعالى.

٣- إن لفظ التصوف مشتق من الصوف.

٤- علم التصوف من أشرف العلوم من جهة أن متعلقه هو ذات الله تعالى وأسماؤه وصفاته، وأن ثماره كالرجاء والخوف والورع وغيرها من أفضل الثمرات.

٥- إن الجمع بين الشريعة والحقيقة هو عنوان التصوف الـصحيح وكـل حقيقـة لاتشهد لها الشريعة فهي زندقة.

٦- العلاقة بين التصوف والفقه هي علاقة عموم وخصوص فكل صـوفي فقيـه وليس كل فقيه صوفياً.

٧- إن اسم الفقه في بداية نشأته كان مطلقاً علم الآخره ومعرفة دقـائق النفـوس والإطلاع على الآخره وحقارة الدنيا إلا أن الناس بعد ذلك قـد تـصرفوا فيـه نتيجة التخصص العلمي الدقيق فخصوه بعلم الفتاوى والوقوف علـى دلائلهـا وعللها.

٨- إن العلم الذي أهتم باصلاح الظاهر والباطن على حد سواء، ومعرفة علوم الدين الإسلامي بكتابه وسننته فرض عين على كل مكلف.

٩- لقد عرف علم التصوف بأسماء علمية اخرى من نبع مفهومه وأهدافه كعلم الاشارة، وعلم الحقيقة، والعلم القلبي، وعلم الباطن وغيرها، كما وعرف الصوفية بأسماء أخرى تبعاً لحالهم وأوصافهم، كالزهاد والفقراء والسياحيين وغيرها من الأسماء.

١٠- هناك اختلاف واضح بين علم التصوف وعلم الفلسفة من ناحية الموضوع، والمنهج، والمقياس ،والمسائل، والغاية لايمكن غض الطرف عنه.

١١- إن منبع التصوف وأساسه هو كتاب الله تعالى وسنه نبيه (ﷺ).

١٢- الصوفية هي طريقة في السلوك تركز على الإنشغال بإصلاح الباطن ومراقبته.

١٣- إن الفيصل في مسألة أصل التصوف هو سنة رسول الله (ﷺ)، فهي ترشد إلى أن الشريعة والحقيقة ينبعان مباشرة من تعليمات الرسول (ﷺ)، فكل طريقة صحيحة تعتمد على سلسلة تصل دائماً الى الرسول صلوات الله وسلامة عليه.

١٤- تطور التصوف ناتج عن إدامه تلاوة القرآن والتأمل فيه وممارسته وفق سنة رسول الله (ﷺ).

١٥- مدرسة المدينة التي تأسست على يد كبار التابعين هي أولى مدارس التصوف التي التزمت بما كان عليه النبي (ﷺ) من زهد وورع إسلامي خالص، وبعد ذلك بدأ التصوف يأخذ صورته النهائية بمدارس اختصت كل واحدة منها بصفات ميزتها عن المدارس الأخرى، كمدرسة البصرة، والكوفة، وبغداد وغيرها.

١٦- إن مشروعية علم التصوف تثبت بالكتاب والسنة والقدوة الصالحة المتمثلة بكل صحابي وتابعي من السلف الصالح. رضوان الله عليهم أجمعين.

١٧- إن العبادة هي مبنى التصوف بكل معانيه، وإن مقام العبد هو على قدر عبادته، وكل من يدعي أن العبادة تسقط في حال من الأحوال فهو مفترٍ كذاب.

١٨- لقد كان لعلم التصوف أثر واضح في أختلاف الفقهاء في بعض المسائل التعبدية.

١٩- لقد كانت التطبيقات الفقهية المفرعة عن الأسس الصوفية محصورة- بحكم الاستقراء والتتبع- في: الإخلاص، والتوبة والتقوى، ومجاهدة النفس والعلم.

٢٠- إن مبنى العبادة قائم على الأخلاص، فلا يمكن لأي شخص أن يخوض في مجال التصوف دون الإخلاص فهو شرط لقبول سائر الأعمال وأساسه الإيمان بالله تعالى.

٢١- الإخلاص على قسمين إخلاص العمل وإخلاص طلب الأجر، وأنواعه ثلاثة، إخلاص العمل وإخلاص طلب الأجر، وأنواعه ثلاثة: إخلاص العوام، والخواص، وخواص الخواص وأما أركانه فهي: النية، وإخلاصها، والصدق فيها.

٢٢- لقد كان لمبحث الإخلاص في علم التصوف الأثر الفقهي خاصة فيما يتعلق بإخلاص النية في العبادة من حيث اشتراطها في كل عمل ليصح أنه عبادة.

٢٣- تعد التوبة أساساً لكل مقام يرتقي إليه العبد حتى يموت وكل من لا توبة له فلا حال له ولا مقام، وقد أكد على وجوبها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٢٤- للتوبة ثلاثة أقسام: أولها من الخطأ إلى الصواب، وثانيها من الصواب إلى الأصوب وثالثها من الصواب ذاته الى الحق، وشرطها الندم على ما سلف من الذنوب، والإقلاع عنها في الحال والعزم على أن لا يعود إليها أبداً، وأن كانت المعصية متعلقة بالعباد فعليه أن يبرأ من حق صاحبها .

٢٥- ولقد كان لمبحث التوبة في علم التصوف الأثر في بعض الفروع الفقهية كما في حكم استباحة الرخص للعاصي في سفره، فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يستبيحها إلابالتوبة.

٢٦- تعد مجاهدة النفس واحدة من أهم ركائز التصوف، والتي يظهر أثرها واضحاً في جميع ميادين هذا العلم، وتستند في مشروعتها على الكتاب والسنة، والباعث عليها هو الخوف من عذاب الله سبحانه والطمع في رضوانه.

٢٧- لمجاهدة النفس أساليب كثيرة وسبل متعددة يمكن استخلاصها من موروث السنة النبوية وتعاليم الشريعة الإسلامية التي أوضحت معالم المجاهدة وارشدت إلى ما يسهل مشقتها ويخفف عناءها، ولها مقومات أساسية ترتكز عليها أهمها: الشيخ، والذكر، الخلوة، والصبر.

٢٨- لقد تفرع عن مبحث مجاهدة النفس وبعض مقوماتها في علم التصوف مسائل فقهية، كحكم ذكر الله تعالى للمحدث والجنب فهو جائز عند جمهور الفقهاء.

٢٩- التقوى مقام عظيم وأصل مهم من أصول علم التصوف لما له من أثر كبير في تقويم شخصية المسلم وارتقاء اخلاقه نحو أعلى درجات الكمال الممكنة، فهي مقياس إيمان المسلم ومكانته عند ربه على قدرها.

٣٠- تتحقق التقوى بالوقوف عند حدود الله عزوجل وإمتثال أوامره وإجتناب نواهيه والتوجه إليه وحده في العبادة.

٣١- لقد كان لمبحث التقوى في علم التصوف الأثر الفقهي في بعض المسائل، كحكم الوصية بالتقوى في خطبة الجمعة، فقد ذهب بعض الفقهاء- ومنهم الشافعية- إلى انها ركن من الأركان الواجبة في خطبة الجمعة.

٣٢- يعتبر اكتساب العلم الضروري من أهم النقاط الأساسية في المنهج العملي للتصوف، إذ لا يمكن للعمل ان يحقق فوائده بلا علم كما أنه لا فائدة للعلم بلا عمل، والعلم أولى بالتقديم لأنه الأصل والدليل، والعبادة تابعة له، ويقسم من حيث حكمه الشرعي على ثلاثة أقسام: مأمور به، ومنهي عنه، ومندوب إليه.

٣٣- لقد كان لمبحث العلم في علم التصوف الأثر الفقهي في بعض مسائل العبادات، كحكم ابتداء الطيب للمحرم في الحج، فأنه يحرم بإجماع المسلمين فهو من العلم العام المستفيض المتواتر الذي اتفق على نقله عن النبي (ﷺ) جميع أصحابه ومن أخذ العلم عنهم.

٣٤- للعبادة عند اهل التصوف مفهوم يتميز عن المفاهيم التي تعارف عليها عامة الناس، فجميع عباداتهم تؤدى بغاية الخشوع والخضوع لله تعالى والتضرع له سبحانه والخوف الدائم منه.

٣٥- الإيمان درجات، ومع كل درجة يصل اليها الإنسان يرتقي عنده مفهوم العبادة عما كان عليه في الدرجة السابقة.

٣٦- للايمان في كل فرع من فروعه علوم تعرف بعلوم القلوب، ولهذه العلوم وصف عام هو علم اليقين، ووصف خاص هو السكينة التي انزلت في قلوب المؤمنين.

٣٧- لليقين ثلاث درجات: الأولى علم اليقين، والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين.

٣٨- لقد ارتقت عبادة أهل التصوف انطلاقاً من عميق يقينهم بالله تعالى إلى أعلى الدرجات فصاروا يعبدونه سبحانه كما لو كانوا يرونه.

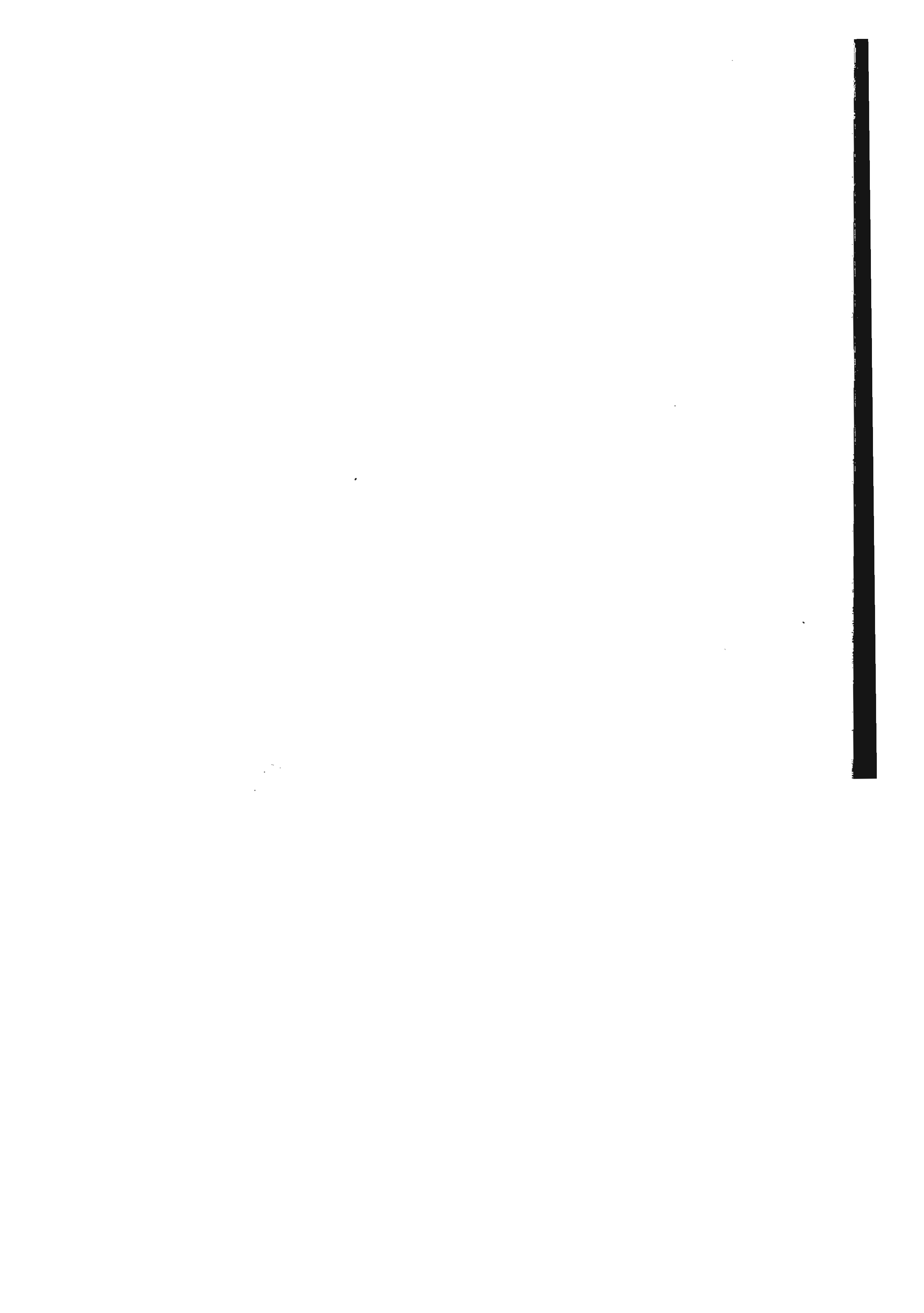
٣٩- إن حياة أهل التصوف التعبدية لا تقتصر على أداء أركان الإسلام فحسب، فهم قد توسعوا في العبادة وعمموها على سائر أعمالهم حتى صارت جميع حركاتهم وسكناتهم بل وحتى أنفاسهم عبادة.

٤٠- للعبادة الصوفية ثمرات هي: المحبة، والطمأنينة، والكرامة، والكشف، والألهام، والمعرفة بالله تعالى.

٤١- إن العبادة الصوفية والسالكين لها هي أساس متين لقيام مجتمع إسلامي أصيل يهدف إلى نشر الاخلاق الفاضلة وتحقيق السعادة والأمان من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع



المصـــادر والمـراجــع

- القرآن الكريم

وبعده:

١. أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)/ تحقيق: عبد الجبار زكار/ دار الكتب العلمية/ بيروت- ١٩٧٨م.
٢. إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ خرج أحاديث الإمام زين الدين أبي الفضل العراقي (ت ٨٠٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٨٦م.
٣. آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ تحقيق: د. محمد سعود المعيني/ مطبعة العاني/ بغداد- العراق.
٤. آداب النفوس للحارث بن أسد المحاسبي/ مكتبة جار الله/ تركيا.
٥. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الحموي/ مطبعة أمين/ ط٢/ سنة ١٢٥٤هـ.
٦. أسئلة وأجوبة عن التصوف لحازم نايف أبي غزالة/ دار الإمام النووي/ ط١/ عمان- الأردن/ ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٧. أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية د. مصطفى الزلمي/ الدار العربية للطباعة.
٨. الإستقامة لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)/ تحقيق: د. محمد رشاد سالم/ جامعة الإمام محمد بن سعود/ ط١/ المدينة المنورة- ١٤٠٣هـ.
٩. أسس الفلسفة د. توفيق الطويل/ دار النهضة العربية/ ط٧/ القاهرة- ١٩٧٩م.

١٠. الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي- ١٣٥٦هـ.
١١. أصول التصوف الإسلامي الأول د. عبد المحسن الحسيني/ مطبعة بيشاور- ١٩٥٤م.
١٢. أصول السرخسي لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣هـ)/ تحقيق: أبو الوفا الأفغاني/ دار المعرفة/ بيروت- ١٣٧٢هـ.
١٣. الأصول والضوابط لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦هـ)/ تحقيق: محمد حسن هيتو/ دار البشائر الإسلامية/ ط١/ بيروت- ١٤٠٦هـ.
١٤. إعانة الطالبين لأبي بكر السيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي (ت ١٨٨٣هـ)، دار الفكر/ بيروت- لبنان.
١٥. الإعتصام للإمام أبي إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)/ تحقيق: السيد محمد رشيد رضا/ المكتبة التجارية الكبرى/ مصر.
١٦. الأعلام لخير الدين الزركلي/ ط٣.
١٧. أعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبي عبد الله محمد المعروف بإبن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية/ بيروت- لبنان.
١٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لإبن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد حامد الفقي/ دار المعرفة/ ط٢/ بيروت- لبنان/ ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
١٩. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع لمحمد الشربيني الخطيب الشافعي/ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات/ دار الفكر/ بيروت- ١٤١٥هـ.

٢٠. الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)/ دار المعرفة/ ط٢/ بيروت- ١٣٩٣هـ.
٢١. الإنتصار لطريق الصوفية لأحمد صديق الغماري/ مطبعة دار التأليف/ مصر.
٢٢. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ)/ تحقيق: محمد حامد الفقي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان.
٢٣. أنوار الحقيقة مباحث في التصوف والسلوك لسعيد النورسي/ ترجمة: إحسان قاسم الصالحي/ مطبعة الحوادث/ ط١/ بغداد- العراق/ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٤. الأنوار القدسية في بيان القواعد الصوفية للإمام عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)/ تحقيق: لجنة التراث في الدار/ دار صادر/ ط١/ بيروت- ١٩٩٩م.
٢٥. أنيس الفقهاء لقاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي (ت ٩٧٨هـ)/ تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي/ دار الوفاء/ ط١/ جدة- ١٤٠٦هـ.
٢٦. إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن عجيبة/ المطبعة الجمالية- ١٣٣١هـ.
٢٧. أيها الولد لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ ترجمة توفيق الصالح/ اللجنة الدولية للترجمة/ ط٢/ بيروت- ١٩٥٩م.
٢٨. البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم بن نجيم (ت ٩٧٠هـ)/ دار المعرفة/ بيروت- لبنان.
٢٩. البحر الزاخر باليواقيت والجواهر للحاجة نعيمة عبد الفتاح الصباغ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت- لبنان.

٣٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر بن محمد مسعود الحنفي الكاساني (ت ٥٨٧هـ)/ دار الكتاب العربي/ ط٢/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥هـ)/ دار الفكر/ بيروت- لبنان.
٣٢. البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)/ مكتبة المعارف والنصر/ ط١/ بيروت- لبنان.
٣٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)/ دار المعرفة/ بيروت- لبنان.
٣٤. البرهان المؤيد للسيد أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ)/ تحقيق: صفوت السقا/ مكتبة الربيع/ ط٢/ حلب- ١٩٦٢م.
٣٥. بهجة الطائفة وصوم القلب لضياء الدين أبي ياسر عمار البدليسي (ت ٥٩٠هـ)/ تحقيق: إدوارد بدين/ الشركة المتحدة/ ط١/ بيروت- ١٩٩٩م.
٣٦. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ/ تحقيق: حسن السندوبي/ المكتبة التجارية الكبرى/ بيروت- لبنان.
٣٧. بين السلفية والصوفية الإعتقاد الصحيح والسلوك السليم لزاهد يحيى الزرقي/ مطبعة الحوادث/ ط١/ بغداد- ١٩٩٩م.
٣٨. تاج العارفين الجنيد البغدادي/ دراسة وجمع وتحقيق: د. سعاد الحكيم/ دار الشروق/ ط١/ القاهرة- ٢٠٠٤م.
٣٩. تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين أبي الفيض محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ)/ دار ليبيا للنشر والتوزيع/ بنغازي.

٤٠. التاج والإكليل لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري المواق (ت ٨٩٧هـ)/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- ١٣٩٨هـ.
٤١. تارج آداب اللغة العربية لجورجي زيدان/ ط ١٩٣٦م.
٤٢. تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين لمحمد أحمد الذهبي/ دار الكتاب العربي/ ط١/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٤٣. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)/ المكتبة السلفية/ المدينة المنورة.
٤٤. تاريخ التصوف الإسلامي د. قاسم غني/ ترجمة: صادق نشأت/ مراجعة د. أحمد ناجي القيسي، ود. محمد مصطفى حلمي/ مكتبة النهضة/ مصر.
٤٥. تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني د. عبد الرحمن بدوي/ وكالة المطبوعات/ ط١/ الكويت- ١٩٧٥م.
٤٦. تاريخ الخلفاء الراشدين لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)/ مطبعة المدني/ القاهرة- ١٣٨٣هـ.
٤٧. تحفة الفقهاء لمحمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي (ت ٥٣٩هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٤٠٥هـ.
٤٨. تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدرآباد- الهند/ ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
٤٩. التربية الصوفية وأثرها على الفرد والمجتمع رسالة دكتوراه تقدم بها وليد حسن طه العلاوي إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد- قسم اصول الدين/ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٥٠. تربيتنا الروحية لسعيد حوى/ دار الكتب العربية/ ط١/ بيروت- دمشق/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥١. ترتيب القاموس المحيط لطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي/ مطبعة الرسالة/ ط١/ القاهرة- ١٩٥٩م.

٥٢. التصوف الإسلامي بين الأصالة والإقتباس في عصر النابلسي لعبد القادر أحمد عطا/ دار الجيل/ ط١/ بيروت- ١٩٨٧م.

٥٣. التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه لأحمد توفيق عياد/ المطبعة الحديثة/ القاهرة- مصر.

٥٤. التصوف الإسلامي في مراحل تطوره د. عبد المحسن سلطان/ دار الآفاق العربية/ القاهرة- مصر/ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٥٥. التصوف الثورة الروحية في الإسلام لأبي العلا عفيفي/ دار الشعب/ القاهرة.

٥٦. التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي د. مجدي محمد إبراهيم/ تصدير: د. عاطف العراقي/ مكتبة الثقافة الدينية/ ط١/ القاهرة- ٢٠٠٢م.

٥٧. التصوف في المنظور الإسلامي رسالة ماجستير تقدم بها الحافظ عبد الخالق خوشي محمد إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد- كلية أصول الدين/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٨. التصوف النفسي د. عامر النجار/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مصر- ٢٠٠٢م.

٥٩. التصوف وفريد الدين العطار لعبد الوهاب عزام/ دار إحياء التراث العربي/ ١٩٤٥م.

٦٠. التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)/ تحقيق: محمد رمضان الداية/ دار الفكر المعاصر- دار الفكر/ بيروت- دمشق/ ط١/ سنة ١٤١٠هـ.

٦١. التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)/ ضبطه وعلق عليه: أحمد شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٩٣م.
٦٢. التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)/ تحقيق: إبراهيم الأبياري/ دار الكتب العربي/ ط١/ بيروت- ١٠٤٥هـ.
٦٣. تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر.
٦٤. تفسير العلامة أبي السعود على هامش التفسير الكبير لفخر الدين الرازي/ المطبعة البهية المصرية/ ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.
٦٥. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)/ دار المعرفة/ بيروت- ١٩٨١م.
٦٦. التفسير الكبير المسمى مفاتح الغيب لمحمد بن فخر الدين ضياء الدين عمر الرازي المشتهر بخطيب الري/ المطبعة البهية المصرية/ ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
٦٧. التفكير الفلسفي الإسلامي لسليمان دنيا/ مكتبة الخانجي/ مصر.
٦٨. تلبيس إبليس لأبي الفرج بن الجوزي/ دار العلوم الحديثة/ بيروت- لبنان.
٦٩. التمهيد بما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الأندلسي (٤٦٣هـ)/ تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المغرب- ١٣٨٧هـ.
٧٠. التنبيه لإبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)/ تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر/ دار عالم الكتب/ ط١/ بيروت- ١٤٠٣هـ.

٧١. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)/ دار صادر/ ط١/ بيروت- لبنان.

٧٢. تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق لمحمود بن أحمد الفاريابي (ت ٦٠٧هـ)، هذبه وخرج أحاديثه محمد خير رمضان يوسف/ دار ابن حزم/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ)/ تحقيق: د. بشار عواد معروف/ مؤسسة الرسالة/ ط١/ سنة ١٩٨٣م.

٧٤. الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدرآباد- الهند/ ط١/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٧٥. جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)/ دار الفكر/ بيروت- لبنان/ ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٧٦. جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٥٠هـ)/ دار المعرفة/ ط١/ بيروت- ١٤٠٨هـ.

٧٧. جامع كرامات الأولياء ليوسف بن إسماعيل النباهي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ ط١/ ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.

٧٨. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)/ أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان/ سنة ١٩٦٥م.

٧٩. الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الرازي (٣٢٧هـ)/ مطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية/ ط١/ حيدرآباد- الهند/ سنة ١٩٥٢م.

٨٠. الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (٧٧٥هـ)/ دار مير محمد كتب خانة/ كراتشي.

٨١. حاشية البجيرمي المسماة (بتحفة الحبيب على شرح الخطيب لسليمان بن عمر بن محمد البجيرمي (ت ١٢٢١هـ)/ المكتبة الإسلامية/ ديار بكر- تركيا.

٨٢. حاشية رد المحتار على الدر المختار لمحمد أمين الشهير بابن عابدين (ت ١٢٢٥هـ)/ مطبعة بولاق/ مصر- ١٣٢٣هـ.

٨٣. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح لأحمد بن محمد بن اسماعيل الطحطاوي الحنفي (ت ١٢٣١هـ)/ مكتبة البابي الحلبي/ ط٣/ مصر- ١٣١٨هـ.

٨٤. حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي/ المطبعة الشرقية/ مصر- ١٢٩٩هـ.

٨٥. حالة أهل الحقيقة مع الله للسيد أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ)/ جمع: أبو الشجاع بن منهج الشافعي الواسطي/ تقديم: محمد نجيب خياطة/ مكتبة بسام/ الموصل- العراق.

٨٦. حجة الله البالغة لأحمد شاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)/ ضبطه ووضع حواشيه: محمد سالم هاشم/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٨٧. حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ليوسف بن إسماعيل النباهي/ الطبعة المصورة/ بيروت.

٨٨. الحدود الأنيقة لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)/ تحقيق: د. مازن المبارك/ دار الفكر المعاصر/ بيروت- ١٤١١هـ.

٨٩. حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى/ مطبعة النـواعير/ ط٥/ الرمـادي- ١٩٩٢م.

٩٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بـن عبـد الله الأصـفهاني (ت ٤٣٠هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط٢/ بيروت- ١٩٨٨م.

٩١. حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء لسيف الدين محمد بن أحمد الـشاشي القفال (ت ٥٠٧هـ)/ تحقيق: د. ياسين أحمد إبـراهيم درادكـة/ مؤسـسة الرسالة- دار الأرقم/ ط١/ بيروت- عمان/ سنة ١٤٠٠هـ.

٩٢. حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب لعماد الدين الأمـوي بهـامش قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي/ دار الفكر.

٩٣. دائرة المعارف الإسلامية/ ترجمة أحمد الشنتاوي وابراهيم زكي وعبد الحميد يونس/ مصر.

٩٤. دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية د. علي عبد الفتاح المغربـي/ مكتبة وهبة/ ط١/ القاهرة- مصر/ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٩٥. دراسات في التصوف الإسلامي لمحمد جلال شرف/ دار الفكـر الجـامعي/ ١٩٨٣م.

٩٦. الدر المختار شرح تنوير الأبصار لعلاء الـدين محمـد بـن الـشيخ علـي الحصكفي (ت ١٠٨٨هـ)/ دار الفكر/ ط٢/ بيروت- ١٣٨٦هـ.

٩٧. الديباج المذهب لابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي/ دار الكتـب العلمية/ بيروت- لبنان.

٩٨. الرسالة القشيرية في علم التصوف للإمام أبو القاسم القشيري/ تعليق الإمـام زكريا الأنصاري/ دار التربية/ بغداد- العراق.

٩٩. رسالة المسترشدين لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)/ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة/ اشراف ومراجعة: الشيخ حسنين محمد مخلوف/ مكتب المطبوعات الإسلامية/ ط٩/ بيروت- لبنان/ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٠٠. الرعاية لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)/ تحقيق: عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي/ دار الكتب الحديثة- ١٩٥٨م.

١٠١. الروح لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بإبن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٠٢. روح الدين الإسلامي لعفيف عبد الفتاح طبّارة/ دار الكتب/ ط٦/ بيروت- لبنان/ ١٣٨٤هـ-١٩٩٤م.

١٠٣. روضة الطالبين وعمدة السالكين للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ تحقيق: الشيخ مصطفى أبو الغلا/ مكتبة الجندي/ مصر.

١٠٤. روضة الطالبين وعمدة المفتين لمحب الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)/ إشراف مكتب البحوث والدراسات/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت- لبنان/ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠٥. الروض المربع لمنصور بن يونس بن ادريس البهوتي (ت ١٠٥١هـ)/ مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض- ١٣٩٠هـ.

١٠٦. رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)/ تحقيق: عبد الله أحمد أبو زينة/ دار القلم/ بيروت- لبنان.

١٠٧. الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري/ القاهرة- ١٣٢٧هـ.

١٠٨. الزهد لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ)/ تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد/ دار الريان للتراث/ ط٢/ القاهرة- ١٤٠٨هـ.

١٠٩. سر الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني.

١١٠. سراج الطالبين شرح الشيخ إحسان محمد دحلان الحمفسي الكديري على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للإمام الغزالي/ ضبطة وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١١١. سراج القلوب للشيخ محمد عثمان النقشبندي/ مطبعة النواعير/ ط١/ الرمادي- ١٩٩٠م.

١١٢. سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الفكر/ بيروت- لبنان.

١١٣. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث بن اسحاق السجستاني (ت ٢٧٥هـ)/ إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز/ دار السلام/ ط١/ دمشق- ١٩٩٩م.

١١٤. سنن الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)/ دار احياء التراث العربي/ بيروت- لبنان.

١١٥. السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/ تحقيق: محمد عبد القادر عطا/ دار الباز/ مكة المكرمة- ١٩٩٤م.

١١٦. سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١١٧. سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ ط٤/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١١٨. السير والسلوك إلى ملك الملوك للشيخ قاسم بن صلاح الدين الخاني (ت ١١٠٩هـ)/ تحقيق: سعيد عبد الفتاح/ مكتبة الثقافة الدينية/ ط١/ القاهرة- ٢٠٠٢م.
١١٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الشهير بابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)/ مكتبة المقدسي/ القاهرة- ١٣٥٠هـ.
١٢٠. شرح تائية السلوك إلى ملك الملوك للسيد أحمد عرب الشرنوبي (ت ٩٩٤هـ)/ شرحها وحققها/ الشيخ عبد المجيد الشرنوبي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ٢٠٠٢م.
١٢١. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٤١١هـ.
١٢٢. شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)/ تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٢٣. شرح العقائد النسفية لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩١هـ)/ ط١/ تركيا- ١٣٢٦هـ/ أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى- بغداد.
١٢٤. شرح العمدة لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٧هـ)/ تحقيق د. سعود صالح العطيشان/ مكتبة العبيكان/ ط١/ الرياض- ١٤١٣هـ.
١٢٥. الشرح الكبير على مختصر خليل لأبي البركات سيدي أحمد الدردير (ت ١٢٠١هـ)/ تحقق: محمد عليش/ دار الفكر- بيروت.

١٢٦. شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٤١٠هـ.

١٢٧. شفاء النفس وغناء الروح لأنس أحمد كرزون/ دار نور المكتبات- دار ابن حزم.

١٢٨. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ)/ دار الكتاب العربي/ بيروت- ١٣٩٥هـ.

١٢٩. صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ ط٢/ بيروت- لبنان/ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٣٠. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان.

١٣١. صحيح مسلم لأبي الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الحديث/ القاهرة- مصر.

١٣٢. صحيح مسلم بشرح النووي/ المطبعة المصرية/ القاهرة- مصر.

١٣٣. صفة الصفوة لجمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)/ تحقيق: محمود فاخوري/ دار الوعي/ ط١/ حلب- ١٩٦٩م.

١٣٤. صفوة التصوف ابن القيسراني المقدسي (ت ٥٠٧هـ)/ تحقيق: غادة المقدم/ دار المنتخب العربي/ ط١/ بيروت- ١٩٩٥م.

١٣٥. الصلاة وحكم تاركها لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي/ دار الجفان والجاني- دار ابن حزم/ ط١/ قبرص- بيروت/ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣٦. طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي/ دار المعرفة/ ط٢/ بيروت- لبنان.

١٣٧. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)/ تحقيق: نور الدين شريبة/ مطبعة المدني/ ط٣/ مصر- ١٩٨٦م.

١٣٨. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)/ دار صادر/ لبنان- ١٩٥٧م.

١٣٩. الطبقات الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)/ ضبطه وصححه: خليل المنصور/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٩٧م.

١٤٠. طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)/ تحقيق: خليل الميس/ دار القلم/ بيروت.

١٤١. طي السجل لمحمد مهدي بهاء الدين الرفاعي الشهير بالرواس/ تحقيق: عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط/ ط١/ سنة ١٣٩١هـ.

١٤٢. العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية لنظام الدين عبد الحميد/ مكتبة القدس/ بغداد- العراق.

١٤٣. عدة الصابرين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: زكريا علي يوسف/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان.

١٤٤. علم أصول الدين وأثره في الفقه الإسلامي رسالة دكتوراه تقدم بها عبد الرحمن كمال محمد إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد/ قسم أصول الدين/ سنة ٢٠٠٥م.

١٤٥. علي بن أبي طالب شخصيته وعصره د. علي محمد محمد الصلابي دار ابن كثير/ ط٢/ بيروت- دمشق/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٤٦. عواطف اللطائف من أحاديث عوارف المعارف لأحمد بن محمد بن صديق الغماري/ المكتبة المكية/ ط١/ السعودية/ سنة ٢٠٠١م.

١٤٧. عوارف المعارف للإمام شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ)/ ضبطه محمد عبد العزيز الخالدي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٩٩م.

١٤٨. الغرة المنيفة لأبي حفص عمر الغرنوي الحنفي (ت ٧٧٣هـ)/ تحقيق: محمد زاهد/ مكتبة الإمام أبي حنيفة/ ط٢/ بيروت ١٩٨٨م.

١٤٩. غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)/ حيدرآباد- الهند/ سنة ١٩٦٤م.

١٥٠. الغنية لطالبين طريق الحق عزوجل في معرفة الاداب الشرعية للشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)/ تحقيق: فرج توفيق الوليد/ دار الحرية للطباعة/ بغداد- العراق/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٢م.

١٥١. الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي/ المطبعة الميمنية/ مصر- ١٣٠٧هـ.

١٥٢. فتاوى السغدي المسماة (النتف في الفتاوى) لأبي الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدي (ت ٤٦١هـ)/ تحقيق د. صلاح الدين الناهي/ مؤسسة الرسالة- دار الفرقان/ ط٢/ بيروت- عمان/ سنة ١٤٠٤هـ.

١٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب/ دار المعرفة/ بيروت- ١٣٧٩هـ.

١٥٤. الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)/ دار المعرفة/ بيروت- ١٩٧٩م.

١٥٥. الفتوحات المكية لمحب الدين ابن عربي/ مطبعة الميمنة/ مصر- ١٣٢٩هـ.

١٥٦. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لأحمد بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)/ دار النذير/ بغداد- ١٩٦٩م.

١٥٧. الفروع لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (ت ٧٦٢هـ)/ تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٤١٨هـ.

١٥٨. فلسفة الحياة الروحية منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية د. مقداد يالجن/ دار الشروق/ ط١/ بيروت- ١٩٨٥م.

١٥٩. الفواكه الدواني لأحمد بن غنيم بن سالم النفرواي المالكي ٠ت ١١٢٥هـ)/ دار الفكر/ بيروت- ١٤١٥هـ.

١٦٠. في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكلسون/ ترجمة د. أبو العلا عفيفي/ سنة ١٩٤٧م.

١٦١. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي/ مطبعة مصطفى محمد/ القاهرة- ١٣٥٦هـ.

١٦٢. قاعدة في المحبة لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)/ تحقيق: فواز أحمد زمرلي/ المكتب الإسلامي- دار ابن حزم/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٢٠هـ-١٩٩٠م.

١٦٣. القاموس المحيط لمجد الدين محمود بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ ط٢/ مصر- ١٩٥٢م.

١٦٤. قضية التصوف المنقذ من الضلال د. عبد الحليم محمود/ دار المعارف/ ط٣/ القاهرة- ١٩٨٨م.

١٦٥. قواعد الاحكام في مصالح الأنام لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان.
١٦٦. قواعد التصوف لأبي العباس أحمد بن زروق (ت ٨٩٩هـ)/ تحقيق: عبد المجيد خيالي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٦٧. القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الغرناطي (ت ٧٤٠هـ).
١٦٨. قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب محمد بن أبي الحسن المكي/ دار الفكر.
١٦٩. الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)/ تحقيق: زهير الشاويش/ المكتب الإسلامي/ ط٥/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٧٠. كتاب الزهد الكبير لأبي بكر أحمد بن حسين بن علي بن عبد الله البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/ تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية/ ط٣/ بيروت- ١٩٩٦م.
١٧١. كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز/ تحقيق: د. عبد الحليم محمود/ دار الكتب الحديثة/ ط٢/ ١٩٦٤م.
١٧٢. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢هـ)/ تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي/ مكتب ابن تيمية.

١٧٣. كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس بن ادريس البهوتي (ت ١٠٥١هـ)/ تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال/ دار الفكر/ بيروت- ١٤٠٢هـ.
١٧٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة منشورات مكتبة المثنى بغداد.
١٧٥. كشف المحجوب لأبي الحسن علي بن عثمان الهجويري (ت ٤٩٢هـ)/ دراسة وتعليق د. سعاد عبد الهادي/ دار النهضة العربية/ بيروت- ١٩٨٠م.
١٧٦. كفاية الطالب لأبي الحسن المالكي/ تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي/ دار الفكر/ بيروت- ١٤١٢هـ.
١٧٧. الكواكب الدرية لعبد الرؤوف المناوي/ المطبعة التيجانية.
١٧٨. كيمياء السعادة للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ تحقيق: محمد مصطفى أبو العلاء ومحمد محمد الجابر/ مكتبة الجندي/ سنة ١٩٤٩م.
١٧٩. لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)/ الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٨٠. لطائف المعارف لإبن رجب الحنبلي/ دار ابن كثير.
١٨١. لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن لإبن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩هـ)/ ضبط حواشيه: خليل المنصور/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان.
١٨٢. لطائف المنن والأخلاق المعروف بالمنن الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعراني/ المطبعة الميمنية/ مصر- ١٣٢١هـ.

١٨٣. اللمع في التصوف لأبي نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ)/ صححه واعتنى به: رينولد ألت نيكلسون/ مطبعة بريل/ ليدن- ١٩١٤م.

١٨٤. لوامع الانوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لمحمد بن أحمد السّفاريني الأثري الحنبلي/ مطابع دار الأصفهاني وشركاؤه/ جدة- ١٣٨٠هـ.

١٨٥. ما هو التصوف للشيخ أمين علاء الدين النقشبندي/ تقديم الشيخ عبد الكريم المدرس.

١٨٦. المبدع لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي (ت ٨٨٤هـ)/ المكتب الإسلامي/ بيروت- ١٤٠٠هـ.

١٨٧. المبسوط لأبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣هـ)/ دار المعرفة/ بيروت- ١٤٠٦هـ.

١٨٨. مجلة الإسلام والتصوف العدد العاشر- السنة الثالثة

١٨٩. مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم سنة ١٣٧٦هـ/ بحث عن التصوف من الوجهة التاريخية د. أحمد علوش.

١٩٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)/ دار الكتب العربي/ ط٢/ بيروت- ١٩٦٧م.

١٩١. مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)/ تقديم: د. سيد حسين العفاني/ تحقيق: خيري سعيد/ المكتبة التوفيقية/ القاهرة- مصر.

١٩٢. المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)/ تحقيق: محمود مطرحي/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤١٧هـ-١٩٧٦م.

١٩٣. المحبة الالهية في الإسلام لحامد نايف أبي غزالة/ دار الإمام النووي/ ط٢/ عمان- الأردن/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٩٤. المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني (ت ٦٥٢هـ)/ مكتبة المعارف/ ط٢/ الرياض- ١٤٠٤هـ.

١٩٥. المحلى لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)/ تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي/ دار الآفاق الجديدة/ بيروت- لبنان.

١٩٦. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي/ تحقيق: محمود خاطر/ المطابع الأميرية/ ط٩/ القاهرة- ١٩٦٢م.

١٩٧. مختصر منهاج القاصدين لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)/ إعداد: قسم الترجمة والتحقيق في الدار/ دار الإسراء/ ط١/ عمان- الأردن/ سنة ٢٠٠٤م.

١٩٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لإبن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ بيروت.

١٩٩. مدخل إلى التصوف الإسلامي لأبي الوفا الغنيمي التفتازاني/ دار الثقافة للنشر والتوزيع/ ط٣/ القاهرة- ١٩٧٩م.

٢٠٠. مراتب الإجماع لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)/ تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي/ دار الآفاق الجديدة/ بيروت- لبنان.

٢٠١. المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ دارالكتب العلمية/ ط١/ بيروت- ١٩٩٠م.
٢٠٢. مسند أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي/ تحقيق: حسين سليم أسد/ دار المأمون للتراث/ ط١/ دمشق- ١٩٨٤م.
٢٠٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)/ مؤسسة قرطبة/ مصر.
٢٠٤. مسند الشهاب لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤هـ)/ تحقيق: حمدي عبد المجيد/ دار النشر- ١٩٨٦م.
٢٠٥. المشكلة الأخلاقية والفلاسفة لأندريه كريسون/ تعليق: عبد الحليم محمود/ مكتبة الأسرة/ مصر- ٢٠٠٤.
٢٠٦. مصنف ابن أبي شيبة أبي بكر عبد الله بن محمد/ تحقيق: كمال يوسف الحوت/ مكتبة الرشد/ ط١/ الرياض- ١٤٠٩هـ.
٢٠٧. المطلع لأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي (ت ٧٠٩هـ)/ المكتب الإسلامي/ تحقيق: محمد بشير الأدلبي/ بيروت- ١٩٨١م.
٢٠٨. معالم الطريق إلى الله بين الشريعة والطريقة والحقيقة على أضواء من نور الإسلام والإيمان والإحسان لمحمود أبي الفيض المنوفي/ دار نهضة مصر/ القاهرة- ١٩٦٩م.
٢٠٩. المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان الطبري (ت ٣٦٠هـ)/ تحقيق: طارق بن عوض/ دار الحرمين/ القاهرة- ١٤١٥هـ.
٢١٠. المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبري (ت ٣٦٠هـ)/ تحقيق: حمدي عبد المجيد/ مكتبة العلوم والحكم/ ط٢/ الموصل- ١٩٨٣م.

٢١١. معجم المصطلحات والإشارات الصوفية للقاشاني/ تحقيق: سعيد عبد الفتاح/ دار الكتب المصرية/ مصر- ١٩٩٦م.
٢١٢. معراج التشوف إلى حقائق التصوف لأحمد بن محمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ)/ مطبعة الإعتدال/ سنة ١٣٥٥هـ.
٢١٣. المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- ١٤٠٥هـ.
٢١٤. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج لمحمود الخطيب الشربيني (ت ٩٩٧هـ)/ دار الفكر/ بيروت- لبنان.
٢١٥. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)/ الجامعة الإسلامية/ ط٣/ المدينة المنورة- ١٣٩٩هـ.
٢١٦. مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد/ دار الرائد العربي/ بيروت- لبنان.
٢١٧. مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده/ الازهر- مصر.
٢١٨. المكتوبات الربانية للإمام أحمد بن عبد الاحد السرهندي الفاروقي النقشبندي (ت ١٠٣٢هـ)/ جمع: يارمحمد الطالقاني/ تعليق: مصطفى حسنين عبد الهادي/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان.
٢١٩. الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)/ تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور/ دار المعرفة/ ط٢/ بيروت- ١٩٩٢م.

٢٢٠. منازل السائرين لعبد الله الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)/ مطبعة منير/ بغداد- العراق.

٢٢١. المنتخب من مسند عبد بن حميد بن نصر أبي محمد (ت ٢٤٩هـ)/ تحقيق: صبحي السامرائي، محمود محمد الصميدعي/ مكتبة السنة/ ط١/ القاهرة- ١٩٨٨م.

٢٢٢. من التراث الصوفي لسهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ)/ تحقيق: محمد كمال ابراهيم/ ط١/ دار المعارف/ مصر- ١٩٧٤م.

٢٢٣. المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ بقلم: د. عبد الحليم محمود/ دار الكتب الحديثة/ ط٦/ القاهرة- ١٩٦٨م.

٢٢٤. منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ تحقيق: محمود مصطفى حلاوي/ مؤسسة الرسالة/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٢٥. المنهج القويم في شرح المقدمة الحضرمية لابن حجر الهيتمي الشافعي (ت ٩٧٣هـ).

٢٢٦. المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد د. عاطف العراقي/ دار المعارف/ ط/ القاهرة- ١٩٤٨م.

٢٢٧. مواهب الجليل لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي (ت ٩٥٤هـ)/ دار الفكر/ ط٢/ بيروت- ١٣٩٨م.

٢٢٨. موسوعة الفلسفة والفلاسفة د. عبد المنعم الحفني/ مكتبة مدبولي/ ط٢/ سنة ١٩٩٩م.

٢٢٩. موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان للشيخ محمد الكسنزان/ دار المحبة/ ط١/ دمشق- ٢٠٠٥م.

٢٣٠. المهذب في فقه الإمام الشافعي لأبي إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)/ دار الفكر/ بيروت.

٢٣١. نشأة التصوف الإسلامي لابراهيم بسيوني/ دار المعارف/ القاهرة- مصر.

٢٣٢. نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية لعبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ)/ تحقيق: عبد الناصر سعدي/ مكتبة الثقافة الدينية/ ط١/ القاهرة- ٢٠٠٤م.

٢٣٣. نهاية الزين لأبي عبد الله المعطي محمد بن عمر بن علي بن نووي الجاوي/ دار الفكر/ ط١/ بيروت- لبنان.

٢٣٤. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي/ المكتبة العلمية/ بيروت.

٢٣٥. نور الإيضاح ونجاة الأرواح لأبي الإخلاص حسن الوفائي الشرنبلالي/ دار الحكمة/ دمشق/ سنة ١٩٨٥م.

٢٣٦. الهداية شرح البداية لأبي الحسين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغياني (ت ٥٩٣هـ)/ المكتبة الإسلامية/ بيروت- لبنان.

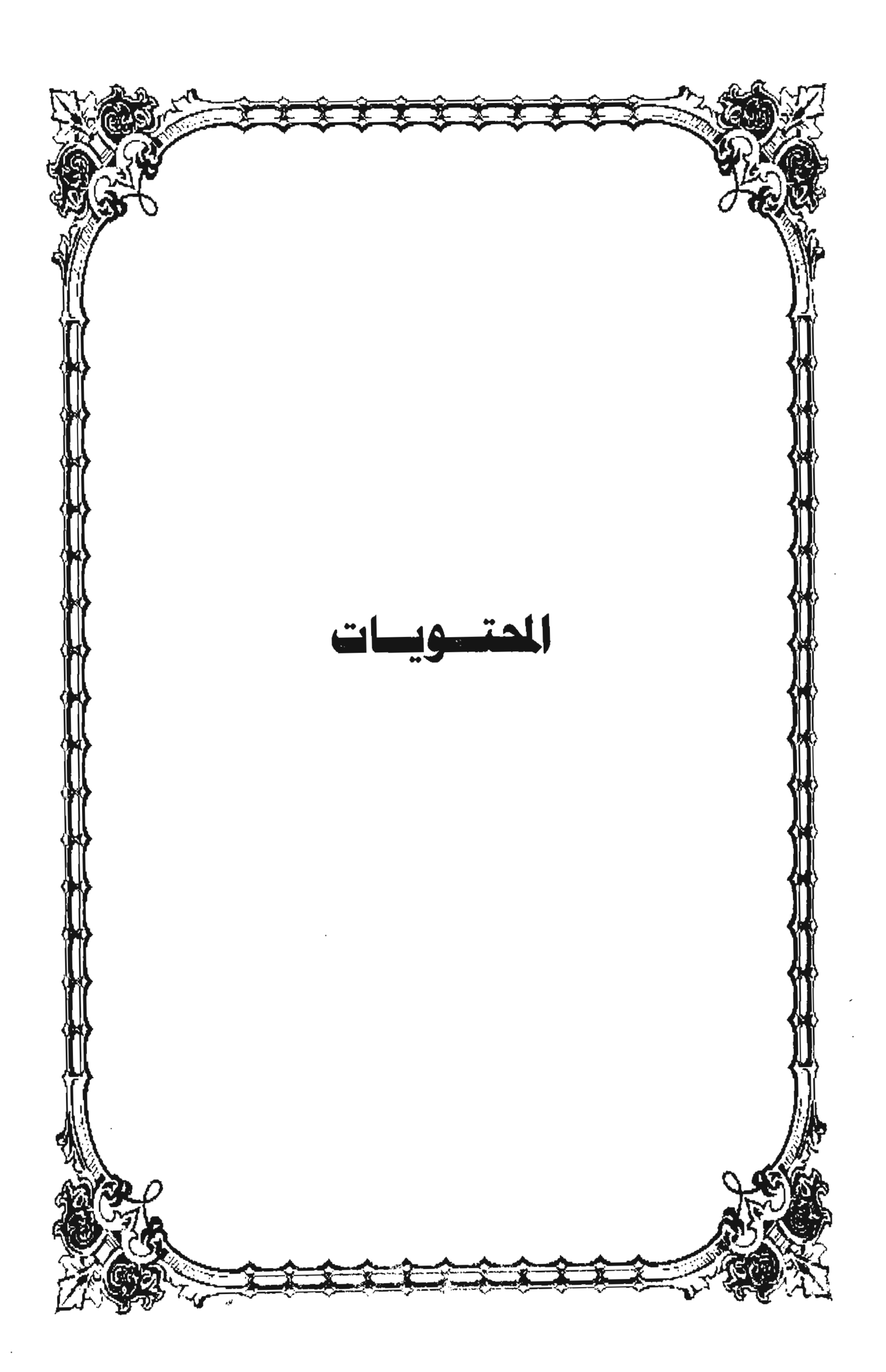
٢٣٧. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي/ مكتبة المثنى/ بيروت- ١٩٥٥م.

٢٣٨. الوابل الصيب من الكلم الطيب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان/ دار الرائد العربي/ بيروت- لبنان.

٢٣٩. الوصايا لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)/ تحقيق: عبد القادر أحمد عطا/ دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٤٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)/ تحقيق: محمد محي الدين/ مكتبة النهضة المصرية/ ط١/ القاهرة- ١٩٤٨م.

٢٤١. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)/ مصر- ١٩٥٩م.



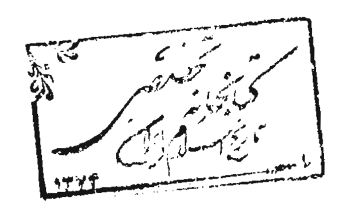
المحتويات



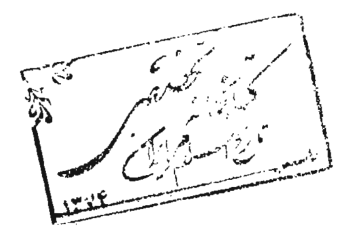
المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
الفصل الأول: التعريف بعلم التصوف وبيان صلته بالعبادات	١٥
المبحث الأول: علم التصوف تعريفه، نشأته، مشروعيته	**١٦**
المطلب الأول: تعريفه	١٦
الفرع الأول: حده	١٦
الفرع الثاني: اشتقاقه	٢٦
الفرع الثالث: غايته ومنفعته	٣٩
الفرع الرابع: مرتبته بين العلوم	٤٢
الفرع الخامس: صلته بالفقه	٤٣
الفرع السادس: حكمه	٥١
الفرع السابع: أسماؤه	٥٤
الفرع الثامن: تمييزه عن الفلسفة	٦٣
المطلب الثاني: نشأته وأهم مدارسه	٦٨
الفرع الأول: نشأته	٦٨
الفرع الثاني: أهم مدارسه	٧٨
المطلب الثالث: مشروعيته	٨٨
المبحث الثاني: العبادة قاعدة التصوف	**١٠١**
الفصل الثاني: أسس التصوف وأثرها في العبادات	١٠٩
المبحث الأول: الإخلاص	**١٠٩**
المبحث الثاني: التوبة	**١٢٧**

المبحث الثالث: التقوى	١٥٦
المبحث الرابع: مجاهدة النفس	١٦٥
المبحث الخامس: العلم	٢٠٢
الفصل الثالث: العبادة الصوفية، ثمراتها، ونتائجها على الفرد والمجتمع	٢١١
المبحث الأول: حقيقة العبادة الصوفية	٢١٣
المطلب الأول: مفهوم العبادة في التصوف	٢١٣
المطلب الثاني: درجة الإيمان الموصلة للعبادة الصوفية	٢١٧
المطلب الثالث: كيفية العبادة الصوفية	٢٢٦
المبحث الثاني: ثمرات العبادة الصوفية	٢٣٨
المبحث الثالث: آثار العبادة الصوفية على الفرد والمجتمع	٢٥٥
الخاتمة	٢٥٩
المصادر	٢٦٧
المحتويات	٢٩٥







طبع بمطبعة هيئة ادارة واستثمار اموال الوقف السني

